

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سِلْكُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ اِسْلَامِيَّةٍ جَامِعَةٍ

الْعِدَّةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ. السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ. رَجَبُ الثَّانِي - جُمَادَى الْآخِرَةُ ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي

* الجمهورية الاسلامية الايرانية - قم . ص . ب : (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

* هاتف : ٧٤٠٢٩٤ فاكس : ٧٣٥١٧٩

رسالة الثقلين

مؤلفات إسلامية بأهميتها

- تسعيني صاحب المعارف الإسلامية من منبج الشققين والدفاع عن حريم الشرائع الكريم وسنة الرسول الشريفة وخط أهل البيت الأطهار (ع).
- تسعيني صاحب المعارف والمصنفين والكتاب الإسلامي التي تصب في رسالة الثقلين لتدريس وحدة الأمة الإسلامية وتثبيت شسوكتها في أرجاء العالم.
- الآراء السوارة في الموضوعات لا تعتبر بالضرورة عن رأي المجمع أو المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.
- يرجى ممن يرفد المجلة بسفناجانه الاحتفاظ بحسرة منها، فإنها لا تعد نشرت أم لم تنشر.

مقالات العدد

□ كلمة التمرير

- رسالتنا والتحديات المعاصرة..... بقلم رئيس التحرير ٤
- من أركان الريادة الإسلامية
- مكانة المرأة في الاسلام
- ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام تله) ١٥

□ دراسات

- نظام الشعائر والعبادات في مدرسة أهل البيت (ع) (١)
- السيد محمد باقر الحكيم ٢٥
- الامام الحسن (ع) ومصلحة الاسلام العليا
- الشيخ فؤاد كاظم المقدادي ٨٣
- خطاب الاستنصار الحسيني (٢)
- الشيخ محمد مهدي الأصفي ١٢٩
- القيم الإسلامية في الإدارة..... الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ١٦٠
- ترجمة: عباس الاسدي
- المرأة ومهمة التبليغ الاسلامي..... ام صادق الجزائري ١٨٣
- من حقها مدرسة أهل البيت (ع)

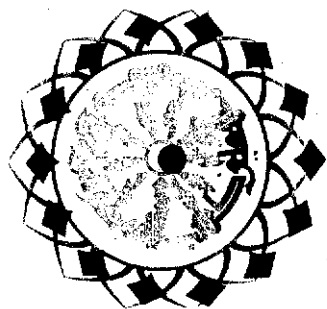
- تفسير قيمة العملة..... الشيخ حسن الجواهري ٥٣
- لاهيات

• حديث الإنذار يوم الدار (١)

- الشيخ علي الاحمدي الميانجي ١٠٦
- شوق

• رد على آراء الدكتور محمد عمارة حول التشيع

- حسن الامين (لبنان) ١٤٨



الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا في ضلال

الضلال

محمداً بن عبد الله بن

عبد الوهاب بن

الشيخ

فؤاد بن عبد الله بن

العدد الثاني والعشرون

السنّة السادسة.

ربيع الثاني - جمادى الآخرة

١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

□ حوار

• الثابت والمتغير في الدين السيد كاظم الحائري ١٧٣

ترجمة: عباس الاسدي

□ السطّاع

• الاسلام والمسلمون في روسيا عبد الكريم رؤوف (العراق) ٢٠٩

□ ضلّون وآداب

• قصيدة: مودتكم اجر النبي ابن حماد العبدوي ١٤٦

• خاطرة: حراء .. مبعث الخصب مصطفى حسن (العراق) ١٨١

□ اهل البيت (ع) في روايات الصناعات

• اهل البيت (ع) على لسان الحسن بن علي (ع) (٢)

٢٠٥ ناصر الباقري

□ من عرّف محمّ اهل البيت (ع)

• القلب السليم (٢)

٢٢٥ اعداد: عبد القادر فرج الله

□ من أبا، الصري

• أنباء وتقارير ٢٣٠

□ مع قرآن، اللّاهين

• رسائل القراء ٢٧٤

رسالة الأولين

والتحديات المعاصرة

كلمة التحرير

✻ بقلم رئيس التحرير

إن التطور الهائل في واقع البشرية المعاصرة ، في جميع نواحي الحياة في مجال التنظير الفكري ، والتكتل الاجتماعي ، والحركة السياسية ، وفي مجال التقنية العلمية ، واساليب ووسائل الاتصال والاعلام ، أثر تأثيراً كبيراً على العقلية الانسانية في اطارها الفردي والجماعي . فبرزت على السطح الخارجي ظواهر شاملة كوّنت مجموعة من التحديات الكبرى امام واقع الانسانية الفكري والعملي ، ومن ابرز تلك الظواهر والتحديات :

اولاً : طغيان منهج التفكير المادي المسمى (بالمنهج التجريبي) على طريقة التفكير الانساني ، وهو المنهج القائم على اساس سلوك العقل البشري في الاستدلال والاثبات للقضايا من الخاص إلى العام ، وهذا وإن صح في مرحلته الاولى في دائرة الطبيعة المادية فإن المشكلة تكمن في سريانه ، عن عقيدة أو عن تطبع ، إلى مسائل وموضوعات ما وراء الطبيعة ، وهي التي تتعلق بمسائل العقيدة وما يرتبط بها من قضايا فكرية .

إن ارهاصات طغيان هذا المنهج في التفكير بدأ بما يمسى بالثورة الصناعية في أوروبا ، التي قلبت موازين التفكير الاوربي بعد أن كان متحجراً

على رؤى ونظريات الكنيسة في مقولاتها الخرافية ومدعياتها العلمية الباطلة ، فمن خلال الاكتشافات العلمية الكبرى التي اثبتت حقائق مخالفة تماماً لما كانت تحمّله الكنيسة على العلم ، وتعتقد بأنها حقائق مطلقة لا ينالها الشك والبطلان ، انهارت قدسية الكنيسة بانهايار مقولاتها ، وبرزت دعوى ألوهية العلم في منهجه التجريبي المادي ، وعلى أنه المقياس المطلق في صدق وكذب أية مقولة فكرية أو دعوى نظرية ، ومنها الدين في عقائده وتشريعاته ، حتى أصبح هذا المنهج هو المنهج المقرر في التربية والتعليم ، وفي الثقافة والاعلام ، وفي التنظير والتقنين ، وصار المختبر العلمي هو البديل في تنقيح العقائد والنظريات وقبولها أو رفضها ، واستمر هذا الاثر ينمو حتى غزا - على طريقة العقل الجمعي - المجتمعات الاسلامية ، ولا زال سارياً إلى يومنا هذا ، خصوصاً في الاوساط المثقفة بالثقافة الاكاديمية .

وقد امعن الاستكبار ، منذ شروع حركته الهادفة لغزو الشرق الاسلامي والهيمنة عليه ، في تعميق هذا المنهج ، حتى استطاع أن يجعل منه الاساس في البناء الفكري والثقافي الجديد للشرق الاسلامي ، في كل مؤسساته التعليمية والاعلامية والسياسية والاقتصادية ، وهي التي اسماها الفيلسوف الاسلامي الكبير آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله ، بالتبعية المنهجية لاوربا^(١).

وبهذا بدأت حالة من الانقصام المنهجي في تناول القضايا بين الدين والثقافة الجديدة .

ونشأت عقليات محاكمة الحقائق الدينية على ضوء منهج التفكير المادي ، فتمرد الكثير من المثقفين على طريقة عرض الحقائق الدينية وغرقوا في لجة من الشبهات حول الدين ، ورفضوا التسليم والتعبد بما هو ملاكه التسليم والتعبد ، سواء كان ذلك في مسائل العقيدة بمفردات الغيب (الملائكة ، والشيطان ، والجن ، والبرزخ ، والجنة ، والنار ... الخ) ، أو في مسائل التشريع والتقنين ، كاحكام الصلاة والصيام والحج والزكاة ، أو ما

(١) راجع مقدمة الطبعة

الثانية لكتاب اقتصادنا للسيد

المصدر رحمته الله.

اشتملت على جوانب تعبدية معينة ، كالاحكام الاقتصادية وتنظيم السوق ، أو الاحكام التي للطب والعلوم الطبيعية الحديثة دور في تشخيص وتنقيح موضوعاتها .

ثانياً : سيطرة العقل الجمعي على فكر الانسان المعاصر في الحكم على القضايا ، وفي نشوء الولاءات ، وقد لعبت التقنية الاعلامية الحديثة ، في الوسائل والاساليب وسعة وسرعة وسائل الاتصال والوصول ، دوراً حاسماً في إحكام هذه السيطرة وتنظيمها بدقة شاملة ومنهجية هادفة ، جعلت من الانسان والمجتمع مسيرين بها ، ولا يملكان فرصة أو زاوية ينظران من خلالها بعقلية متحررة عن قيود الايحاء النفسي ، ومجردة عن مفردات التلقين الفكري ، التي تضخها وسائل الاعلام والاتصال المبتوثة ، بكل صورها واشكالها واساليبها ، في جميع زوايا ونواحي الحياة اليومية ، حتى أصبح الانسان المعاصر ، خصوصاً في المجتمعات الاوربية أو التي تأثرت بمنهجها المادي ، عبداً أسيراً في طعامه وشرابه ومسكنه ، وفي اهتماماته وآراءه الثقافية والسياسية ، وفي طريقة حياته وعلاقاته ، لما تبثه وسائل الاعلام والاتصال هذه .

ثالثاً : بروز واستحكام ظاهرة التكتل الدولي في محور القوى الكبرى ، التي مرت بمرحلتين أساسيتين :

المرحلة الاولى : هي مرحلة القطبين أو المحورين ، وفيها تعسكرت الدول في معسكرين ، يقود كل منهما دولة عظمى ، بينهما حرب باردة قائمة على اساس مصالح تلك الدول العظمى ، في مقابل حماية الدول المنضوية تحت معسكرها ، وقد انتهت هذه المرحلة بانهيار احد المعسكرين ، وهو الاتحاد السوفياتي ، وتفكك منظومة معسكره .

المرحلة الثانية : هي مرحلة بروز القطب الواحد ، أو ما يسمى اليوم بالنظام العالمي الجديد ، القائم على اساس استقطاب العالم ، بكل دوله

وقواه، في محور دولة واحدة كبرى، بدعوى حفظ مصالح جميع هذه الدول في اطار المصلحة العليا لتلك الدولة الكبرى، وقد بدأت ارهاصات هذه المرحلة بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران، وتأثيرها الرائد في بروز صحوه اسلامية وتحررية شاملة، ألهمت ارادة الشعوب وطلائعها، ودفعتهم للتحرر الميداني الواسع للتحرر من هيمنة القوى الكبرى، والعودة إلى الاصل والاستقلال والحرية.

امام هذه التحديات الكبرى جاءت الثورة الاسلامية الكبرى بقيادة الامام الخميني الكبير رحمه الله، لتضع لنا في هذه المرحلة الحساسة من مسيرتنا الرائدة معالم الحركة الرسالية لاحتواء هذه التحديات، وطرح الاسلام العظيم بكل قوة واقتدار على اساس فكري مبين، وعزم وارادة راسخة، ليكون له في كل مسألة جواب تام، ولكل شبهة رد حاسم، وامام كل ظلم وباطل موقف عدل وحق، ويحق قول الله تعالى في محكم قرآنه الكريم في قيمومة الاسلام: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ (٢)، وهيمنته على الدين كله: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ (٣).

(٢) الروم: ٣٠.

(٣) المائدة: ٤٨.

وابرز هذه المعالم التي رسمتها لنا الثورة الاسلامية وقيادتها الرشيدة هي:

اولاً - تجسيد الرؤية العقائدية بدور الغيب المطلق، والقدرة الالهية في رسم سنن التغيير الاجتماعي ومسار حركة الامم والشعوب:

إن العقيدة بالغيب وبقدرة الله المطلقة في سير الحياة الانسانية، وخصوصاً في الجانب الاجتماعي، هي جوهر الاسلام والايمان، وهي المبدأ المطلق في استمداد النصر وإقامة حكومة العدل الالهي في الارض. إن الكشف عن هذا المبدأ على المستوى العالمي للامم والشعوب، والايمان به، والسير على نهجه، تتحقق من خلال عاملين اساسيين

متعانقين : احدهما سلبي والآخر ايجابي ، أما السلبي فهو مجموعة التحولات التي تفرزها عملية الصراع بين الحق والباطل والعدل والظلم في الواقع البشري ، والتي من خلالها تنتبھ البشرية إلى بطلان العقائد السائدة ، وخطأ النظريات الحاكمة ، وفساد القوى والممارسات التي تنبثق عنها . والآخر ايجابي يتمثل بتطلع هذه الشعوب والامم نحو الاطروحة البديلة في بعدها العقائدي والتشريعي ، والتي تأمل فيها إقامة الحق وازهاق الباطل وتحقيق العدل ودفع الظلم .

إن عملية الكشف عن هذا المبدأ والتحول العالمي نحوه هما اول اشعاع انبثق من افق الثورة الاسلامية وقيادتها الربانية ، فأيقظ الامم والشعوب من سباتها ، وحول ظلماتها إلى صبح منير اشرفت معه النفوس ، وتطلعت بانبهار إلى حقائق كبرى لم تكن قد ادركتها من قبل ، أو خُيل إليها أنها نوع من خرافات المتخلفين وبقايا جهل الانسان القديم .

وهذه هي اهم مفردات نهج الثورة الاسلامية وقيادتها الرسالية في مواجهة التحديات المعاصرة ، واحداث التغيير الاساسي في طريقة التفكير المادية ، والمنهجية العلمانية في تناول الحقائق والقضايا .

فعن سرّ انتصار الثورة الاسلامية يقول الامام الخميني (ع) : «لنعلم أن أطراف الامداد الغيبي الالهي هي التي اوصلت هذه الثورة للنصر» (٤) .

ولم تكن هذه المقولة المبدئية مجرد عقيدة تحمّل على الاحداث والوقائع لتسمها بطابعها الخاص ، بل إنها حقيقة ثبت وجودها المطلق من خلال استقراء الواقع موضوعياً للوقوف على فواعل حركته وقوانين صيروزته ، فعندما يقرر الامام (ع) أن الثورة الاسلامية تمتاز عن كل الثورات : «بالانطلاقة وفي اساليب المقارعة وفي اهداف انتفاضتها» (٥) ، يصيب تلك الحقيقة اصابة موضوعية ، وذلك عندما ننظر إلى طبيعة الثورة في انطلاقتها ، وفي سياق حركتها واهدافها ، والمخاطر المحدقة بها ، والقوى التي تناهضها ، مع امكاناتها المتواضعة إذا ما قيسست مع امكانات اعدائها ،

(٤) الوصية الالهية السياسية
للامام الخميني (ع) .

(٥) المصدر السابق .

يثبت أن النصر الذي حققته والمبارزة التي اشعلت فتيلها وادامتها بوجه القوى الكبرى ، لم يكونا من ابداعاتها المحضة وامكاناتها المادية المتواضعة فحسب ، وإلا فالمعادلة وفقاً للموازن المادية لكلا الطرفين ربما تكون راجحة لصالح قوى الاعداء الكبرى ، لذا يؤكد الامام عليه السلام : «لولا يد القدرة الالهية لم يكن ممكناً أن ينجز شيئاً شعب الستة والثلاثين مليوناً في ظل الدعاية المعادية للاسلام ... وما كان هذا الشعب لولا يد القدرة الالهية ليحقق شيئاً في ظل اقامة كل تلك المراكز المخصصة للفساد والبغاء والقمار والخمر والمخدرات»^(٦) ، كما أن يد القدرة الالهية والطاف الامداد الغيبي هي التي كانت وراء وحدة الشعب وانتفاضاته ، ولولاها لكان محالاً أن يتوحد الشعب كافة لهدف واحد ، وهذا ما يثبته الامام الخميني عليه السلام ، فيما جاء في وصيته : «في ظل كل ذلك كان محالاً أن ينتفض هذا الشعب كافة في ارجاء البلد ، ولهدف موحد ليدحر كل القوى المضادة محلية واجنبية ، وينتزع منها مقدرات بلده»^(٧) .

(٦) المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق .

إن العقيدة بالغيب ودورها المطلق في استقامة وانتصار حركة الأمة المتجهة صوب تحقيق الاهداف الالهية ، هي عقيدة اسلامية خالصة ؛ ذلك لأن عوامل النصر في الاسلام تنطلق أولاً من ذات الانسان ومحتواه الداخلي لتنتهي إلى الله تبارك وتعالى ، والله تعالى هو الذي يحقق النصر إذا ما حقق الانسان العبودية له لقوله تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾^(٨) ، بل في تحقيق وحدتها الحقيقية الشاملة لقوله تعالى : ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ وآلف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله آلف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾^(٩) .

(٨) محمد : ٧ .

(٩) الانفال : ٦٢ - ٦٣ .

فمن ضروريات ومعالِم الانتصار والتكامل في حركة الأمة والانسان المسلم هو التأكيد لهذه الحقيقة ، وتربية واعداد النفوس للاذعان والاقرار بها ، وتمكينها من الاستعداد الفعلي ، واستيعابها شعورياً وسلوكياً ،

والتعامل الدائم على أساسها وحساب النتائج ، على أن الله تبارك وتعالى هو المهيمن على كل ذلك وبيده عاقبة الأمور . إن تخطي هذه الحقيقة أو تجاهلها لا يثمر إلا الفشل والخسران والتخبط في هوس الاضطراب وخطر الممارسة . هذه هي الحقيقة الأساسية الأولى التي اتسمت بها الثورة الإسلامية ، ورسمت معالم نهجها التغييري في العالم قيادتها الإسلامية الرشيدة ، لإعادة البشرية إلى عمقها الفطري ووجدانها الأولي ، والانعتاق من أسر المادية الضيق إلى رحاب الله تعالى ، حيث الحرية الحقيقية في الفكر والعدالة في الحكم والاستقامة في السلوك .

ثانياً - الأمة المؤمنة بالله قوة حقيقية في صنع التغيير :

إن ثاني التحديات المعاصرة الذي وقفت الثورة الإسلامية بكل عظمة واقتدار لمواجهته ، هو العقل الجمعي الذي تخلقه وسائل الاعلام المضللة ، وتحكم القوى الكبرى والحكومات الفاسدة سيطرتها على الأمم والشعوب من خلاله .

إن ابرز ما تفرزه هيمنة العقل الجمعي المختلق بالاعلام المضلل ، هو سلب الانسان والمجتمع ادراكه السليم ، وارادته الحرة في الاختيار ، وإملاء افكار ومناهج وهمية عليه ، ووضعه في اطار خيارات قسرية محددة لا يملك بديلاً خارج حدودها . وهذا بخلاف الدعوة الإسلامية ، فإن من ابرز أهدافها هو توجيه العقل الانساني نحو الحقائق الواقعية ، لتكوين الفكرة السليمة والعقيدة الصحيحة ، وتربية ارادته على الاختيار الحر النزيه القائم على الوعي والادراك المتكامل ، وهو المعلم الثاني الذي رسمته لنا الثورة الإسلامية وقيادتها الرسالية في نهجها التغييري ، فهي أولاً تعلن أن الأمة هي القوة الحقيقية التي لا يمكن اغفالها وتجاوزها أو التنكر لقضاياها ومصالحها العامة ، وهي ثانياً تعمل لتطبيق هذا الشعار من خلال تعبئة الأمة المؤمنة بالله وتوجيهها قوة حقيقية تتكامل مع حقيقة الواقع الالهي ، والامداد الغيبي لأجل صنع النصر وتحقيق التغيير واقامة حكومتها العادلة

وديمومتها ، وهما عاملان لا ينفك احدهما عن الآخر في تحقيق الهدف المنشود ، ويكشف الامام الخميني (ع) عن هذه الحقيقة في قوله : «يقين أن سر ديمومة الثورة الاسلامية هو نفس سر انتصارها ، والأمة تعلم ماهية هذا السر واين يكمن ، والاجيال الآتية ستقرأ في التاريخ أن دعامتي هذا السر تكمنان في الدافع الالهي والغاية السامية للحكومة الاسلامية ، والتفاف الشعب في ارجاء البلد بكلمة واحدة حول هذا الدافع وتلك الغاية»^(١٠) .

(١٠) الوصية الالهية السياسية
للامام الخميني (قدس سره).

وعليه فإذا كانت الثورة الالهية والتغيير الاسلامي هما من صنع الأمة المؤمنة بالله والامداد الالهي لها ، وبقاؤها وديمومتها متوقفان على ذلك ، فإن دور الحكومة بكافة مؤسساتها دور خدمي ، وطبيعته حماية مصالح الأمة واهدافها وتحقيق غاياتها ورغباتها ، بعيداً عن التحميل والتسلط الاستكباري وخلق أجواء الهيمنة الشكلية ، وعلى هذا الاساس يصف الامام (ع) وظيفة الحكومة - وزراء ومسؤولين - بأنهم مجرد «خدمة للشعب والمستضعفين خاصة»^(١١) ، ولا مجال بعدئذ للاستعلاء على الأمة أو سحقها أو هضم حقوقها ، سواء كان ذلك عن طريق الارهاب والقوة ، أو عن طريق أسرها في قيود العقل الجمعي الباطل الذي يخلقه الاعلام المضلل ، كما هو حادث في سائر الانظمة الأخرى في العالم . وفي نهج الثورة الاسلامية تأخذ الأمة ادوارها الشاملة ومسؤوليتها الكاملة ، فتؤثر مباشرة في صميم الاحداث دون عازل ، فالمؤامرات المضادة للثورة يضطلع الشعب بكشفها وإسقاطها . يقول الامام (ع) : «يلزم على شعب ايران اليعقظ الواعي أن ينطلق من رؤية اسلامية لاحباط تلك المؤامرات»^(١٢) ، بل يجعل من الشعب رقيباً وناظراً على المسيرة السياسية فيقول : «وأوصي الشعب العزيز انطلاقاً من الحرص عليه والرغبة في الخدمة ، أن عليكم باليقظة والحذر ومراقبة محترفي السياسة المرتبطين بالشرق أو بالغرب ؛ كي لا يسوقوكم بوساوسهم الشيطانية إلى تبعية هؤلاء السراق الدوليين»^(١٣) ، وكذا في حماية وحفظ الثقافة الاسلامية الاصيلية من التحريف ، حيث

(١١) المصدر السابق .

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) المصدر السابق .

يقول ﷺ : «إذا ما وجد بين الاساتذة من يسعى إلى الانحراف فليمنصحوه ، وإن لم يرعو فلينبذوه وليطردوه من قاعات التدريس»^(١٤) . وهكذا فالسلطة تُقَوَّم بالأمة المؤمنة بالله في نهج الثورة الاسلامية . وتؤكد الثورة على لسان قائدها هذا النهج قائلاً : «وليعلموا أنه لن تحدث ثغرة في قلعة الشعب الفولانية بسبب ذهاب خادم (حاكم) ، فهناك خدمة اسمى وارفح مشغولون بالخدمة ، والله حافظ هذا الشعب ومظلومي العالم»^(١٥) .

ثالثاً - رفض الهيمنة الاستكبارية ومبدأ اكتشاف الذات :

وهو السمة الاساسية الثالثة لنهج الثورة الاسلامية ، وقيادتها الرشيدة في مواجهة التحدي العصري الثالث ؛ فلو استقرأنا الثورات المعاصرة في عالمنا لما وجدنا ثورة شعبية الهية خالصة ، غير منحازة بشكل أو آخر لاحد قطبي العالم الشرق أو الغرب ، فضلاً عن أن تكون متمردة عليهما أو مناهضة لهما حقاً .

وقد تبدأ الثورات والقيادات ثورية مستقلة ، ثم ما تلبث أن تقع في احضان أحد المعسكرين مختارة لرفع العزلة التي تُفرض عليها ، أو مكرهة بتهديد الزوال المحقق بها من قبل قوى الاستكبار في العالم . ويعدّ أمراً جديداً وفريداً أن تنبثق ثورة في هذا العصر تقوم بالاساس على رفض الهيمنة الاستكبارية ، ومناهضة ومعاداة القوى الكبرى ، وتطرح مبادئ تدعو الشعوب للتخلص من سلطة وهيمنة الاجانب ، ولا سيما القوى الكبرى وتدفعها للثقة بالنفس ، واكتشاف الذات ، والعودة إلى الاصاله ، وعمل كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الاستقلال والاكتفاء الذاتي ، وهذا ما يكشفه الامام ﷺ في بيانه لنهج الثورة الاسلامية عندما يقول : «واعلموا أن العنصر الآري والعربي ليس باقل من عنصر شعوب اوربا واميركا وروسيا ، وإذا اكتشف هويته ونفض اليأس عن نفسه ولم يعقد الامل على الآخرين ، فإنه قادر على المدى البعيد أن يعمل كل شيء ويصنع كل شيء»^(١٦) ، ويشخص الامام ﷺ أن من آثار المخطط الاستعماري للقوى الكبرى هو زعزعة ثقة الشعوب

(١٦) المصدر السابق .

المستضعفة بنفسها وبقدراتها ، بل في ثقافتها وأخلاقها ، فيقول : «إن مخطط نزع البلدان المستعمرة عن هويتها ، وتغريبها وتشريعها ، هو من المخططات التي كان لها مع الاسف الشديد تأثير بالغ على البلدان ، وعلى بلدنا العزيز ، وقد بقيت نسبة كبيرة من آثارها حتى عادت هذه البلدان لا ترى نفسها ولا ثقافتها وقوتها شيئاً ، وترى في القطبين القوتين الغرب والشرق العنصر الافضل»^(١٧) ، وانتهى الأمر لدى شعوبنا المستضعفة أن «اصبح التغريب الكامل في العلاقات الاجتماعية والمعاشرة وجميع شؤون الحياة ، سبباً للتفاخر والتعالي ، ودليلاً على التمدن والتقدم ، والالتزام بثقافتنا وتقاليدنا هو تحجر وتخلف»^(١٨) ، فضلاً عن التبعية الكاملة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً لهذه القوى المستكبرة .

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) المصدر السابق .

وتبقى المسألة الاهم هي خلاص الأمة من هيمنة قوى الطاغوت الكبرى ، التي وقعت تحت تأثيراتها وفي شباكها ، سواء كانت ذات قطبين كما في المرحلة الاولى ، أو قطب واحد كالذي تحاول اميركا أن تكونه في المرحلة الثانية .

إن الطريق إلى هذا الخلاص في نهج الثورة الاسلامية ينطلق في البدء من النفوس التي إذا ما تمسكت بمبادئها باصرار واخلاص وثقة ، فإن الانعتاق من تلك الهيمنة المقيتة واقع لا محال ، ويعلن عن هذا النهج قائد الثورة ﷺ في وصيته قائلاً : «أوصي الشعوب الشريفة المظلومة والشعب الايراني العزيز ، أن يستقيموا باستحكام وصمود والتزام ومقاومة على هذا الطريق الالهي المستقيم ، الذي من الله به على البشرية والمتحرر من الارتباط بالشرق الملحد والغرب الظالم الكافر»^(١٩) .

(١٩) المصدر السابق .

ويقدم الامام ﷺ نموذجاً حياً لذلك ، وهو تجربة الثورة الاسلامية في معاداتها ومناهضتها للقوى الكبرى ، وما نتج عن ذلك من فوائد ومعطيات كانت معلماً ورائداً للشعوب المظلومة في سبيل أن تحث الخطى في قطع دابر التبعية وبناء الذات ، فيقول : «ترون كيف يواصل الانقطاع عن الشرق

والغرب منح ثماره المباركة : إذ تفتحت العقول والطاقت المفكرة المحلية وهي تسير حثيثاً باتجاه الاكتفاء الذاتي» (٢٠).

(٢٠) المصدر السابق .

ويتوّج الامام نهجه الاسلامي في رفض ومعاداة قوى الهيمنة الكبرى بصلاية مدهشة ، ليس معها ادنى رجعة أو ميل لهما فيقول : «أيها الاخوة المؤمنون ، إن استئصالنا من قبل الايدي المجرمة الاميركية والروسية ، ولقاءنا الله مخضبين بدم الكرامة ، هما خير من أن نعيش مترفين في ظل الجيش الشرقي الاحمر أو الغربي الاسود» (٢١).

(٢١) المصدر السابق .

وهكذا جسدت الثورة الاسلامية العملاقة وقيادتها الربانية من خلال نهجها الالهي : قدرة رسالتنا الاسلامية على مواجهة التحديات المعاصرة ، وكل التحديات الارضية مهما كانت ومن أي كانت ، وصدق فيها قوله تعالى : ﴿ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (٢٢).

(٢٢) الصف : ٩ .

صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين

قال امير المؤمنين (ع)

شَبَّاتُ
الدُّوَلِ بِعِزِّهِ

غزاهم > : ٣٢٩

من آفاق القيادة الإسلامية

www.assalam.com

مكانة السيدة فاطمة في الإسلام

❦ ولي أمر المسلمين
آية الله العظمى
السيد الفاطمي «دام ظلّه»

مقتطفات مختارة من خطابات ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي «مد ظله»، حول مكانة المرأة في الإسلام، أقيمت في عدة مناسبات منها مناسبة ذكرى مولد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

إن كل ما نقوله حول الزهراء (عليها السلام) قليل، وفي الحقيقة إننا لا نعلم ما يجب قوله فيها (عليها السلام) وما يجب التفكير فيه، فالأبعاد الوجودية لهذه الحوارة الإنسانية، والروح الخالصة وخلاصة النبوة والولاية، واسعة وغير متناهية أو قابلة للدراك، وهي بصورة تبعث على حيرة الإنسان فيها.

إن المعاصرة تعتبر من الأمور التي تمنع الإنسان من معرفة الشخصيات بصورة جيدة، فغالباً لم تعرف النجوم الساطعة في عالم البشرية في حياتها من قبل معاصريهم، إلا من ندر من العظام كالأنبياء والأولياء، وهؤلاء أيضاً عرفوا من قبل أفراد معدودين فقط. إلا أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت في عصرها بصورة بحيث لم يمتدحها أبوها وبعليها وبنوها وخواص شيعتهم فحسب، بل إنها كانت تمتدح حتى من قبل أولئك الذين كانت لهم مواقف سلبية معها. لننظر إلى الكتب التي ألفت في

الزهراء عليها السلام لنطلع على كيفية تعامل النبي ﷺ مع هذه العظيمة ، ففي الرواية المعروفة عن عائشة أنها قالت : «والله ما رأيت في سَمْتِه وهَذِيهِ أشبه برسول الله ﷺ من فاطمة ، وكان إذا دخلت على رسول الله قام إليها» أي أنه ﷺ كان يقوم من مكانه ويتحرك نحوها بكل شوق . وفي بعض الروايات المروية عن عائشة أيضاً جاء هكذا «وكان يقبلها ويجلسها مجلسه».

هذه هي منزلة الزهراء عليها السلام ، فماذا يقول الانسان في ابنة رسول الله ﷺ ذلك الموجود العظيم ؟

إن عظمة الزهراء عليها السلام مشهودة في سيرتها .
وهنا توجد مسألتان :

المسألة الاولى : ما مدى معرفتنا بالزهراء عليها السلام ؟

إن محبتي اهل البيت عليهم السلام قد سعوا طوال تاريخ الاسلام إلى احترام آل بيت رسول الله ﷺ والتعلق بهم وخصوصاً الزهراء عليها السلام بالقدر المستطاع ، وليس لأحد أن يتصور أن هذه العظيمة أصبحت عزيزة على القلوب في عصرنا فقط ، نعم في عصرنا ما في القلوب يجري على الألسن ؛ لأنه عهد الاسلام وحكومة القرآن ، عهد الحكومة العلوية وحكومة اهل البيت عليهم السلام ، إنها كانت عزيزة دائماً ، فأقدم جامعة اسلامية في العالم الاسلامي والتي يعود تاريخها إلى القرنين الثالث والرابع الهجري هي باسم الزهراء عليها السلام ، ألا وهي جامعة الأزهر في مصر المشتق اسمها من الزهراء عليها السلام ، فكان الخلفاء الفاطميون الشيعة الذين كانوا يحكمون مصر آنذاك يسمون جامعاتهم باسم الزهراء عليها السلام . وقد سعى الشيعة على مدى القرون الماضية للتعلق بهذه العظيمة بما يناسب شأنها .

المسألة الأخرى : هي أننا يجب علينا اهتداء الطريق بالنجوم ، فعندما يسطع نجم في السماء فهو لا يختص بهذه الكرة الارضية فقط . يقال إن

بعض هذه النجوم التي هي كالنقطة في السماء ، هي - في الحقيقة - أكبر من مجرة درب التبانة التي تشاهدونها والتي تتكون من ملايين النجوم ، فلا نهاية للقدرۃ الالهية ، فلا بد للانسان العاقل الذي وهب الله العين أن يستفيد من هذا النجم في حياته ، والقرآن يقول : ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ .

إن نجم عالم الخلق الزاهر ليس بالذي نراه ونتصوره ، بل هو أعظم من هذا بكثير ، إننا نرى نور شخصية الزهراء (عليها السلام) ، لكنها أعظم من هذا بكثير . إذن ماذا نستفيد نحن منها بهذا القدر الذي نعرف فيه أنها الزهراء (عليها السلام) ؟ لقد قرأت الرواية التي تقول : إنها تظهر لأهل السماء ، فنحن لا شيء أمام هذا النور ، فالكروبيون (الملائكة المقربون) في الملأ الأعلى تنبهر عيونهم من نور الزهراء (عليها السلام) ، فيجب علينا الاهتمام بها إلى الله وإلى طريق العبودية ، وإلى الصراط المستقيم . فالزهراء (عليها السلام) قد سلكت هذا الطريق فأصبحت الزهراء ، وإن الله قد جعل طينتها طينة متعالية ؛ فلأنه كان يعلم أنها تخرج مرفوعة الرأس من الامتحان في عالم المادة والناسوت (الطبيعة الانسانية) « أمتحنك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة » .

إن حياة الزهراء (عليها السلام) في جميع الأبعاد كانت مليئة بالعمل والسعي والتكامل والسمو الروحي ، وقد أمضت حياتها بمنتهى الرفعة في تلك الظروف ، وقامت بتربية أولادها الحسن والحسين وزينب ، وإعانة زوجها علي (عليه السلام) ، وكسب رضا أبيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعندما بدأت مرحلة الفتوحات والغنائم لم تأخذ بنت النبي ذرة من لذائذ الدنيا وزخرفها ، ومظاهر الزينة والأمور التي تميل لها قلوب الشابات والنساء .

وكانت عبادة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عبادة نمونجية . يقول الحسن البصري الذي كان أحد العباد والزهاد في العالم الاسلامي في فاطمة الزهراء (عليها السلام) إنها عبدت الله ووقفت في محراب العبادة حتى تورمت قدمها ، ويقول الامام الحسن المجتبي (عليه السلام) إن أمه وقفت تعبد الله في إحدى الليالي حتى انفجر عمود الصبح ، ويقول (عليه السلام) إنه سمعها تدعو دائماً للمؤمنين

والمؤمنات ، وعند الصباح قال لها : « يا أماء ، أما تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ، فقالت : يا بني ، الجار ثم الدار » .

إن جهاد تلك المكرمة في الميادين المختلفة هو جهاد نموذجي ، في الدفاع عن الاسلام وفي الدفاع عن الإمامة والولاية ، وفي الدفاع عن النبي ﷺ ، وفي المعاشرة مع أكبر القادة الاسلاميين وهو أمير المؤمنين الذي كان زوجها . وقد قال أمير المؤمنين ﷺ مرة في فاطمة الزهراء : « ما أغضبني ولا خرجت من أمري » . ومع تلك العظمة والجلالة ، كانت فاطمة الزهراء ﷺ زوجة في بيتها ، وامرأة كما يريد الاسلام ، وعالمة رفيعة في محيط العلم .

قال العلامة المجلسي عن الخطبة التي خطبتها في مسجد المدينة بعد رحلة النبي ﷺ : إن على كبار الفصحاء والبلغاء والعلماء أن يجلسوا ويوضحوا كلمات وعبارات هذه الخطبة . فقد كانت قيمة إلى هذه الدرجة ، ومن حيث الجمال الفني كانت مثل أجمل وأرفع ما في نهج البلاغة وفي مستوى كلام أمير المؤمنين ﷺ . ذهبت فاطمة الزهراء ﷺ ووقفت في مسجد المدينة وتكلمت ارتجالاً أمام الناس بأفضل وأجمل العبارات وأصفى المعاني . هكذا كانت عبادتها وفصاحتها وبلاغتها وحكمتها وعلمها ومعرفتها وجهادها وسلوكها زوجة وأماً ، وكذلك احسانها إلى الفقراء ، فمرة ارسل النبي ﷺ رجلاً عجوزاً فقيراً إلى بيت أمير المؤمنين ﷺ ، وقال له أن يطلب حاجته منهم ، فأعطته فاطمة الزهراء ﷺ جلدأ كان ينام عليه الحسن والحسين حيث لم يكن عندها شيء غيره ، وقالت له أن يأخذه ويبيعه ويستفيد من نقوده . هذه هي شخصية فاطمة الزهراء ﷺ الجامعة للفضائل . إنها أسوة حسنة للمرأة المسلمة .

إن على المرأة المسلمة أن تسعى في طريق الحكمة والعلم ، وفي طريق التهذيب المعنوي والأخلاقي للنفس ، وتكون طليعة في ميدان الجهاد والكفاح بكل أنواعه ، ولا تهتم بزخارف الدنيا ومظاهرها الرخيصة ، وتكون

عفتها بدرجة بحيث تدفع عنها نظر الأجنبي تلقائياً، وتكون في البيت سكونية للزوج والأولاد، وراحة للحياة الزوجية، وتربّي في حضنها الحنون وبكلماتها الرؤوفة أبناءً مهذبين ذوي روحية حسنة وسليمة. إن الأم هي أفضل من يبني، فالعلماء قد يصنعون أداة الكترونية معقدة جداً مثلاً، أو يصنعون أجهزة للصعود إلى الفضاء، أو صواريخ عابرة للقارات، ولكن هذا كله لا يعادل أهمية بناء إنسان رفيع، وهو عمل لا يتمكن منه إلا الأم، وهذه هي وظيفة المرأة المسلمة.

إن العالم الاستكباري الغارق في الجاهلية يخطأ عندما يتصوّر أن قيمة واعتبار المرأة في تبرجها أمام الرجل، حتى ترمقها العيون الطائشة وتتمتع برؤيتها. وهذا الذي يطرح اليوم من قبل الثقافة الغربية المنحطة بعنوان حرية المرأة قائم على هذا الأساس؛ وهو جعل المرأة غرضاً لأنظار الرجل، فتكون وسيلة للتأذنه. يسمّون هذا حرية المرأة، فهل هذه هي حقاً حريتها؟!

إن الذين يدعون حماية حقوق الإنسان وحقوق المرأة في العالم الغربي الجاهل والغافل والمنحرف، هم في الحقيقة يظلمون المرأة. يجب النظر إلى المرأة نظرة إنسان رفيع؛ حتى يتضح ما حقها وحريتها وكمالها؟

إن الأوروبيين عندما تقدّموا صناعياً (أوائل القرن التاسع عشر)، وفتح الرأسماليون الغربيون مصانع كثيرة، كانوا بحاجة إلى عمال بأجور زهيدة لا يثيرون العناء، ولذا رفعوا ضجّة حرية المرأة من أجل سحب المرأة من الأسرة إلى المصانع والاستفادة منها؛ باعتبارها عاملاً زهيد الاجور، فيملؤون جيوبهم على حساب كرامتها ومنزلتها.

إن ما يطرح اليوم من حرية المرأة في الغرب هو استمرار لتلك القضية، ولذا فإن الظلم الذي تعرّضت له المرأة في الثقافة الغربية، والفهم الخاطيء للمرأة في الثقافة والأدب الغربيين، ليس له نظير في كل عصور التاريخ، فقد تعرضت المرأة سابقاً إلى الظلم، ولكن الظلم العام والشامل يختص

بالفترة الأخيرة ، وهو ناجم عن الحضارة الغربية ، حيث اعتبروا المرأة وسيلة لالتذاذ الرجال ، وأطلقوا على ذلك اسم حرية المرأة ، بينما الحقيقة هي أن ذلك حرية فاحشة للرجال الطائشين من أجل التمتع بالمرأة . ولم يقيم الغربيون بظلم المرأة في مجال العمل والنشاط الصناعي وأمثال ذلك فقط ، بل كذلك في مجال الفن والأدب أيضاً ، فلو نظرنا اليوم في المنتجات الفنية وفي القصص والشعر والرسوم وفي أنواع الأعمال الفنية لديهم ، لرأينا ماهي نظرتهم للمرأة . هل هناك اهتمام بالجوانب الايجابية والقيم الرفيعة الموجودة في المرأة ؟ هل هناك اهتمام بالعواطف الرقيقة والرأفة والطبع الرؤوف الذي أودعه الله تعالى في المرأة ؟ إنهم يعتبرون المرأة كائناتاً استهلاكياً سخياً ، وعاملاً قليل المطالبة وزهيد الاجور .

لا شك أن الوضع في بلدنا منذ انتصار الثورة قد تغير إلى حد بعيد ، حيث شاركت النساء في ميادين المواجهة السياسية الكبرى وأثبتن دورهن الفاعل . ويمكن القول إن دور حشود النساء في انتصار الثورة كان أكبر من دور الحشود الخاصة بالرجال ، أي أن مشاركة النساء في المواجهة العامة والسياسية كانت متعددة الجوانب ، فالرجل كان شخصاً واحداً يأتي بنفسه ويشارك في المواجهة وفي التجمعات وفي المسيرات فحسب ، ولكن حينما كانت ربة البيت تعتبر نفسها شريكة في المواجهة وتنزل إلى الساحة ، فإنها في الواقع تصطب معاً بيتها إلى ساحة الصراع والمواجهة ، وتأتي بجميع أفراد أسرتها وتحضرهم إلى ميدان الصراع .

وفي الحرب أيضاً ، لولا صبر أمهات وزوجات الشهداء لمواجهة الحرب مشاكل كبرى ، فدور النساء فيها كان دوراً بارزاً ، وهذا الدور في المجتمع جعل نساءنا يتحلين بالوعي والنضج السياسيين ، وحينما يوجد الوعي السياسي فلا يمكن لأحد أن يفرض عليها بسهولة ما يشاء ، أو يهضم حقها ، وهذا ما حصل في عهد الثورة .

ولأجل أن تتضح الرؤية الاسلامية للمرأة ، يحسن النظر إليها بدقة من

خلال ثلاثة أبعاد :

البعد الأول : دور المرأة بصفتها إنساناً في طريق التكامل المعنوي والنفسي ، وفي هذا البعد لا تفاوت بين الرجل والمرأة ؛ إذ كانت هنالك نساء جليلات وبارزات مثلما كان هنالك رجال كبار وبارزون . وفي القرآن الكريم حينما يريد الله أن يضرب مثلاً للمؤمنين يضرب لهم مثلاً بالمرأة : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ﴿ باعترابها عنصراً مؤمناً وبارزاً لا نظير لها بين بني الانسان ، أو قلّ نظيرها بينهم آنذاك .

البعد الثاني : دورها في مجال النشاطات الاجتماعية والسياسية والعلمية والاقتصادية ، فباب هذه النشاطات مشرع أمام المرأة كاملاً ، ولو شاء أحد حرمان المرأة من مزاوله النشاط العلمي والسعي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، فإنما يتصرف خلافاً لحكم الله ، فلا مانع من مزاوله هذه الأعمال بالقدر الذي تبيحه القدرة الجسدية ، وتستدعيه الحاجات والضرورات ؛ والشرع المقدس لا يمانع في بذل الجهود الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قدر المستطاع .

ولما كانت المرأة بطبيعة الحال أرقّ جسدياً من الرجل ؛ كان لهذه الحالة ضرورتها ، وفرض العمل الثقيل على المرأة ظلم لها . لذلك فإن الاسلام لا يوصي بهذا ، ولكنه في الوقت نفسه لا يمنعها من ممارسة النشاط العلمي والجهد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وما شابه ذلك . والخلاصة أن الاسلام لا يجيز فرض شيء على المرأة أو إرغامها عليه ، ولكن في الوقت نفسه لا ينبغي إغلاق الطريق بوجهها .

إذا أرادت النساء الدخول في النشاطات الاجتماعية والسياسية ، فلا مانع من ذلك ، كما أنّ النشاط العلمي - بطبيعة الحال - محمود جداً ، وهو مرجح على غيره . فلا يتوهم أن أب أو أم - من باب التعصب الديني - وجوب منع الفتاة من مواصلة الدراسة العليا ، كلا ، فالدين لم يأمر بمثل هذا ، وهو لا يفرّق في اكتساب العلم بين البنات والابن . دعوا فتياتنا يدرسن العلم

ليتقن على شأنهن ويعرفن قدر أنفسهن ، وليدركن مدى عقم وتفاهة وخواء دعايات الاستكبار العالمي حول المرأة ؛ ومثل هذه الأمور يمكن إدراكها في ظل الثقافة ، فأكثر فتياتنا تديناً وثورية وعفة وإيماناً اليوم ، هنّ من بين الشرائع المتعلمة . أمّا المتعلقات بشؤون الزينة والبذخ ، ومن يبغين الانسياق الأعمى وراء النموذج الغربي في نمط الملابس وطران الحياة ، فهنّ على الغالب فارغات من الثقافة والمعرفة والمعلومات الكافية ؛ ومن لديه معلومات كافية يمكنه التحكم بسلوكه ، والانقياد لكل ما هو حق وحقيقة وجميل .

وعلى هذا ينبغي أن تكون جميع الطرق مفتوحة في المجال العلمي ، ليتاح التعلّم للفتيات حتّى في القرى .

البعد الثالث : دور المرأة بصفتها عضواً في الأسرة ، وهو الأهم من كل ذلك . إذ لم يعط الاسلام الرجل إذناً بالتسلط على المرأة وفرض شيء عليها ، فقد جعلت للرجل حقوق محدودة في الأسرة من باب كمال الحكمة والمصلحة ، كما جعل للمرأة في مقابل ذلك ومن باب المصلحة حقوق أيضاً .

ولكل من المرأة والرجل خصائص وطباع وغرائز خاصة بهما ، ولو استثمرت تلك الطباع الخاصة بالرجل والمرأة استثماراً سليماً ، لكوّنا في الأسرة ثنائياً متكاملأ ومتجانساً ومنسجماً ، ولكن التوازن يختلّ إذا اختلّ دور الرجل ، وكذا الحال إذا اختلّ دور المرأة .

الاسلام جعل في الأسرة جزءين شبيهين بمصراعي الباب ، أو كالعينين في وجه الانسان ، أو كرفيقي السلاح في خندق صراع الحياة ، أو كشريكين في دكان واحد ، لكل واحد منهما خصائصه ، وطباعه ، وخصاله ، ولكل منهما جسمه ، وروحه ، وفكره ، وغرائزه ، وعواطفه الخاصّة به . للمرأة خصائصها ، وللرجل خصائصه . ولو عاش هذان الجزءان بنفس تلك الحدود والموازن التي عيّنها الاسلام لآلّفا أسرة خالدة ، عطوفة ، مباركة ،

نافعة .

وفي العالم الغربي تتميز الأسرة اليوم بأن بناءها في غاية الوهن ، وتعاني من التفكك ، وتعاني المرأة بنفسها من أعباء العمل . فإذا اضمحلت العائلة - لا سمح الله - فإن كلاً من الرجل والمرأة يقع في الضياع والحيرة والشقاء ، إلا أن المرأة هي الأكثر شقاءً . وفي العالم الغربي تواجه المرأة مثل هذا الشقاء ؛ لأن نظم الأسرة ينفرط بسهولة فتتلاشى وتزول ، وفي بعض الأحيان تكون المبادرة من المرأة نفسها وهي في جميع الحالات تتحمل النتائج المريعة .

القضية المهمة - كما ذكرت - هي أن يعيش هذان العنصران وهذان الموجودان - مع مالهما من خصائص - بانسجام وتعايش مشترك في نطاق الأسرة ، إلا أن أحدهما أرق جسماً والآخر أقوى وأشد ، فإذا لم يحم القانون المرأة فقد يحيف عليها الرجل ؛ ولهذا فإن على القانون واجبات ثقيلة جداً لحماية النساء اللاتي كنّ أسراً في أطر اجوائهن العائلية ، وهو ما يجب علينا متابعتة بجد في بلدنا .

وفي جانب آخر ، تأهب النظام الاسلامي والحكومة الاسلامية اليوم للدفاع عن المظلومين في جميع أرجاء العالم ، ولذا دأب الاستكبار على التآمر ضد الجمهورية الاسلامية ، وقلماً يمضي شهر لا يكون فيه الاستكبار بكل أجهزته ومؤسساته وشركاته ، وبكل الأدمغة المأجورة ودوائر التخطيط لديه - التي دأبها التخطيط للتآمر على الشعوب والحكومات الحرة - بصدد التآمر وتوجيه ضربة لنظام الجمهورية الاسلامية ، وقد حبطت - بفضل الله - واندحرت جميع مساعي الاستكبار المناوئة لهذا النظام الاسلامي ؛ بفعل هذه التجمعات ، وهذا الانسجام والتلاحم ، وبسبب ما يتحلى به النساء والرجال - بحمد الله - من وعي في بلدنا ، وقد تمرغ أنف الاستكبار بالتراب مرّات في ساحة المواجهة مع هذا الشعب العظيم ، وفي هذا المجال كان الدور الأوفر لوعي ومشاركة الشعب

في الميادين المهمة اجتماعياً وسياسياً ، وكان لنسائنا - ولا زال - تأثير فاعل في هذا الصدد .

اليوم توجد - بحمد الله - جامعات وحوزات علمية في جميع أرجاء البلد ، والفتيات يدرسن في الحوزات العلمية وفي الجامعات ويكسبن العلوم والوعي في المجالات المختلفة ، وما دامت هذه الروح الشابة ، المتحمسة ، الواعية ، التي تتميز بالارادة والمحبة موجودة - وهي بحمد الله كبيرة في مجتمعنا - لن يقدر الاستكبار وأعداء هذا الشعب صغاراً وكباراً على ارتكاب أية حماقة .

أوصي أخواتي وبناتي العزيزات بالاستزادة من هذا الوعي ، ويجب أن تعتبر النساء أنفسهن مكلفات اليوم كالرجال بالاهتمام بالكتب ، والمطلعة ، والدقة ، والتحقيق ، والدراسة ، والخوض في القضايا موضع الابتلاء اليومي ، والاهتمام بالشؤون الدينية التي هي من جملة الواجبات الحتمية والبدئية . أنتن اللاتي تربين الأولاد الصالحين ، وأنتن اللاتي تشجعن ازواجكن على دخول الميادين الصالحة . إن الكثير من النساء يجعلن ازواجهن من أهل الجنة ، ويستنقذنهم من مشاكل الدنيا والآخرة .

قال الشيخ عيسى: لَا تُنَارِجِ السُّفَهَاءَ
وَلَا تُسَبِّحُنَّهُنَّ بِالنِّسَاءِ
فَإِنَّ ذَلِكَ يُرَى بِالْعُقُلَاءِ

غفر الله له ١٤١٢ هـ

دراسات

• السيد
محمد باقر الحكيم



تمهيد

يعتبر نظام الشعائر والعبادات من أهم الانظمة في الاسلام عامة والجماعة الصالحة خاصة . ومن خلال مراجعة عامة للنظام الاسلامي نجد أن الشعائر والعبادات احتلت مساحة واسعة في هذا النظام سواء على مستوى الأعمال والسلوك أو على مستوى الاقوال أو على مستوى المراسيم والأيام . ومن الملاحظ أيضاً أن موضوع الشعائر والعبادات اصبح موضوعاً متداخلاً في الاسلام ؛ حيث إن الشعائر التي هي عبارة عن المراسيم والآداب والنشاطات التي تميز الامة الاسلامية عن غيرها من الامم ، وتكون علامة فارقة لها عن الجماعات الأخرى ، اختلطت بالعبادات الاسلامية في الشكل والمضمون حتى أصبحت العبادات شعائر للاسلام مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها ، وأصبحت الشعائر في الاسلام عبادة كالأعياد والأيام أو الرسوم الاجتماعية من الزواج وغيره أو السلام والبسمة وغيرهما .

وقد ورد في القرآن الكريم التعبير بالشعائر عن اعمال الحج في عدة

أما كن كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١) .

(١) البقرة : ١٥٨ .

(٢) الحج : ٣٦ .

وقوله تعالى : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ (٢) .
وقوله تعالى في سياق الحديث عن وجوب الحج واعماله : ﴿وَمَنْ يَعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣) .

(٣) الحج : ٣٢ .

كما عبر القرآن الكريم عن موقف مزدلفة المقدس الذي امر بذكر الله تعالى فيه بالمشعر الحرام : ﴿فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ الضَّالِّينَ﴾ (٤) .

(٤) البقرة : ١٩٨ .

كما ورد في الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) تسمية النداء الذي يتفق عليه القائلون في الحرب كالشعار ؛ وذلك من اجل أن يتميزوا ويعرف بعضهم الآخر ولا يختلطوا باعدائهم .

فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : « شعارنا يا محمد يا محمد ، وشعارنا يوم بدر يا نصر الله اقترب اقترب ، وشعار المسلمين يوم أحد يا نصر الله اقترب ، ويوم بني النضير يا روح القدس أرح ، ويوم بني قينقاع يا ربنا لا يغلبتك ، ويوم الطائف يا رضوان ، وشعار يوم حنين يا بني عبد الله يا بني عبد الله ، ويوم الاحزاب هم لا يبصرون ، ويوم بني قريظة يا سلام أسلمهم ، ويوم المريسيع وهو يوم بني المصطلق ألا إلى الله الأمر ، ويوم الحديبية ألا لعنة الله على الظالمين ، ويوم خيبر يوم القموص يا علي أنهم من عل ، ويوم الفتح نحن عباد الله حقاً حقاً ، ويوم تبوك يا احد يا صمد ، ويوم بني الملوحة أمت أمت ، ويوم صفين يا نصر الله ، وشعار الحسين (عليه السلام) يا محمد ، وشعارنا يا محمد » (٥) .

(٥) وسائل الشيعة ١١ : ١٠٥ .

ح

وقد ذكر في لسان العرب عن الزجاج في معنى شعائر الله قوله : « يعني بها جميع متعبّدات الله التي أشعرها الله أي جعلها اعلاماً لنا وهي كل ما كان من موقف أو مسعى أو ذبح ... » (٦) .

(٦) لسان العرب ٤ : ٤١٤ .

وانطلاقاً من هذا الفهم يمكن أن نعرف أن المقصود من الشعائر الاسلامية هي تلك العبادات التي تقتضي اجتماعاً خاصاً ومتميزاً يعرف به

المسلمون مثل الحج وصلاة الجمعة والجماعة ، أو أوقاتاً معينة يختص المسلمون بإحيائها والالتزام بها وتميزهم عن غيرهم من الناس مثل الأعياد ولا سيما عيدي الفطر والاضحى ، أو أماكن خاصة للذكر والعبادة يقدسها المسلمون ويلتزمون باحترامها مثل المساجد ولا سيما المسجد الحرام ، ومسجد النبي ، والمسجد الأقصى ، والمواقف مثل عرفات ، ومزدلفة ، والصفاء والمروة . أو علامات ورسوم وآداب في القول والعمل تتفق عليها جماعة المسلمين للتعارف والتمايز كالسلام والتهاتف .

وأما العبادات فهي عبارة عن الصيغ والممارسات الخاصة التي شرعها الله تعالى لعباده من أجل أن يعبروا فيها عن صلتهم به ، وتكون طريقاً يصل العبد من خلاله إلى ربه ويقربه إليه ، مثل الصلاة والدعاء والصوم والانفاق والزكاة والخمس ، والذكر كالحمد والتسبيح والتكبير التي ترد في ضمن صيغ معينة وأوقات مشخصة . علماً بأن الله سبحانه وتعالى يفضلهُ ومنهُ فتح الباب امام الانسان أن يأتي بكل اعماله وتصرفاته على وجه قربي وعبادي عندما يقصد به الاستجابة للطلب الالهي والارشاد الرباني . ولكن العبادات يراد منها هنا تلك الصيغ التوقيفية المشخصة التي ورد نص خاص بها وشكل محدد لأدائها .

ويحسن بنا في البداية أن نشير إشارة مختصرة إلى أهمية الشعائر والعبادات ودورها في النظرية الاسلامية وفلسفة تشريعها^(٧) .

١ - أهمية الشعائر

أما الشعائر والشعارات فيمكن أن نشير إلى أربعة أبعاد فيها تمنحها أهمية خاصة :

الأول : أن الشعائر تعتبر اطاراً يحفظ للجماعة وجودها من الضياع وتماسكها ووحدتها من التفكك والتفرق .

الثاني : أن الشعائر لها دور مهم في تشخيص هوية الجماعة وترسيخ انتمائها إلى الاسلام وتميزها عن الجماعات الأخرى ؛ بحيث تحقق الشعائر

(٧) تناولنا دور الشعائر بشيء من التفصيل في بحث البسطة من تفسير سورة الحمد وهو تحت الطبع، وكذلك في تفسير سورة الجمعة. وقد تناول سيدنا الاستاذ الشهيد الصدر موضوع العبادات في بحث مستقل ألحقه برسالة العملية (الفتاوى الواضحة) تحت عنوان نظرة عامة في العبادات؛ وللإستزادة من هذا الموضوع يمكن مراجعة هذه الأبحاث في موضعها.

أصالة الامة واستقلال شخصيتها وينمّي فيها الشعور بالاعتزاز والكرامة والانتماء إلى الاسلام .

الثالث : أن الشعائر لها دور في تحقيق الهدف الاساسي من الرسالة وهو إيجاد عملية التغيير الاجتماعي ؛ حيث تكون الشعائر ممارسة عملية أو كلامية تؤثر على المحتوى الداخلي للانسان الشعوري والعاطفي والعقلي من خلال الممارسة المستمرة وتطابق الظاهر مع الباطن والشكل مع المضمون ؛ هذا من ناحية الفرد الممارس ، وبالإضافة إلى ذلك يكون له دور في الحالة الاجتماعية وشؤون الافراد الآخرين من خلال ما يوجد من عرف عام يكون له تأثير اكبر من القوانين والتشريعات أحياناً .

الرابع : أن الشعائر لها آثار ومدايل متعددة : (تربوية) كإيجاد العرف العام الذي يساهم في ضبط السلوك الاجتماعي للأفراد ، و(سياسية) من خلال الأداء الجمعي للشعائر كما في صلاة الجماعة والجمعة والحج الذي يظهر قوة الجماعة وتماسكها وعزتها وكرامتها ، ويؤدي إلى كسر حالة الخوف والتردد عند بعض الأفراد من خلال الانسجام في الحركة مع الآخرين ، و(الاجتماعية) من خلال تأكيده للعلاقات الاجتماعية بين الجماعة وإيجاد روح التكافل والتعاون والتفاهم والمودة بين افرادها ، وتبادل المنافع والمصالح كما هو في الحج ، و(إعلامي) من خلال ما تقدمه الشعائر للناس من مضامين عقائدية ومفاهيم فكرية وأخلاقية ، وكذلك يمكن أن تكون بعض الشعائر أفضل وسيلة للتعبير عن المتبنيات السياسية والاجتماعية .

٢ - العبادات (*)

دور العبادة

تعتبر العبادات في الشريعة الاسلامية أحد الخطوط الثابتة فيها التي لا تتغير بطريقة الحياة العامة وظروف التطور المدني ؛ ومن هنا فهي تعالج حاجة ثابتة في حياة الانسان .

(*) يمكن الاستفادة في شرح هذا الموضوع مما كتبه سيدنا الاستاذ الشهيد الصدر في رسالته العملية (الفتاوى الواضحة) الفصل الاخير (نظرة عامة في العبادات).

وهذا الثبات والحاجة باعتبار أن العبادة تعبر عن علاقة بين الانسان وربّه وهي علاقة ثابتة ومستمرة وفطرية . وتتبين هذه الحاجة :
 أولاً: في أن الانسان بحاجة إلى الانتماء إلى الله تعالى المطلق في الكمال ليستمر في مسيرته التصاعديّة ؛ ولئلا يتعرض للضياع في حالة عدم الانتماء ، أو يتعرض إلى الجمود والركود والسقوط في مستنقع الوثنية والغلو عندما يحوّل الولاءات النسبية الضيقة في حياته إلى مطلقات ينتمي إليها فيتوقف عندها في حركته .

والعبادة هي تعبير عملي موجه عن هذا الانتماء إلى المطلق ، ينمي في الانسان إيمانه بالله تعالى من خلال ممارسة العبادة التي تؤكد مضمون هذا الانتماء ، وفي نفس الوقت رفض المطلقات والآلهة الأخرى .

ثانياً: أن الانسان في مسيرته العملية الاجتماعية بحاجة إلى أن يقوم بأعمال من أجل الجماعة والمصلحة العامة ، كما يقوم أحياناً بأعمال من أجل مصلحته الخاصة ؛ ولا شك أن الدافع الذاتي للقيام بالعمل من النوع الثاني منه متحقق من خلال الفائدة التي يحصل عليها الانسان ، بخلاف النوع الاول حيث قد لا يتناسب الجهد الذي يبذله الانسان في تحقيق هذا النوع مع ما يصله من منفعة محدودة ضمن الجماعة ؛ بل قد يكون العمل من أجل المصلحة العامة على حساب مصلحته الخاصة .

وهنا يأتي دور العبادة التي تربي الانسان على أن يقوم بالاعمال من أجل الله تعالى وفي سبيله ، فيكون لها دور مهم في تربية الانسان على أن يقوم بالاعمال من أجل المصالح العامة ويتجاوز ذاته ومنافعه الخاصة فيها ؛ وذلك من خلال هذا الارتباط بالله تعالى .

وثالثاً: أن المجتمع الانساني بحاجة دائماً إلى وجود ضمانات تلتزم الافراد في ظلها بتطبيق النظام الذي يحكم المجتمع ؛ حيث نلاحظ أن النظام الاجتماعي - مهما كان شكله - حاجة ثابتة في المجتمعات الانسانية .

وهذا الضمان تارة يكون هو العقوبات المادية والمعنوية التي يضعها

المجتمع للمخالفين للنظام ، وأخرى يكون هو الشعور الداخلي بالمسؤولية أمام النظام والقانون . ولا شك أن نظام العقوبات محدود الفاعلية لأنه لا يمكن أن يلاحق الفرد في جميع حركاته وسكناته ، بخلاف الاحساس الداخلي بالمسؤولية .

وهنا يأتي دور العبادة في تنمية الشعور بالمسؤولية ؛ لأنها تنمي الارتباط بالله تعالى والشعور برقابته التي لا يعزب عنها مثقال ذرة في السموات والارض .

ملامح العبادة

وبالإضافة إلى هذه الادوار التي تؤديها العبادة في حياة الانسان نجد مجموعة من الملامح تتميز بها العبادة في الاسلام .

أ - الشمولية : حيث نلاحظ أن العبادة جاءت في الاسلام شاملة لجميع مناحي الحياة الانسانية الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بل دعى الاسلام أن يكون جميع سلوك الانسان عبادياً حتى في المأكل والمشرب ، وفتح الباب أمام قصد القرية إلى الله وتأكيد الارتباط به في جميع افعال الانسان ونشاطاته .

ب - الغيبية : حيث نلاحظ أن الاعمال والنشاطات العبادية عامة وإن كان لها تفسير منظور ومشهود نفسي وروحي أو مادي خارجي أو اجتماعي عام . ويشهد بذلك في بعض الاحيان التقدم العلمي بل نلاحظ ايضاً أن العلم كلما تقدم فتح الآفاق الجديدة حول فهم هذا الجانب من العبادة .

ولكن بالرغم من ذلك كله نلاحظ في العبادات (الشعائرية) مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها جانباً من الغيبية في السلوك العبادي الذي لا يمكن تفسيره إلا على اساس أن الهدف منه هو تأكيد الارتباط بالغيب وتصعيد الايمان به لدى الانسان ، فعدد الركعات مثلاً في الصلوات ، وهكذا بعض اعمال الحج من الطواف والسعي وغيرها ، نجد فيه هذه الجوانب .

ج - الحسية : وبالإضافة إلى الغيبية نلاحظ الحسية في العبادات

الاسلامية ؛ باعتبار أن الانسان مركب من روح ومادة وفيه جانب غيبي وجانب حسي ، ومن أجل انسجام العبادة في ممارساتها مع هذين الجانبين نجد أن الاسلام كما اكد النية والخلوص من ناحية والاقبال على الله تعالى في العبادة من ناحية اخرى حيث يعبران عن الجانب الروحي في الانسان ، كذلك اكد على الجوانب الحسية في الممارسة كما نلاحظ ذلك في الصلاة والحج وغيرهما من الواجبات والمستحبات .

وبذلك كان الاسلام ديناً وسطاً على خلاف الاتجاهين الآخرين المتطرفين ، اللذين يُلغي احدهما جميع التجسيديات الحسية للعبادة ويفترضها حالة روحية ونفسية ، ويحوّل الآخر العبادة إلى مجرد ممارسة حسية خارجية بعيدة عن المضمون والمدلول الروحي والقصدي فتتحول إلى حالة وثنية .

د - الاجتماعية : وبالإضافة إلى ذلك كله نجد في كثير من العبادات الجانب الاجتماعي الذي يراد منه ترسيخ وتوثيق الروابط بين ابناء المجتمع الانساني نفسه ؛ فالهدف الاساسي للعبادة وإن كان هو توثيق العلاقة بالله تعالى - كما ذكرنا - فإن هذا البعد يعتبر هدفاً ثانوياً في بعض العبادات ايضاً ، كما نلاحظ في الحج وصلاة الجماعة وصلاة الجمعة والعيدين والجهد في سبيل الله فضلاً عن الزكاة وغيرها .

كما أن الشعارات في نفسها تمثل هذا الجانب الاجتماعي من خلال توحيد الأمة وتشخيص هويتها كما ذكرنا . وكما هو في القبلة والعيدين وصلاة الجمعة .

وقد كان لهذه الأدوار والملامح أثرها في تأكيد الاسلام لدور العبادة والشعائر في النظام الاسلامي عامة .

ويمكن من خلال دراسة تفصيلية لكل عبادة أن نجد الكثير من الأهداف والنتائج والآثار .

وتبعاً للنظرية الاسلامية في التأكيد لدور الشعائر والعبادات نجد أهل

البيت سلام الله عليهم يحثون في هذا الجانب ويؤكدونه بشكل تفصيلي ورائع من خلال شرح وتقديم أمثلة ونماذج وتفاصيل عن الشعائر والعبادات بحيث تستوعب الحياة اليومية والاسبوعية والسنوية للانسان المسلم ، وتمكنوا من خلال ذلك أن يرسخوا دعائم بناء الجماعة الصالحة الروحي والاجتماعي ويعمقوا صلة الانسان الشيعي بالله تعالى ويحكموا بنيان الكتلة الصالحة .

ونحن هنا لا نتناول بطبيعة الحال النماذج الاسلامية المعروفة في العبادات مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد ، أو الشعائر مع العيدين (الفطر والاضحى) أو السلام وغيرها فإنه ذلك امر معروف وواضح.

وانما نتناول العبادات والشعائر التي اختص بها أهل البيت عليهم السلام أو اهتموا بها بشكل خاص في تربية الجماعة الصالحة .

ولكن لا يفوتنا ايضاً التأكيد أن أهل البيت عليهم السلام اهتموا ايضاً بالشعائر الاسلامية العامة في حديثهم وتربيتهم حيث ورد عنهم عليهم السلام : « بني الاسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية » ^(٨) .

(٨) الكافي ٢ : ٨٨ ، ح ٢ .

وعن علي بن ابراهيم ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « بني الاسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية . قال زرارة : قلت : وأي شيء من ذلك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل : لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن ، قلت : ثم الذي يلي ذلك في الفضل ؟ فقال : الصلاة : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الصلاة عمود دينكم . قال : قلت : ثم الذي يليها في الفضل ؟ قال : الزكاة لأنه قرننها بها وبدأ بالصلاة قبلها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الزكاة تذهب الذنوب . قلت : والذي يليها في الفضل ؟ قال : الحج ، قال الله عز وجل : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ ^(٩) . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لحجة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة . ومن طاف بهذا البيت طوافاً

(٩) آل عمران : ٩٧ .

أحصى فيه اسبوعه واحسن ركعتيه غفر الله له ، وقال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال . قلت : فماذا يتبعه ؟ قال : الصوم ، قلت : وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : الصوم جنة من النار . قال : ثم قال : إن أفضل الأشياء ما إذا فاتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤديه بعينه : إن الصلاة والزكاة والحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها ، وإن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أدبت مكانه اياماً غيرها وجزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك ، وليس من تلك الاربعة شيء يجزيك مكانه غيره . قال : ثم قال : نزوة الامر وسنانه ومفتاحه وباب الاشياء ورضا الرحمن الطاعة للامام بعد معرفته : إن الله عزوجل يقول : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظاً ﴾ (١٠) أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله عزوجل حق في ثوابه ولا كان من اهل الايمان ، ثم قال : أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته » (١١) .

(١٠) النساء : ٨٠ .

(١١) الكافي ٢ : ١٨ ، ح ٥ .

وعن سليمان بن خالد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « ألا أخبرك بالاسلام أصله وفرعه وذرؤه وسنانه ؟ قلت : بلى جعلت فداك ، قال : أما أصله فالصلاة وفرعه الزكاة وذرؤه سنانه الجهاد ، ثم قال : إن شئت أخبرتك بأبواب الخير ؟ قلت : نعم جعلت فداك ؟ قال : الصوم جنة من النار ، والصدقة تذهب بالخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل يذكر الله ، ثم قرأ عليه السلام : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ (١٢) . كما أننا نجد مثل هذا التأكيد ببيانات متعددة في كل واحدة من العبادات .

(١٢) الكافي ٢ : ٢٣ ، ح ١٥ .

السنة والشعائر المذهبية

ولكن قد يثار هذا السؤال في باب الشعائر والعبادات التي اهتم بها أهل البيت عليه السلام في بناء الجماعة الصالحة ، وهو هل ابتدعت هذه الشعائر والعبادات باعتبارها غير معروفة لدى عامة المسلمين ؟ حيث يحاول بعض الناس إثارة مثل هذه الشبهات ولا سيما الوهابيين منهم .

وتفصيل الجواب عن هذا السؤال نحيله ونتركه إلى البحث العقائدي^(١٣)، ولكن نشير هنا إلى جوابين إجمالين :

الأول : أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم الثقل الآخر - كما نص على ذلك حديث الثقلين الذي رواه جميع المسلمين - المفسر للقرآن الكريم والمبين للسنة النبوية الشريفة والشريعة الإسلامية السمحة ، وهم (المرجع) الإسلامي الأصل الذي بين لهم رسول الله صلى الله عليه وآله جميع تفاصيل الشريعة وتفسير القرآن الكريم وأرجع إليهم المسلمين ، كما ذكرنا ذلك في بحث مرجعية أهل البيت عليهم السلام من التفسير^(١٤) وهم أعرف الناس بالرسالة الإسلامية وأصدقهم قولاً وأكثرهم علماً ودراية بها وأتقنهم في فهمها ومعرفتها .

وقد روى الكليني بطريق معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال : « نزل جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله برمانتين من الجنة ، فلقبه علي عليه السلام فقال : ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك ؟ فقال : أما هذه فالنبوة ، ليس لك فيها نصيب ، وأما هذه فالعلم ، ثم فلقها رسول الله صلى الله عليه وآله بنصفين فأعطاه نصفها وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله نصفها ، ثم قال : أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه . قال : فلم يعلم والله رسول الله صلى الله عليه وآله حرفاً مما علمه الله عزوجل إلا وقد علمه علياً ، ثم انتهى العلم إلينا ، ثم وضع يده على صدره »^(١٥) .

ومن هنا فإن هذه الشعائر المذهبية لما كانت مما ورد فيه الحديث والتأكيد عن أهل البيت عليهم السلام أصبحت في أعلى درجات المشروعية والاعتبار ، وكانت سنة إسلامية أصيلة ، لأن أهل البيت عليهم السلام أدرى بالذي فيه ، وهم أعرف بأصول الإسلام وفروعه وسننه وآدابه .

الثاني : أن الشعائر والعبادات المذهبية للجماعة الصالحة ليس فيها ما يخالف الشعائر الإسلامية في الشكل أو المضمون ، أو يحرفها ويخرجها عن أهدافها ودورها أو ملامحها التي أشرنا إليها ، بل جاءت تأكيداً للشعائر الإسلامية وعلى منهجها ونسقها وتعميقاً لها .

وسوف نلاحظ عند استعراضنا لهذه الشعائر والعبادات المذهبية أنها إما أن تكون تجسيداً لخط عام أقره الإسلام كما هو الحال في الوان الصلاة

(١٣) سوف نتناول مثل هذه الموضوعات في الكتاب السادس إن شاء الله . كما أن هناك كتباً كثيرة تناولت هذا الموضوع ، ولا سيما للكتب التي ناقشت أفكار المذهب الوهابي مما كتبه علماء الشيعة والسنة .

(١٤) راجع كتابنا (علوم القرآن) بحث (التفسير والمفسرون) قسم التفسير في عهد الرسول (مرجعية أهل البيت) .

(١٥) الكافي ١: ٣٦٣، ح ٣، كما أن هناك العشرات من الروايات التي تدل على هذا الاتجاه في المضمون .

والدعاء والزيارة ، أو تخليداً وتكريماً لذكرى أو مناسبة ذات صلة وطيدة بالاسلام واحداثه يجعل الشعائر احياء لذكر الاسلام وذكر أهل البيت عليه السلام ، مثل المولد النبوي ، والمبعث الشريف وعيد الغدير وغيرها ، وإما أن تكون تكريساً وتصعيداً لمضمون أو دعوة اسلامية كما هو الحال في احياء شهر رمضان ورجب وشعبان أو ليالي القدر أو اعمال اليوم واللييلة وغيرها من الموارد .

وقد كان أهتمام أهل البيت عليه السلام بهذه الشعائر الخاصة انسجاماً أيضاً مع الدور العام للشعائر حيث إنهم لم يكتفوا بالشعائر العامة بل ارادوا للجماعة الصالحة وشيعتهم أن يتميزوا في الخصوصية والهوية ولو على مستوى الاحساس الداخلي للجماعة أو الروحي والنفسي لها ، لا سيما إذا اخذنا بنظر الاعتبار أن ممارسة الجماعة الصالحة للشعائر (العامة) وحدها تجعلهم يتجهون للانصهار في الاوضاع العامة السائدة للناس ، فيتأثروا بسوء اوضاع الناس ولا يؤثروا فيهم ؛ وقد أراد أهل البيت عليه السلام لأتباعهم أن يتعايشوا مع الناس لا أن ينصهروا في اوضاعهم ، بل لابد لهم أن يتميزوا عنهم قدوةً واسوة لهم .

كما أنهم لم يكونوا قادرين على ممارسة العبادات والشعائر العامة بحرية وتفاعل ؛ وذلك بسبب النظرة السلبية التي نظر بها الناس إلى اتباع أهل البيت عليه السلام لعوامل سياسية أشرنا إليها في موضوع نظام امن الجماعة . وسوف نتناول نظام الشعائر والعبادات في مبحثين رئيسيين :

الاول : نظام الشعائر .

الثاني : نظام العبادات .

المبحث الأول : نظام الشعائر

من خلال مراجعة عامة لكتب الحديث والادعية والزيارات وكذلك للممارسة الواقعية الخارجية لاتباع أهل البيت ، يمكن أن نلاحظ مجموعة من الخطوط الرئيسية للشعائر التي اهتم بها أهل البيت عليه السلام ، وحثوا

شيعتهم واتباعهم عليها واقاموا بناء الجماعة الصالحة في اطارها ؛ ولكن يلاحظ أن هذه الخطوط تكاد تتمحور بشكل عام حول محورين رئيسيين : أحدهما تأكيد الشعائر الاسلامية العامة ، والآخر «أهل البيت عليه السلام» انفسهم» .

ولا شك أن تأكيد الشعائر الاسلامية العامة - كما سوف نلاحظ - هو امر في غاية الوضوح ؛ لأن أهل البيت عليه السلام هم حماة الاسلام وامتداد الرسالة الاسلامية ، والاسلام بشعائره يمثل الاساس المهم في بناء الجماعة الصالحة ؛ ومن هنا نجد أهل البيت عليه السلام يؤكدون بشكل خاص وواسع الشعائر الاسلامية العامة ، واقامتها حتى في الظروف الصعبة كالصلاة والحج والزكاة والصوم وغيرها .

وأما جعل أهل البيت عليه السلام محورا آخر للشعائر فهذا ينطلق من رؤية أهل البيت عليه السلام للنظرية الاسلامية التي اشروا إليها آنفاً ، وهي أنها تقوم على اركان خمسة : (الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية) والولاية - بحسب نظر أهل البيت عليه السلام - هي الركن الأهم من هذه الاركان الخمسة ؛ حيث إنه لم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، وإن الولاية هي الحافظ لهن والوالي هو العارف بهن ، وإن الصلاة والزكاة والصوم والحج لا تقبل إلا بالولاية كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

ويُعتبر أهل البيت عليه السلام محور الولاية بل مضمونها الحقيقي كما نصت على ذلك الآيات الشريفة ، مثل آيات المودة والتطهير والخمس والولاية (١٦) وغيرها ، وكذلك الروايات الشريفة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله مثل أحاديث الغدير والثقلين والسفينة (١٧) وغيرها .

ومن هنا يصبح التعبير عن هذا الحب والمودة والولاء لاهل البيت عليه السلام من الشعائر الاسلامية ، عندما يكون ضمن الصيغ والاساليب العقلانية المشروعة التي يستخدمها العقلاء في التعبير عن هذه المشاعر النبيلة ؛ لأن هذا التعبير عن الحب والولاء إنما هو تعبير عن ركن من الاركان التي بني

(١٦) الشورى: ٢٣، الاحزاب: ٣٣، الانفال: ٤١، المائدة: ٥٥ .

(١٧) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أيها الناس من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم والي من والاه واعداء من عاداه وانصره واخلد من خذله وأحب من أحبه وبغض من بغضه» عن الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ١٩١ ، وقال : «إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا هم تخلفوني فيهما» عن مسند احمد بن حنبل ١٧: ٣ ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنما أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» كنز العمال ٢١٦: ٦ .

عليها الاسلام ضمن الصيغ المشروعة والمحددة من قبل أهل البيت عليهم السلام. ولذا نجد أهل البيت عليهم السلام لم يتركوا (الجماعة الصالحة) وبقية المسلمين في هذا المجال ، دون أن يحددوا ويوضحوا مجموعة من الصيغ والمناهج العامة لتصبح (شعائر) للتعبير عن هذه المودة والولاء .

وبصدد الحديث عن الشعائر ذات العلاقة بهذين المحورين نجد أمامنا مجموعة من العناوين مثل : (شعائر أهل البيت) و(الايام والليالي) و(الرسوم والآداب) و(المساجد والاماكن المقدسة) .

أولاً : شعائر أهل البيت

لعل أغلب الشعائر الخاصة التي تمارسها الجماعة الصالحة لها ارتباط مباشر أو غير مباشر بأهل البيت عليهم السلام ، كما سوف نبين ذلك ؛ ولكن نريد هنا أن نتحدث عن الشعائر التي يكون المحور فيها هو أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم أشخاصاً لهم مقام سام عند الله تعالى ، ولهم منصب الامامة والولاية ؛ ولذا يندرج تحت هذا العنوان الامور التالية :

أ - الشعائر الحسينية .

ب - احياء ذكريات المعصومين .

ج - الزيارات لقبورهم ومقاماتهم .

أ - الشعائر الحسينية

تمثل الشعائر الحسينية وكذلك احياء ذكريات المعصومين في مضمونها ومحتواها - بالاضافة إلى تعبيرها عن الولاء لاهل البيت عليهم السلام عامة وللإمام الحسين خاصة - اجتماعاً للتدوال في الامور العقائدية والشؤون الاخلاقية والاجتماعية والتاريخية ، والقضايا ذات العلاقة بالامور الحيوية اليومية التي تهم المسلمين ؛ فهي اجتماع يشبه في جانب من مضمونه صلاة الجمعة من حيث مضمونها الاجتماعي ، التي يجتمع فيها المسلمون للاستماع إلى خطيب الجمعة الذي يحدثهم ويعظمهم ويذكرهم بالله ويتناول في حديثه مختلف الابعاد^(١٨) ، وفي جانب آخر من

(١٨) لا تمثل هذه الاجتماعات بطبيعة الحال بديلاً عن صلاة الجمعة؛ لأن صلاة الجمعة فيها حديث وصلاة، ولكنها تمثل امتداداً للمضمون الشعائري في صلاة الجمعة، ونجد في صلاة الجمعة الجذر والخط الاسلامي لهذه الشعائر.

مضمونه يكون التذاكر للعلم والمعرفة والاخلاق .

وقد تحدثنا في الجانب الثقافي عن الشعائر الحسينية وفلسفتها وآثارها ونتائجها الروحية والثقافية والسياسية ، وما جاء النص فيه أو اخترعه الناس منها ، فلا نحتاج إلى الاعادة بهذا الصدد .

وبالرغم من أن الشعائر الحسينية هي احياء لذكرى الامام الحسين عليه السلام ، أفردناها بالحديث لأن لها اهمية وخصوصية من بين هذه الذكريات جميعاً ؛ حيث ذكرنا أن أهل البيت اعطوها الكثير من الأهمية والعناية بحيث تحولت إلى مدرسة ثقافية وروحية وسلوكية في بناء الجماعة الصالحة كما اشرنا .

ونتناول هنا مجمل المراسيم والأوقات التي يلتزم بها اتباع أهل البيت في إحياء الشعائر الحسينية ويمكن تقسيمها إلى خمسة اصناف رئيسية :

١- العشرة الاولى من محرم

الاول هو الشعائر في العشرة الاولى من محرم (وهي من اليوم الأول إلى العاشر منه) ؛ حيث نجد أبناء الجماعة الصالحة عامة وفي جميع مناطق وجودهم يحتفلون بهذه الشعائر ويجلسون للعزاء والبكاء ومدارسة الحديث في القضايا الثقافية والعقائدية المختلفة ، وتكاد أن تكون المشاركة لديهم بهذه الشعائر من الواجبات المذهبية ؛ بحيث أن بعض ابناء الجماعة لا يكاد يشارك في اجتماع مذهبي طيلة السنة إلا في هذه الأيام ، ويهتمون فيها بإطعام الطعام والاجتماع واظهار مظاهر الحزن .

وتتفاوت اهتمامات ابناء الجماعة في هذا المجال حسب اختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية والاجتماعية وظروفهم السياسية .

فبعضهم يهتم بالمجالس الحسينية وبيذل الاموال الطائلة في تحشيد اكبر عدد من الناس فيها ، واختيار افضل الخطباء والمتحدثين والقارئین ، وكذلك في نفس الوقت نجد الكثير من ابناء الجماعة الواعين ثقافياً يهتمون

بحضور هذه المجالس والمشاركة فيها والاستفادة منها ثقافياً وروحياً وعاطفياً.

وإلى جانب ذلك نجد أيضاً من هذا الوسط الاهتمام بالزيارة للامام الحسين (عليه السلام) من (قرب أي قصد حرمة الشريف والحضور فيه) (١٩) أو من البعد) وهي ذكره بالسلام والتحية والتظلم له والبيعة له ، والبراءة من اعدائهم ولعنهم وذمهم واستنكار عملهم الوحشي .

كما أن موضوع البكاء والظهور بمظاهر الحزن والعزاء والألم من القضايا المتميزة في هذه الايام لدى الاوساط العامة والخاصة من ابناء الجماعة الصالحة .

وبالاضافة إلى ذلك كله نجد موضوع بذل الطعام والشراب بشكل عام في هذا الموسم الشريف وفي هذه الايام بشكل خاص ؛ ومن هنا نعرف أن الخطوط التي جاء النص فيها - كما ذكرنا في بحث الشعائر الحسينية - تحظى باهتمام خاص في الايام العشر الاوائل من شهر محرم الحرام .

ولكن إلى جانب ذلك نجد ألواناً أخرى من الاهتمامات خصوصاً في الاوساط العامة من اتباع أهل البيت تعبيراً عن الخط الثالث ، وهو الخروج في مواكب ومسيرات تجوب الشوارع للتعبير عن الولاء والحزن ، أو القيام بمراسم (التمثيل) و(التشبيه) لبعض جوانب المأساة والمصيبة مثل السير إلى كربلاء أو حرق الخيام أو مسيرة الاسرى أو غير ذلك ، أو تمثيل جميع الاحداث التي جرت في يوم العاشر من محرم الحرام . وغير ذلك من النشاطات العامة التي لم يرد فيها نص وإنما اخترعها الناس للتعبير عن عواطفهم واحاسيسهم (٢٠).

ويختص اليوم العاشر من هذه الأيام ببلوغ المراسيم أوجها ؛ حيث تعطل الاسواق ويشارك جميع ابناء الجماعة - تقريباً - بمراسيم العزاء ويتم إعداد الطعام بما يكفي جميع المشاركين .

(١٩) سوف نشير في (شعار الزيارة) بشكل مستقل إلى أن هناك زيارات في اوقات مخصوصة للامام الحسين (عليه السلام) ولغيره من ائمة أهل البيت تزار من قرب وبعد.

(٢٠) ومن المؤسف أن بعض هذه الفعاليات أو غيرها (كالطبير) تجري احياناً مقترنة بأعمال منافية للذوق العام، أو غير مشروعة أو تكون بنفسها أو بعض ممارساتها بعيدة عن الاهداف التي استهدفها ائمة أهل البيت (عليهم السلام) من وراء هذه الشعائر؛ وغالباً ما يقوم بهذا النوع من النشاط (السوق) و(العامة) من الناس الذين لا يشاركون في هذه الشعائر إلا في مثل هذه الأيام ، ومن ثم فهم يرون أن هذه الاساليب أقرب إلى فهمهم وطريقتهم في التعبير عن العواطف والمشاعر؛ ولذا نجد العلماء والمتقنين والواعين من ابناء الجماعة الصالحة لا يشاركون في هذه النشاطات السنافية، بل يستنكرونها احياناً بالبيانات، أو الكلام، أو ينكرونها بقلوبهم عندما لا يجدون من يسمع لهم، أو يخافون الفتنة والاختلاف والنزاع الذي يكون ضرره احياناً اكبر من وجود هذه المخالفات.

٢- محرم وصفر

الصنف الثاني بقية الأيام من شهر محرم وشهر صفر حيث تأتي في أهميتها بالدرجة الثانية بعد العشرة الاولى من محرم ؛ فيتحول هذان الشهران إلى موسم للشعائر الحسينية تقام فيه المجالس العامة من قبل الأصناف والجماعات في الاماكن العامة والخاصة ، ويتخذون كل (عشرة) من هذين الشهرين فصلاً جديداً تشبهاً بالعشرة الاولى ويذكرون فيها ما يناسبها من الخصوصيات ، حتى تنتهي بالأربعين الحسيني وتكون العشرة الأخيرة ذات علاقة برجوع السبايا إلى المدينة ، وكذلك بوفاة النبي ﷺ على ما سوف نشير إليه في ضمن الإشارة إلى المناسبة .

والطابع العام في هذا الصنف من الشعائر هو (المجالس) ، باستثناء الأربعين الذي تشكل فيه المواكب والمسيرات وتقصد العتبات المقدسة مثل كربلاء في العراق ، ومشهد الامام الرضا ﷺ ومشهد فاطمة بنت موسى وغيرهما في ايران ، أو الاماكن العامة المقدسة كالمساجد الكبيرة أو الحسينيات أو المؤسسات ؛ كل ذلك تخليداً لرجوع السبايا إلى كربلاء في رواية وتجديداً للعهد مع الامام الحسين ﷺ .

٣- المجالس الاسبوعية

الصنف الثالث المجالس الاسبوعية أو الشهرية التي اعتاد شيعة أهل البيت والجماعة الصالحة أن يقيموها دورياً في كل اسبوع أو شهر ، سواء في الأماكن العامة لهم أو في بيوتهم ، وذلك استجابة لنداء الأئمة في عقد هذه الاجتماعات كما اشرنا إليه في بحث نظام العلاقات الاجتماعية .

وبذلك تصبح قضية الامام الحسين والولاء لأهل البيت وذكرهم محوراً لهذه الاجتماعات كما حث أهل البيت ﷺ على ذلك ؛ وإن كان الحديث فيها يتناول أيضاً مختلف القضايا العقائدية والاخلاقية والسلوكية والتاريخية والادبية وغيرها .

كما أن بعض الظروف السياسية التي مرت بهذه الشعائر وتصدي الحكام الطغاة والظلمة للقضاء عليها ، بهدف القضاء على اصل الشعائر كلها ، جعل بعض العامة يتعصبون لها كما يتعصبون للامام الحسين ﷺ ، وبعض العلماء يسكتون أو يأنسون بممارستها حرصاً منهم على استمرار اصل الشعائر ؛ لأن العامة يمثلون القوة الشعبية التي يمكن أن تقف امام الحكام الطغاة ، أو لأن بعض العلماء يرون أن ممارسة هذا العمل في نفسه لا يوجد دليل على حرمة ، فهو مباح بالاصل وفي ممارسته شعاراً فيه مصلحة أو دفع مفسدة في مثل هذه الظروف ، أو يرونه أفضل طريق لجمع العامة وجذبهم للاحتفال بذكرى الحسين ﷺ ؛ ولكن الموقف الصحيح الذي تبناه المرجع الاعلى في عصره الامام الحكيم ﷺ في أيامه الأخيرة ، وكذلك قائد الثورة الاسلامية في ايران الامام الخميني ﷺ ، وكذلك القرار الذي اصدره من بعده خليفته آية الله السيد علي الخامنئي وموقف جماعة من كبار العلماء ، هو أن مثل هذه الشعائر أصبح ضررها

-

على الجماعة الصالحة أكبر من نفعها؛ إذ تشوه صورتها وتقف حائلاً بين أنوار الأئمة وأصالة فهمهم للإسلام وبين جمهور الناس من المسلمين، بالإضافة إلى وجود شبهة (البدعة) المحرمة فيها لأنها يؤتى بها أحياناً على أنها عمل عبادي يقترب به إلى الله، ولم يرد نص شرعي يثبت التعبد بها منه تعالى لا بخصوصها ولا بعنوان عام ينطبق عليها والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولذا نجد أن الجماعات أو الأشخاص يختارون يوماً أو ليلة من الأسبوع أو الشهر ويلتزمون بعقد الاجتماع فيه حسب ظروفهم، فتكون هذه الاجتماعات مدرسة مستمرة وقائمة على طول السنة، ويحاولون أن ينسقوا الأيام والأوقات بينهم ليستفيد الجميع من هذه الاجتماعات؛ وإن كان الأكثر يختار ليلة الجمعة ويومها باعتبار خصوصية هذين الوقتين. ومن خلال هذه الاجتماعات تتأكد العلاقات الاجتماعية وتحقق المنافع الدينية والدنيوية الصالحة، فتتحول مثلاً اجتماعات أهل العلم إلى أبحاث علمية وأهل الأدب إلى اجتماعات أدبية والتجار إلى أحاديث تجارية؛ كل ذلك بعد ذكر أهل البيت وما يتناوله الخطيب من موضوعات دينية.

٤- المجالس في شهر رمضان

والصنف الرابع هو المجالس في شهر رمضان المبارك؛ حيث يتحول هذا الموسم العبادي الشريف - كما سوف نشير إليه - إلى موسم ثقافي أيضاً من خلال عقد المجالس العامة التي يكون طابعها ذكر الإمام الحسين (عليه السلام)؛ ولكن الحديث فيها يتناول عادة الموضوعات الإسلامية بشكل أعم وأشمل، وتتركز هذه الموضوعات عادة في القضايا الأخلاقية والروحية والسلوكية والأحكام الشرعية، وإن كانت تشمل أيضاً الموضوعات الفكرية والعقائدية والتاريخية.

وبهذا نجد موازنة بين موسم شهر رمضان وبين موسم محرم وصفر من الناحية الثقافية؛ حيث يتم التركيز في الموسم الأول في القضايا السياسية والنهضة ضد الظلم والطغيان والفساد وأهدافها وعواملها وأسبابها التاريخية، وكذلك الجانب العاطفي والمشاعري، وأيضاً العقائد المذهبية.

وأما في موسم شهر رمضان فيكون التركيز في القضايا الأخلاقية والروحية والأحكام الشرعية ذات العلاقة بالسلوك الإنساني، وخصوصاً مسائل الصلاة والصوم والزكاة وغيرها، بالإضافة إلى الجانب العقائدي

العربتبط بأصول الدين كالتوحيد والنبوة والوحي والمعاد .

كل ذلك مع وجود مشتركات بين هذين الموسمين ترتبط بالأوضاع العامة لأبناء الجماعة الصالحة ، وكذلك بموضوع الامام الحسين عليه السلام .

٥ - المناسبات الخاصة

والصنف الخامس هو المجالس الحسينية في المناسبات الخاصة ، حيث اهتم أهل البيت عليه السلام في بناء الجماعة الخاصة بموضوع عقد الاجتماعات بين أتباعهم في مختلف المناسبات ، وكانت الشعائر الحسينية هي محور هذه الاجتماعات ؛ ففي مناسبات الوفيات تعقد مجالس التعزية لذكر مصيبة الامام الحسين عليه السلام أو أصحابه قربة إلى الله تعالى وتخفيفاً لألم المصاب . وكذلك في مناسبات أخرى مثل المجيء من الحج أو الأسفار الطويلة ، أو الانتقال إلى مسكن أو بيت جديد ، أو افتتاح مؤسسة عامة أو خاصة ، أو الشفاء من المرض الشديد وغير ذلك من المناسبات ذات الطبيعة العامة ، وحتى بعض القضايا الخاصة التي يبتلى بها بعض الناس حيث يتقربون إلى الله تعالى أو يتبركون بذكر الحسين عليه السلام ، وعقد هذه الاجتماعات ، بحيث أصبحت هذه الاجتماعات شعاراً لهذه الجماعة الصالحة .

ب - إحياء ذكريات المعصومين عليه السلام

إن إحياء ذكريات المعصومين عليه السلام يمكن أن نقسمه إلى قسمين :
الأول : إحياء شهاداتهم ووفياتهم .
الثاني : إحياء مواليدهم وأفراحهم .

١ - إحياء الوفيات والشهادات

أما القسم الأول فإن الجماعة الصالحة - انطلاقاً من تأكيد أهل البيت عليه السلام لإحياء أمرهم كما أشرنا إلى ذلك في بحث العلاقات الاجتماعية - اهتموا بإحياء شهادات ووفيات المعصومين الثلاثة عشر من أهل البيت عليه السلام (النبي الأكرم وابنته فاطمة الزهراء والأئمة الأحد عشر) ، وكذلك بعض أولادهم

وشيعتهم مثل مسلم بن عقيل وزينب الكبرى وزيد بن علي وأبي طالب وأم البنين وغيرهم .

والاتجاه العام في ثقافة الجماعة الصالحة أن من الائمة من تعرضوا للقتل والاستشهاد بالسيف ، وهما الامامان أمير المؤمنين والحسين بن علي عليه السلام ، ومنهم من استشهد بالسم وهم باقي الائمة باستثناء الامام الحجة (عج) الذي لا يزال حياً .

وهذا المعنى وإن لم يثبت تاريخياً إلا بالنسبة لعدد معين من ائمة أهل البيت عليهم السلام ، وهم الحسن والكاظم والرضا عليهم السلام ، فإن المتحدثين والقراء يستندون فيه إلى رواية عن الامام الرضا عليه السلام يقول فيها: « ما منا إلا مقتول أو مسموم » .

والروايات في تشخيص أيام وفيات الائمة وشهادتهم وإن كانت مختلفة ومتباينة ، حيث يبدو أنه لم يتم ضبط تاريخي دقيق لهذا الأمر لأسباب لا مجال لذكرها، فإن الجماعة الصالحة قد التزمت بصفة عامة ببعض هذه الروايات ، وأصبحت الأيام المعينة بها هي التي يحتفل بها أتباع أهل البيت عليهم السلام بوجه عام ، مع اختلاف جزئي بين بعض المناطق سوف نشير إليه اجمالاً .

وتكاد أن تكون هذه الوفيات والشهادات موزعة على مختلف شهور السنة ، باستثناء شهر شعبان ^(٢١) ، بحيث تؤلف هذه الاحتفالات دورة سنوية ، مما يؤكد فكرة أن هذا العمل كان مخططاً تخطيطاً دقيقاً ؛ ليكون أحد شعارات الجماعة الصالحة ذات المضامين المتعددة الثقافية والروحية والاجتماعية .

وفي هذه الاجتماعات يتم بحث حياة المعصوم وإبراز مظلوميته ، بالإضافة إلى تناول الأحداث التاريخية ذات العلاقة به بالتحليل ، وكذلك تناول بعض الموضوعات العقائدية الاسلامية أو المذهبية ، أو تناول بعض الوصايا والمواعظ الأخلاقية ذات الصلة بالامام ، ويتم ختم المجلس

(٢١) شهر شعبان شهر المواليد والأفراح كما سوف يتبين من العنوان الثالث .

والاجتماع عادة بذكر مصيبة الامام الخاص وكذلك مصيبة الامام الحسين عليه السلام .

وتكاد أن تكون هذه (المجالس) صورة أخرى من المجالس الحسينية التي تحدثنا عنها آنفاً ، ولكن بعناية خاصة بحياة الامام صاحب الذكرى . وهناك اهتمام خاص في أوساط الجماعة عامة بذكرى النبي صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام والزهاء البتول عليه السلام من بين المعصومين ، بالإضافة إلى ذكرى الامام الحسين عليه السلام كما سبق ، ولكن في بعض الأوساط يوجد اهتمام خاص ببعض الائمة الآخرين ، ولا سيما الأوساط القريبة من المشهد الذي دفن فيه الامام صاحب الذكرى . فمثلاً في الكاظمية يوجد اهتمام خاص بوفاة الامام الكاظم ، بحيث تصبح المراسيم والشعائر ذات صفة عامة وشاملة وتعطل فيها الأسواق وتخرج المواكب ، وكذلك الأمر في مشهد الامام الرضا عليه السلام في خراسان بل في عموم ايران ، وكذلك وفاة الامام الهادي عليه السلام في سامراء (٢٢) .

ونذكر هنا قائمة تحتوي الأيام المعروفة التي أرخت فيها وفيات وشهادات هؤلاء المعصومين عليه السلام :

١ - وفاة النبي الأعظم : ٢٨ صفر .

٢ - شهادة الامام علي عليه السلام : ١٩ - ٢١ رمضان ، حيث جرح في التاسع عشر من رمضان واستشهد في الواحد والعشرين منه .

٣ - شهادة الصديقة فاطمة الزهراء : ٨ ربيع الثاني و ١٥ جمادى الأولى و ٣ جمادى الثانية ، حيث إن هناك روايات عديدة في يوم وفاتها ، وتقام المجالس عادة في التاريخين الأخيرين ، وتمتد المجالس أحياناً بينهما لفترة عشرين يوماً . وفي العراق تقام بعض المجالس في التاريخ الأول .

٤ - وفاة الامام الحسن المجتبي عليه السلام : ٧ صفر في العراق ، و ٢٨ صفر في ايران حيث تكون مع مناسبة وفاة النبي .

٥ - شهادة الامام الحسين عليه السلام : ١٠ محرم ، وقد سبق الحديث عنها .

(٢٢) كانت تقام المواكب وتقصد الناس في العراق من مناطق مختلفة ، وقد قام المجرمون حكاهم البعث العقلي بالتضييق على مجمل هذه النشاطات ومنعها ؛ انطلاقاً من موقف العداء لأهل البيت عليه السلام وأتباعهم .

- ٦- شهادة الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام : ٢٥ محرم الحرام ، وقد تقام في الثاني عشر من محرم .
- ٧- شهادة الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام : ٧ ذي الحجة الحرام .
- ٨- شهادة الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : ٢٥ شوال .
- ٩- شهادة الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام : ٢٥ رجب .
- ١٠- شهادة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام : ١٧ صفر في العراق ، وآخر صفر في ايران .
- ١١- شهادة الامام محمد بن علي الجواد التقي عليه السلام : آخر ذي القعدة .
- ١٢- شهادة الامام علي بن محمد الهادي النقي عليه السلام : ٣ رجب .
- ١٣- شهادة الامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام : ٨ ربيع الأول .

٢- مواليد المعصومين وأقراهم

وأما القسم الثاني فهو الاحتفاء بمواليد المعصومين إلى جانب إحياء ذكرى وفياتهم وشهاداتهم ، وبذلك توجد بعض الموازنة بين الاهتمام البالغ بالأحزان والآلام والاهتمام بالأقراح ومناسبات السرور . ويتم الاحتفاء وإحياء ذكرى المواليد بطريقة مختلفة بعض الشيء عن إحياء الوفيات والشهادات :

فأولاً : تحتل الزينات أماكن مظاهر الحزن والعزاء .

وثانياً : يكون الأداء هو ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم عن طريق إلقاء الشعر والمدائح والأنشيد ، ومشاركة الحاضرين بإظهار البهجة والسرور .

وثالثاً : يكون الطابع العام لذكرى المواليد هو الطابع الأدبي والمشاغري ، حيث تعقد الاحتفالات والمهرجانات التي يشارك فيها الشعراء والأدباء والخطباء المتعددون ، وإن كان يقتصر في بعض الأحيان بالأحاديث الثقافية والعقائدية خصوصاً في ميلاد بقية الله في الأرض

الامام الحجة عجل الله فرجه الشريف ، حيث إن فرصة الحديث خاصة تكون بمناسبة ميلاده الشريف ، ومن ثم فهي تجمع بين نوعي الحديث المطلوب .

وفي مجال مواليد المعصومين عليهم السلام نجد أن الاحتفال العام يكون عادة مختصاً ببعض المعصومين بخلاف الوفيات والشهادات ، ولعل السبب في ذلك هو وجود الاتجاه العام لدى الجماعة الصالحة بإبراز الظلامة والآلام والمحن التي تعرض لها أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنها هي الظاهرة الواقعية في تاريخهم من ناحية ، وتاريخ أتباعهم من ناحية أخرى .

بالإضافة إلى أن هذا الاهتمام يمد أبناء الجماعة الصالحة بمقومات الصبر والصمود ، وبالوضوح في رؤية الأحداث وفهمها ، وكذلك رؤية سنن التاريخ وحركته ، وللتأسي بأهل البيت عليهم السلام .

ولعل هذا الاتجاه يعتمد على مثل ما روي عن الامام زين العابدين عليه السلام من قوله : « أعيادنا ماتمنا » ، ومن قوله عليه السلام : « القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة » .

وإن القهم الصحيح للأعياد والأيام هو استغلالها في العبادة ومعرفة الله وخدمة الناس ، وانتظار الجائزة من الله تعالى على ما سوف نشير إليه في (الأيام) .

ويلاحظ من خلال تقسيم هذه المواليد أنها تختلط إلى حد ما بذكريات الشهادات والوفيات ، باستثناء شهري محرم وصفر المختصين بالعزاء ، وشهر شعبان الخاص بالمواليد . وهذا على مستوى الإحياء ، وأما على مستوى تاريخ مواليد الأئمة فهو أوسع من ذلك .

وبذلك تتحقق الموازنة تحققاً أفضل وأوسع من ترجيح لجانب الأحزان . وإليك قائمة بالمواليد التي يتم الاهتمام بها في أوساط الجماعة الصالحة :

١ - ميلاد النبي الأعظم عليه السلام : ١٧ ربيع الأول ، وهو في نفس الوقت يوم

(٢٣) لقد اهتمت الجمهورية الإسلامية بهذين التاريخين ، وجمعت بينهما ضمن اسبوع واحد سمته اسبوع الوحدة بين المسلمين ؛ تعبيراً عن رمزية رسول الله ﷺ لهذه الوحدة المباركة . وسوف يأتي في بحث الأيام مزيد من التفصيل حول هذا اليوم .

ميلاد الامام الصادق عليه السلام . وبالرغم من وجود روايات تذكر أن ميلاد النبي ﷺ كان في الثاني عشر من ربيع الأول كما هو معروف لدى جمهور المسلمين ، اعتاد أهل البيت أن يتخذوا السابع عشر من ربيع الأول يوم ذكرى ميلاد النبي (٢٤) .

٢- مولد الامام علي عليه السلام : ١٣ رجب الحرام .

٣- مولد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام : ٢٠ جمادى الآخرة .

٤- مولد الامام السبط المجتبى الحسن بن علي عليه السلام : ١٥ رمضان .

٥- مولد الامام السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام : ٣ شعبان .

٦- مولد الامام علي بن الحسين عليه السلام : ٥ شعبان .

٧- مولد الامام الرضا عليه السلام : ١١ ذو القعدة .

٨- مولد الامام الحجة بن الحسن عليه السلام : ١٥ شعبان .

وقد يثار هذا السؤال : لماذا اختص هؤلاء المعصومون دون غيرهم بهذا

الاهتمام في جانب المواليد ؟

وهنا لابد أن نؤكد أنه على مستوى الذكرى قد تقام بشكل محدود بعض المراسيم لبقية مواليد الاثمة عليهم السلام ، ولكن على مستوى الجمهور اختصت هذه المواليد بالاهتمام باعتبار وجود خصوصيات تاريخية ومعنوية ترتبط بهؤلاء الاثمة تحظى باهتمام الجماعة الصالحة ، فالنبي الأعظم رسول الانسانية ، وحفيده الامام الصادق عليه السلام يمثل العنوان المذهبي الفقهي للجماعة الصالحة ، والامام علي عليه السلام يمثل العنوان المذهبي العقائدي لأنه أول الاثمة والوصي بعد رسول الله ﷺ والامام الحسن هو السبط الأول لرسول الله ﷺ ، الذي يمثل بداية امتداد ذريته ، والامام الحسين هو السبط الشهيد الذي اقترنت ولادته بالبكاء والحزن ، والامام علي بن الحسين عليه السلام يمثل في الاحتفال الامتداد للاحتفال بالامام الحسين حيث يحتفل اتباع أهل البيت مدة ثلاثة أيام هي الثالث والرابع والخامس من شعبان ، حيث اليوم الأول يوم ولادة الامام الحسين عليه السلام ، والثاني يوم ولادة العباس بن علي عليه السلام ،

والثالث يوم ولادة الامام زين العابدين ، وتجمعهم جميعاً مأساة كربلاء .
وأما الامام الرضا فيحتفل بميلاده احتفالاً واسعاً في ايران ؛ باعتبار
خصوصية مرحلته التاريخية وجوده في ايران رمزاً لولاء الشعب
الايراني المسلم لأهل البيت عليه السلام .
وأما الامام الحجة عليه السلام فهو يمثل البقية الباقية للولاية الخاتمة في هذه
الأمّة .

ج - زيارة قبورهم

تعتبر زيارة قبور النبي صلى الله عليه وآله والائمة من أهل البيت ، وكذلك قبور الأنبياء
والصالحين وذريته عليهم السلام من أبرز الشعائر التي اكدها أهل
البيت عليهم السلام ، والتزمت بها الجماعة الصالحة ، وتعدّ الزيارة ظاهرة واسعة
وكبيرة ومهمة في حياة الجماعة الصالحة .

ويعتبر هذا الشعار من الشعائر الاسلامية العامة باعتباره يمثل
بمضمونه وشكله نوعاً من أنواع الحج ، حيث جاء في الروايات - كما سوف
نعرف - أن الزيارة من إتمام الحج .

ومع ذلك يوجد من يذهب إلى كراهة أو حرمة قصد هذه القبور بالسفر
والزيارة أو بناء الابنية والقباب عليها ، كما ذهب إلى ذلك محمد بن عبد
الوهاب واتباعه المعروفون بالوهابيين ، إلا أن الروايات الكثيرة المتواترة
عن أهل البيت عليهم السلام ، وكذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه الكرام تؤكد استحباب
هذا العمل .

ونشير هنا إلى بعض الروايات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام التي تؤكد
أن هذا العمل من الاعمال المستحبة ، والشعارات المهمة التي اهتم بها أهل
البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة .

فقد روى الكليني والصدوق في عيون أخبار الرضا وعلل الاحكام ،
وكذلك ابن قولويه في كتابه كامل الزيارات بطريق معتبر عن الامام
الرضا عليه السلام أنه قال : « إن لكل امام عهداً في علق اوليائه وشيعته ، وإن من تمام الوفاء

بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أنمتهم شفاعتهم يوم القيامة » (٢٤) .

وفي رواية أخرى معتبرة عن زيد الشحام قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما لمن زار واحداً منكم ؟ قال : كمن زار رسول الله ﷺ » (٢٥) .

وفي رواية ثالثة معتبرة عن الصادق عليه السلام يقول : « ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة ، وإنه لينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت ليلتهم ، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي ﷺ فسلموا عليه ، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه ، ثم يأتون قبر الحسن بن علي عليه السلام فيسلمون عليه ، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه ، ثم يرجون إلى السماء قبل أن تطلع الشمس ، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم ، حتى إذا دنت الشمس للغروب انصرفوا إلى قبر رسول الله ﷺ فيسلمون عليه ، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه ، ثم يأتون قبر الحسن عليه السلام فيسلمون عليه ، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه ثم يرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس » (٢٦) .

وفي حديث آخر بأسانيد متعددة عن أبي عامر التبراني واعظ أهل الحجاز قال : « أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقلت له : يا بن رسول الله ، ما لمن زار قبره - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - وعمر تربته ؟ قال : يا أبا عامر ، حدثني أبي عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي عليه السلام عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال له : والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها . قلت : يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدنا ؟ فقال لي : يا أبا الحسن إن الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعروسة من عرصاتنا ، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليك وتحمل المذلة والأذى ، فيعقرون قبورك ويكثرزون زيارتها تقرباً منهم إلى الله ومودة منهم لرسوله ، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي الواردون حوضي ، وهم زوّاري غداً في الجنة .

يا علي ، من عمر قبورك وتعاهدنا فكانما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ، ومن زار قبورك عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام ، وخرج من

(٢٤) بحار الانوار ٩٧ : ١١٦ .

ج ١ .

(٢٥) بحار الانوار ٩٧ : ١١٧ .

ج ٥ .

(٢٦) بحار الانوار ٩٧ : ١١٧ .

ج ٨ .

ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه ، فأبشر وبشر أوليائك ومحبتك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها ، أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي» (٢٧) .

وقد جاء التأكيد بشكل خاص في الروايات لزيارة قبر النبي ﷺ وزيارة قبر الامام الحسين ﷺ كما تقدم ذلك (٢٨) ، وكذلك قبر الامام علي ﷺ بنسبة أقل ؛ وذلك باعتبار وجود الخصوصية في هذه الزيارات لأن النبي ﷺ وهذين الامامين الهمامين يمثلون الرموز والشعار بالنسبة للجماعة الصالحة ، بالاضافة إلى الآثار الخاصة في التربية الثقافية والروحية والسياسية لهذه الزيارات .

كما أننا سوف نلاحظ في الزيارات أن التأكيد للزيارة بشكل عام جاء في زيارة النبي ﷺ ، وألحقت بزيارته الشريفة زيارة بقية الائمة الطاهرين . وأما الزيارات الخاصة فقد وردت بشكل مؤكد للامامين علي بن أبي طالب والحسين بن علي ﷺ .

المضمون الثقافي للزيارة

وقد تناولنا في بحث المؤسسات الثقافية السابق الآثار الروحية والسياسية والاجتماعية للزيارة من خلال بحث زيارة الامام الحسين ﷺ ، ونضيف هنا أن الزيارة تمثل تجسيدا عمليا وروحيا للرابطة بين أبناء الجماعة الصالحة والائمة المعصومين ﷺ ، حيث يعتقد الزائر بأنه يرد على بيت الامام الذي هو من بيوت الله ، التي اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وأنه يتحدث في هذه الزيارة مع الامام الذي يسمع كلامه ويفهمه ويرد جوابه .

ولعل هذا النص الذي يقوله الزائر في مقام الاستئذان في كل المشاهد والعتبات المقدسة للمعصومين يعبر عن هذه الحقيقة : « اللهم إني وقفت

(٢٧) بحار الانوار ٩٧: ٨٢٠.

ح ٢٢، ويؤكد سنده مثله ح ٢٢

وح ٢٤ و ح ٢٥.

(٢٨) في بحث المؤسسات

الثقافية عندما تحدثنا عن

الشعائر الحسينية وزيارة

الامام الحسين.

على باب من أبواب بيوت نبيك صلواتك عليه وآله ، وقد منعت الناس أن يدخلوا إلا بإذنه ، فقلت : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم . اللهم إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته ، كما أعتقدا في حضرته ، وأعلم أن رسولك وخلفاءك عليهم السلام أحياء عندك يرزقون ، يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردّون سلامي ، وأنت حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيق مناجاتهم ، وإنني أستأذنك ياربّ أولاً ، وأستأذن رسولك ﷺ ثانياً ، وأستأذن خليفتك الامام المفروض عليّ طاعته (يذكر اسم الامام) والملائكة الموكلين بهذه البقعة المباركة ثالثاً . أَدْخِلْ يا رسول الله ؟ أَدْخِلْ يا حجة الله ؟ أَدْخِلْ يا ملائكة الله المقربين المقيمين في هذا المشهد الشريف ؟ فأذن لي يا مولاي في الدخول أفضل ما أذنت لأحد من أوليائك ، فإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت أهل لذلك » (٢٩) .

(٢٩) مفاتيح الجنان: ٢١١ -

٢١٢. عن الكفعمي .

كما أن المضامين المشتركة التي تتضمنها مجمل مراسيم زيارات المعصومين (عليهم السلام) لها أبعاد عقائدية وروحية ، مثل التكبير مئة مرة ، وبشهادتين ، وكذلك السلام على الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وعدّهم واحداً بعد آخر ، وغير ذلك من مراسيم الشكر لله تعالى على التوفيق والحمد والتقديس . الأمر الذي يمثل دروساً عقائدية وأخلاقية وروحية مباشرة .

وقد تناولت الموسوعات الحديثية هذا الموضوع بشكل واسع ، بحيث تميّزت عن موسوعات الحديث لدى أتباع أهل البيت والجماعة الصالحة ، كما أُلّفَت الكتب الخاصة بالزيارة والدعاء منذ القرون الأولى ، مثل كتاب كامل الزيارات لابن قولويه ، ومصباح المتهدج للشيخ الطوسي ، والإقبال للسيد ابن طاووس ، والمزار الكبير للشيخ محمد المشهدي ، وكذلك المزار للشهيد ، والمصباح للكفعمي (٣٠) وغيرها ، الأمر الذي يدل على وجود اهتمام بالغ وخاص بهذا الموضوع الشعائري العبادي .

وهنا نشير بشكل اجمالي إلى الأقسام العامة للزيارات ، وكذلك إلى بعض أوقاتها المهمة التي يهتم بها أبناء الجماعة الصالحة ، ونترك

(٣٠) ولعل أفضل وأشهر كتاب جامع مختار ومختصر نسبياً هو الكتاب المشهور (مفاتيح الجنان) ، الذي ألّفه المرحوم المحقق المحدث الشيخ عباس القمي بالفارسية في هذا العصر ، والذي أخذ فيه من المصادر المختلفة ، وقد طبع منه حتى الآن ملايين النسخ ، وانتشر في جميع الأوساط والبلدان ، وترجم إلى العربية والأوردية وغيرهما من اللغات الأخرى ، ويمكن من خلال مراجعته التعرف على تفاصيل الزيارات وآدابها وأوقاتها والأدعية الواردة فيها .

التفاصيل إلى كتب الزيارات الموسعة ، ونعتمد بشكل اساسي في هذا الموضوع على الكتاب المشهور (مفاتيح الجنان).

وتوجد للزيارة آداب ومراسيم عامة يحسن بالانسان المؤمن الالتزام بها ، وهي تمثل جانباً من هذا الشعار المبارك ، وأهمها الطهارة المعنوية بالغسل والوضوء ، والنظافة المادية للبدن والثياب من النجاسات والأوساخ . والذكر لله تعالى من التسبيح والحمد والشكر له على هذا التوفيق ، وغيرها من الآداب .

كما أن السفر بشكل عام نجد له آداباً ومراسيم خاصة به ، وأدعية وأوقاتاً معينة ، وباعتبار أن السفر يكون مقدمة للزيارة عادة ، يذكر أصحاب كتب الحديث والزيارات هذه الآداب في مقدمات كتب الحج والزيارة (٣١).

(٣١) راجع في آداب السفر
مفاتيح الجنان: ٣٠٢ - ٣٠٦ ،
وآداب الزيارة: ٣٠٦ - ٣١١ ،
فإنه ذكرها ملخصاً.

قاله ميرزا محمد باقر (٤١)

سَكِّنُوا فِي أَنْفُسِكُمْ مَعْرِفَةَ مَا تَعْبُدُونَ
حَتَّى يَنْفَعَكُمْ مَا تُحَرِّكُونَ مِنَ الْجَوَارِحِ بِعِبَادَةِ
مَنْ تَعْرِفُونَ

٢٣٠٧٨

من ضفة مدرسة أهل البيت

• الشيخ
حسن المواهري



المقدمة :

قبل البدء في البحث : لابد من التنبيه إلى خطرين يقفان في طريق المجتهد لابد من تجاوزهما :



الخطر الأول : تبرير الواقع الفاسد على حساب تطوير النص .

ويحدث هذا الخطر عند مَنْ استسلم للواقع الاجتماعي أو الاقتصادي الفاسد الذي يعيشه كما حدث لبعض المفكرين المسلمين حيث تأول حرمة الربا ، وخرج بنتيجة تواكب الواقع الفاسد ، وهي أن الاسلام يسمح بالفائدة إذا لم تكن اضعافاً مضاعفة ، وإنما ينهى عنها إذا بلغت مبلغاً فاحشاً كما في آية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (١) .

(١) آل عمران : ١٣٠ .

وقد منع هذا الواقع الفاسد هؤلاء المفكرين من ادراك غرض الآية التي كانت تريد لفت نظر المرابين إليه ، وهو النتائج الفظيعة التي يسفر عنها الربا ، ولهذا نرى القرآن الكريم يقول : ﴿ وإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ (٢) .

(٢) البقرة : ٢٧٩ .

إذن المسألة ليست مسألة حرب مع نوع خاص من الربا ، وإنما هي مسألة عدم جواز نمو رأس المال من دون مبررات شرعية لنموه .

إذن النتيجة هي عدم جواز اتباع الواقع الفاسد الذي يعيشه المسلمون اليوم ، وهو الواقع الرأسمالي الذي تعيشه بعض البلدان الاسلامية ، أو الواقع الاشتراكي الذي تعيشه بعض البلدان الاخرى ، وإنما يجب أن تكون الشريعة الاسلامية هي المتبعة ، ويكون مذهبها الاقتصادي هو المتبع أيضاً وإن خالف الواقع المعاش ، فينبغي لعلماء الاسلام أن يغيروا الواقع إذا لم يكن منسجماً مع الشريعة الاسلامية ، حتى تكون هذه الشريعة هي المتبعة.

الخطر الثاني : اتخاذ موقف معين مسبق تجاه المسألة .

كما إذا كان العالم الذي يبحث المسألة له اتجاه نفسي ، فإن هذا الاتجاه النفسي سوف يؤثر عليه إلى حد كبير في عملية الاستنباط أو فهم النص الشرعي ، وقد تصل المرحلة إلى اغوائه وخداعه ، بحيث تنطمس امام عينيه جوانب واضحة من النص الشرعي الذي لم ينسجم معه نفسياً .

ومثال ذلك ما ينهجه علماء العقائد في سبيل ترسيخ عقائدهم المنسجمين معها نفسياً ، فيحاولون تفسير وتأويل النصوص الشرعية بما ينسجم مع هذه العقيدة ، وقد تصل هذه الطريقة إلى حد الاغواء والخداع ، فأى موضوعية في مثل هذا البحث ؟ !

ومن الأمثلة الفقهية من الشريعة الاسلامية ما نراه من نهى النبي ﷺ : عن ذبح الحمر الأهلية يوم خيبر ، فإن بعض العلماء يتخذون موقفاً نفسياً مسبقاً تجاه النص ، وهو الموقف القائل إن كل نص هو حكم شرعي عام ، وإن النبي ﷺ هو مبلغ الاحكام دائماً . إذن هؤلاء العلماء سوف يفسرون النص المسبق بأنه حكم شرعي عام ، بينما هذا الموقف الخاص من تفسير النص لم ينبع من النص نفسه ، وإنما نتج عن اتجاه نفسي خاص عند العالم ، ويمكن أن يكون نهى النبي ﷺ هو اجراء معين اتخذه في تلك الحالة والفترة ، بما أنه ولي الأمر المسؤول عن رعاية مصالح المسلمين ، وحينئذ يكون النهي نهياً ولاثياً بما أن النبي ﷺ هو حاكم المسلمين .

(٣) وسائل الشيعة ١٦ ،
الباب ٤ من ابواب الاطعمة
المحرمة ، ح ١٠ .

(٤) م ١٠ ، ح ٦ .

وقد نبه الامام الباقر عليه السلام في صحيحة محمد بن مسلم ووزارة إلى ذلك ، حيث سأله عن أكل لحوم الحمر الأهلية ، فقال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أكلها يوم خيبر ، وإنما نهى عن أكلها في ذلك الوقت لأنها كانت حمولة الناس ، وإنما الحرام ما حرم الله في القرآن » (٣) .

وفي صحيحة محمد بن مسلم عن الامام الباقر عليه السلام قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أكل لحوم الحمير ، وإنما نهى عنها من أجل ظهورها مخافة أن ينفوها ، وليس الحمير بحرام ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه ... ﴾ (٤) .

إذن موضوعية البحث في النصوص الشرعية تفرض على الباحث استيعاب كل هذين التقديرين ، وتعيين أحدهما على ضوء صيغة النص الظاهرة .

فالنتيجة أنه لا يجوز أن يكون عند الباحث في مسألتنا موقف مسبق معين يقول بوجوب ، يعوض العذر الذي حدث لهذا الفرد نتيجة لمعاملة قد قام بها بكل اختياره وأرادته ، ما دام لا يوجد دليل ظاهر من الشريعة الاسلامية على تعويضه ، بل ربما يكون الحكم بتعويضه مخالفاً لمبادئ الشريعة الحقة . فالنظر الموضوعي في بحثنا الذي نريد أن نبثه يدعونا إلى فحص الأدلة الشرعية للحكم بتعويض الضرر أو عدم الحكم به . وبعد هذه المقدمة نقول : ماهي المشاكل المتصورة المتعلقة بتغيير قيمة العملة ؟ .

والجواب : هناك مشكلتان تتعلقان بكيفية الوفاء .

الاولى : كيفية الوفاء في عقد القرض إذا تغيرت القيمة .

الثانية : كيفية الوفاء للثمن المؤجل في البيع إذا تغيرت القيمة .

وسوف نبث كل واحدة من المشكلتين على حدة ، لنرى الحكم الشرعي في الشريعة الاسلامية (الامامية) . وتوجد مشكلة ثالثة لا تتعلق بالقرض أو البيع ، نتعرض لها في آخر البحث ، وهي مشكلة مهر الزوجة

الذي كان عبارة من مئة تومان إيراني قبل ثلاثين سنة ، فكيف توفى هذه الزوجة مهرها ؟ وامثال هذه المسائل . وهنا نبحث المسألة من الناحية الفقهية .

أما المشكلة الاولى : فهي جزء من مبحث في الشريعة الاسلامية هو كيفية الوفاء في عقد القرض ، سواء كان المال المقترض من المثليات ، كالحنطة والشعير والاوراق النقدية والدنانير الذهبية والدرهم الفضية ، أو كان من القيميات كقرض خاتم عقيق أو زمرد .
وهنا لابد لنا من معرفة معنى القرض في الشريعة الاسلامية أولاً ، ثم نرى كيف يؤدي المال المقترض ثانياً .

معنى القرض : لا يخفى أن معنى القرض معروف ، وهو «تملك كمية من المال مع ردّ عوضه في غير المجلس غالباً» وقد اثبتته الله سبحانه وتعالى للمحتاجين .

ثم إن المال المقترض إما أن يكون من المثليات أو من القيميات ، والمثلي : ما تساوت اجزأؤه في القيمة والمنفعة وتقاربت صفاته ، كالسكر والحنطة والدهن النباتي وامثالها ، والقيمي : هو ما كانت اجزأؤه مختلفة في القيمة والمنفعة ، مثل القثاء والعقيق والزمرد وامثالها .

فإن اقترض الانسان شيئاً مثلياً ، فقد يكون احد اقسام ثلاثة :

١- أن يقترض مثلياً وهو عرض من الاعراض ، كالثوب المثلي ، والحنطة والرز .

٢- أن يقترض نقداً مثلياً «ذهباً أو فضة» .

٣- أن يقترض نقداً ورقياً تكون ماليته اعتبارية من قبل الدولة والزامية .
والمشكلة المطروحة هنا من قبل الباحثين هي فقط في النقد الورقي إذا تغيرت قيمته إلى النقيصة ، بينما ينبغي أن تبحث المسألة بصورة اوسع ؛ لأن الذهب والفضة الذين كانا هما النقد المتعارف قبل سنة ١٩١٤ م ، أي قبل

الحرب العالمية الاولى ، أيضاً تتغير قيمتهما بالنقيصة والزيادة ، ولا يلتفت إلى من يقول بأن قيمة الذهب والفضة ثابتة لم تتغير ، مادامت النصوص الكثيرة في زمان الامام الصادق عليه السلام تخبرنا عن نزول قيمة الذهب مرة ونزول قيمة الفضة مرة أخرى ، وإليك رواية واحدة من الروايات الكثيرة ليتضح لك الامر .

روى عبد الملك بن عتبة الهاشمي قال : « سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن رجل يكون عنده دنانير لبعض خلطائه ، فيأخذ مكانها ورقاً في حوائجه وهو يوم قبضت سبعة وسبعة ونصف دينار ، وقد يطلب صاحب المال بعض الورق ، وليست بحاضرة فيبتاعها له الصيرفي بهذا السعر ونحوه ، ثم يتغير السعر قبل أن يحتسبها حتى صارت الورق اثنا عشر دينار ، هل يصح ذلك له ، وإنما هي بالسعر الأول حين قبض كانت سبعة وسبعة ونصف دينار ؟ ... » (٥) .

وكذلك ينبغي أن تبحث المسألة في صورة ما إذا كان المال المقترض من العرض كالحنطة والسكر ، حيث أن قيمتهما تنخفض مرة وترتفع أخرى كما هو واضح .

ثم إن ارتفاع العرض أو انخفاضه ، وكذلك ارتفاع الذهب أو الفضة أو انخفاضهما ، قد يكون سببه ظلم الانسان لاخيه الانسان في سلوكه الاقتصادي من احتكار أو غيره ، وقد يكون سببه من السماء ، كما إذا تحسن المطر في سنة من السنين فكان الناتج جيداً ووافراً ، وقد يسوء المطر أو ينقطع في سنة أخرى فيكون الناتج رديئاً أو قليلاً ، كما يمكن أن يكون ارتفاع سعر الذهب نتيجة لقلته في بعض البلدان ، ورخصة في مكان آخر نتيجة عثور تلك الدولة على مناجم له في أرضها ، وكذلك نقول نفس الكلام في الأوراق النقدية ، فقد ترتفع قيمتها نتيجة لتحسن الاوضاع الاقتصادية وقد تنزل قيمتها نتيجة لتردي الاوضاع الاقتصادية ، لأنها أصبحت الآن بنفسها قيمة سوقية ، ويُقصد النقد بنفسه لأنه مال ، وإن كان هذا المال اعتباراً ،

(٥) وسائل الشيعة ١٢، الباب

٩ من ابواب الصرف، ح ١.

ويدل عليه السيرة من قبل الناس والاعتبار من قياس قيمة كل شيء بالاوراق النقدية . ومعنى هذا أن النقد الورقي أصبح الآن عرضاً مطلوباً بنفسه وهو مال اعتباري . إذن المشكلة التي يجب أن تبحث ليست مقتصرة على النقد الورقي ، وليست مختصة بتدهور القيمة إلى النزول ، بل يجب أن يبحث في المسألة كل نقد ، سواء كان ورقياً أو معدنياً ، كما يجب أن تبحث في حالة تدهورها أو تحسينها ، لأننا نرى امكان تحسين قيمة النقد الذهبي أو الفضي أو الورقي أمراً متصوراً وواقعاً ، حتى في هذا الزمان بالنسبة للاوراق النقدية للدول المتقدمة من الناحية الاقتصادية ، كاليابان واميركا وامثالهما ، كما يجب أن يبحث في المسألة اقتراض العرض الذي قد تنزل قيمته ، وقد ترتفع للأسباب المتقدمة .

جواب المشكلة :

إذا اقترض الفرد شيئاً من المثليات المتقدمة بأقسامها الثلاثة ، فبما أن القرض معناه تملك الشيء مع ردّ عوضه في غير المجلس غالباً ، أي حسب المدة المتفق عليها بين الطرفين إن كانت ، فهنا يكون المقترض قد أقدم على ضمان ما في ذمته من هذا المثلي ، فلنفرض أن المقترض قد اقترض خمسة كيلو جرامات من الحنطة لمدة شهر واحد ، فهو مسؤول عن ضمان هذا المقدار المثلي بعد الشهر الواحد ، سواء كانت قيمة الحنطة قد ارتفعت نتيجة لتدهور حالة الطقس وهجوم الجراد على المزارع ، أو كانت الدولة قد جمعت الحنطة لأجل تصديرها إلى دولة أخرى ، أو قد جمعها المحتكر يترقب بها الغلاء ، وقد تكون الحنطة قد تدهورت قيمتها نتيجة لتحسن الطقس وهبوط الامطار الملازمة للزراعة ، أو استوردت الدولة كميات كبيرة من الحنطة ، أو منعت وعاقبت المحتكرين فنزلت الحنطة من مستودعات المحتكرين إلى السوق ، وكل الروايات الواردة في اقتراض المثليات تؤكد وجوب ارجاع المثل (بصفاته وقدره) ، ولا توجد أي رواية تقول بوجوب ردّ توفرها يمكن

أن يشتري بالقرض في زمن القرض ، بل كان الروايات تقول بوجوب ردّ عوض القرض (بصفاته وكميته) .

ونفس هذا الكلام نقوله بالنسبة للذهب والفضة أو الاوراق النقدية إذا كان احدهما هو المال المقرض .

ولا يخفى على علماء الاسلام أن وجوب ردّ أكثر مما اقترض من الناحية الكمية أو من الناحية الوصفية ، هو الربا الذي نهانا عنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فأنى تذهبون ؟!

وقد يقال : إن الاوراق النقدية أو الحنطة والسكر قد تنخفض قيمتها بعد شهر ، فيتضرر المقرض نتيجة لمعاملته هذه .

والجواب : أن هذا الضرر ، على فرض تحققه ، هو الذي أقدم عليه ، فلا يكون مضموناً على المقرض ، كما أن العكس قد يكون صحيحاً ، إذ قد ترتفع قيمة الاوراق النقدية أو الحنطة أو السكر ، فهل يصح في هذه الصورة أن يقال بوجوب أن يرد المقرض اقل مما استقرض . بحجة أن القيمة الشرائية للمال المقرض قد ارتفعت (١) ؟

ولا يصح هذا القول ؛ لان القرض كما قلنا معناه ردّ العوض ، فإذا أخذ الفرد شيئاً ولم يردّ عوضه ، بل ردّ أكثر منه ، فهو قد ردّ عوض ما يمكن أن يشتري به ، وهذا ليس هو معنى القرض ؛ لأن القرض هو ردّ العوض المثلّي لا ردّ ما يمكن أن يشتري به من اشياء .

نعم في صورة عدم وجود المثل عند الاداء لسبب من الاسباب ، يجب على المقرض أن يرد الاقرب للمثل ، وحينئذٍ يجب عليه أن يرد القيمة وقت الاداء ؛ لأنها اقرب إلى المثل .

وأما إذا كان الشيء المقرض من القيميات فالقاعدة تقول بوجوب قيمته يوم قبضه ؛ لأن المقرض اقدم على ضمانه ورده ، وبما أنه ليس له مثل كما هو الفرض ، فهو مسؤول عن ردّ قيمته يوم تملكه وهو يوم القبض .

(١) حينما كنت أكتب هذا الموضوع كان سعر المتقال الواحد من الذهب في ايران (٦٧٠٠) تومان . وعلى حين غفلة من الناس اصدرت الحكومة موافقتها على قبول قرار (٥٩٨) الصادرة من منظمة الامم المتحدة ، فنزل الذهب وصار سعر المتقال الواحد منه (٤٥٠٠) تومان ، ومعنى هذا تحسن النقد الايراني فهل نقول للمقرض قبل الاعلان بإرجاع كل ما أخذ؟

تنبيهات :

الأول : كل الروايات توجب ارجاع نفس المال المقرض .

عند مراجعتنا للروايات الواردة في القرض . رأينا أنها تشير اشارة عهدية إلى وجوب رد المال المقرض ، ومعنى ذلك أن كل الروايات تقول بأن المقرض مسؤول عن رد ما أخذه من المقرض ، والذي أخذه هو عبارة عن الشيء المثلي (بكميته وكيفيته) ، ولا توجد أي اشارة إلى وجوب رد قيمة ما يمكن أن يشتري به ، فلو كان وجوب رد ما يمكن أن يشتري به هو الحكم الشرعي ، لظهر ذلك في اسئلة الرواة واجوبة النبي أو الائمة عليهم السلام ، فعدم انعكاس هذا في الروايات ولو على مستوى رواية واحدة ، يكون دليلاً كاشفاً عن أن ارجاع نفس المال المقرض ، سواء زادت قيمته السوقية أو نقصت ، هو المعتبر في عقد القرض .

بل الروايات الكثيرة المتواترة من الطرفين تؤكد أن أي زيادة على المال المقرض بالنسبة إلى المقرض ، سواء كانت الزيادة عينية أم حكمية ، هي رباء إذا كانت على وجه الالتزام من قبل المقرض بواسطة الشرط .

وإليك نموذج من الروايات :

١ - في موثقة موسى بن بكر قال : « قال لي أبو الحسن عليه السلام : من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله ، كان كالمجاهد في سبيل الله ، فإن غلب عليه فليستدن على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله ما يقوت به عياله ، فإن مات ولم يقضه كان على الامام عليه السلام قضاؤه ... » (٧) .

(٧) وسائل الشيعة ١٣ ، الباب

٩ من ابواب الدين ، ح ٢ .

فلم تقل الرواية كان على الامام قضاء قيمته أو قضاء ما يمكن أن يشتري به ، بل قال كان على الامام عليه السلام قضاء نفس الدين ، وهو ما اقتضاه بكميته وصفاته .

٢ - عن ابراهيم بن محمد الاشعري في كتابه باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قبض علي عليه السلام وعليه دين ثمانمئة ألف درهم . فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمئة ألف فقضاها عنه ، وباع ضيعة له بثلاثمئة ألف فقضاها عنه ... » (٨) .

(٨) وسائل الشيعة ٨٣ ، الباب

٢ من ابواب الدين ، ح ١١ .

وهذه الرواية قد صرّحت بوجوب وفاء نفس المال المقترض ، مع أن المال الفضّي قد تنزل قيمته وقد ترتفع ، إلّا أن الواجب هو وفاء المثل ؛ لأنّه هو المال المقترض .

٣ - في صحيحة الحلبي عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « إذا اقترضت الدراهم ثم أتاك بخير منها فلا بأس إذا لم يكن بينكما شرط » ^(٩) .

(٩) وسائل الشيعة ١٢ ، الباب ١٢ من أبواب الصرف ، ح ٣ .

٤ - وفي صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج قال : « سألت الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل يقترض من الرجل الدراهم فيردّه عليه المثل ، أو يستقرض المثل فيردّه عليه الدراهم ، فقال عليه السلام : إذا لم يكن شرط فلا بأس ، وذلك هو الفضل . إن أبي عليه السلام كان يستقرض الدراهم الفسولة فيدخل عليه الدراهم الجياد الجلال فيقول : يا بني ، ودها على الذي استقرضتها منه ، فأقول : يا أبة ، إن دراهمه كانت فسولة ، وهذه خير منها ، فيقول : يا بني ، إن هذا هو الفضل ، فأعطه إياها » ^(١٠) .

(١٠) م ٥٠٠ ، ح ٧ .

وواضح من هذه الرواية أن ردّ الأجود والأكثر يجوز إذا لم يكن بشرط ، وأما إذا كان بشرط فهو الربا ، وما نحن فيه أيضاً من قبيل الربا ، لأننا نعطي مئة دينار ونلزم المقترض بأن يرجع أكثر منها ، بحجة أن القيمة الشرائية للمئة دينار قد نزلت ، وهذه الروايات مطلقة ، أي سواء نزلت القيمة الشرائية أم لا ، فإنها تقول بعدم جواز ردّ أكثر مما أخذ .

الثاني : شرع الله القرض للمحتاجين وجعل فيه ثواباً كثيراً .

لا يخفى أن المسلم ينبغي أن يلتفت إلى الروايات الواردة في الاهتمام بهذا العقد واستحبابه ، ومن خلال هذه الروايات يتكلم في أن المقرض هل استفاد في عقده هذا أو خسر شيئاً ، حتى إذا نقصت القيمة الشرائية للنقد أو العرض ، ولا يجوز لنا أن نبحث هذه المسألة كالرأسماليين أو الاشتراكيين بعيدين عن فضل هذا العقد عند الله سبحانه وتعالى ، كما ذكرت ذلك الروايات ؛ لأننا نكون بهذا العمل قد فصلنا بين المذهب الذي يركز عليه تشريع القرض وبين نفس التشريع .

الروايات :

ورد في الروايات أن في القرض أجراً عظيماً ، ينشأ من معونة المحتاج تطوعاً ، وكشف كربة المسلم ، حتى إنه روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : « القرض الواحد بثمانية عشر وإن مات حسبتها من الزكاة »^(١١) بينما نحن نعلم أن درهم الصدقة بعشرة .

(١١) وسائل الشيعة ١٣ ، الباب

٦ من ابواب الدين ، ج ٤ .

وروي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : « لأن أقرض قرضاً أحب إلي من أن أتصدق بمثله » وكان يقول : « من أقرض قرضاً وضرب له أجلاً فلم يؤت به عند ذلك الاجل ، كان له من الثواب في كل يوم يتأخر عن ذلك الاجل بمثل صدقة دينار واحد في كل يوم »^(١٢) .

(١٢) م . ن . ح ١ .

وقد اكدت الروايات فضل هذا العقد بالنسبة للمؤمن ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أقرض مؤمناً قرضاً ينظر به ميسورة ، كان ماله في زكاة ، وكان هو في صلاة من الملائكة حتى يؤديه »^(١٣) .

(١٣) م . ن . ح ٣ .

وقال أيضاً صلى الله عليه وآله : « من أقرض أخاه المسلم كان له بكل درهم أقرضه وزن جبل احد من جبال رضوى وطور سيناء حسنة ، وإن رفق به في طلبه تعدى به على الصراط كالبرق الخاطف اللامع بغير حساب ولا عذاب . ومن شكأ إليه أخوه المسلم فلم يقرضه حرم الله عز وجل عليه الجنة يوم يجزي المحسنين »^(١٤) .

(١٤) م . ن . ح ٥ .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « وما من مسلم أقرض مسلماً قرضاً حسناً يريد به وجه الله ، إلا حسب له أجره كأجر الصدقة حتى يرجع إليه »^(١٥) .

(١٥) م . ن . ح ٢ .

ومع النظر إلى هذه الروايات ، وما يكسبه الانسان من الثواب الكثير على حسب عقيدته في أن هذه الدنيا طريق إلى الآخرة ، فهل يعد متضرراً إذا نزلت قيمة ما أقرضه ؟ على أن النزول امر احتمالي في بعض الاوقات وبعض البلدان ، كما أن احتمال زيادة القيمة الشرائية أيضاً وارد ، إذا توافرت اسبابه السماوية أو الارضية .

إنّ الواقع الفاسد الذي نعيشه نحن المسلمين (من تطبيق النظم الرأسمالية والاشتراكية) في مجتمعنا ، يجب ألا يجعلنا نغض النظر عن

النصوص الشرعية ونزولها حتى تنسجم مع الواقع الفاسد (وهذا هو اول خطر نَبَهنا عليه في المقدمة) ، فإذا كان الرأسمالي لا يعتقد بما يعتقد به المسلم من الجزاء والثواب في يوم القيامة على هذا العمل الذي شرع للمحتاجين ، وكان الرأسمالي يبحث المسألة من ناحية نفعية مادية فقط ، يجب أن لا ينساق المسلم وراءه في هذا المنهج العقيم ، إذ رسالتنا التي خطها رسول الله ﷺ تحتم علينا أن نربط بين التشريع واساسه ، لا أن نفصل بينهما ، على أن ما يقوله الرأسمالي هو نظر إلى شق واحد من المسألة ، وهي مسألة نزول قيمة النقد ، اما الشق الآخر الذي هو أيضاً أمر متوقع فلا ينظر إليه .

الثالث : الاقتراض لغير حاجة مكروه في الشريعة الاسلامية .

لا يخفى أن القرض لغير المحتاجين يكون مما نهى منه الشارع المقدس ، وحينئذ لا ينبغي للمسلم أن يقدم على قرض إذا لم يكن محتاجاً إليه ، وبهذا لا يكون للمقرض في هذا الفرض أي فضل يذكر . فمن الروايات ما عن أبي سعيد الخدري قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : أعوذ بالله من الكفر والدين . قيل : يا رسول الله ، أتعدل الدين بالكفر ؟ قال : نعم » (١٦) .

وعن رسول الله ﷺ أيضاً قال : « ما وجع إلا وجع العين ، وما الجهد إلا جهد الدين » (١٧) .

وعن رسول الله ﷺ أيضاً قال : « إياكم والدين ؛ فإنه شين الدين » (١٨) .

وقال علي رضي الله عنه : « إياكم والدين ؛ فإنه مذلة بالنهار ومهقة بالليل ، وقضاء في الدنيا وقضاء في الآخرة » (١٩) .

وقال علي رضي الله عنه : « إياكم والدين ؛ فإنه هم بالليل ونل بالنهار » (٢٠) .

وهذه الروايات وإن كانت مطلقة لكل دين ، إلا أن الروايات السابقة في فضل الدين إذا كان حاجة تخصص هذه الروايات في صورة القرض لا حاجة .

إذن القرض الذي يستحصله التجار لزيادة تجارتهم وارباحهم ، ليس

(١٦) وسائل الشيعة ١٣ ، الباب ١ من ابواب الدين ، ح ٧ .

(١٧) م . ن . ح ٩ .

(١٨) م . ن . ح ٢ .

(١٩) م . ن . ح ٤ .

(٢٠) م . ن . ح ٣ .

هو القرض الذي قالت عنه الروايات إنه زكاة ، وإن الدرهم بثمانية عشر ، وهو القرض الذي يعود به الانسان لرفع حاجته وحاجة عياله ، وإذا كان هذا القرض الذي لا حاجة ليس فيه ثواب ، فلا حاجة للبنوك أن تفتح له سجلاً وتطالب بالزيادة على ما تقرض بالحجة المتقدمة ، فإن هذا القرض مما نهى عنه شرعاً ، فلا حاجة إلى سلوكه وإن كان النهي كراهياً .

وأما المشكلة الثانية : وهي كيفية الوفاء للثمن المؤجل إذا تغيرت قيمة النقد ، فهنا أيضاً لا نرى أي مشكلة تذكر ، حيث أن البائع عندما باع ورضي أن يكون الثمن مؤجلاً إلى سنة مثلاً ، فهو يحتمل على أقل تقدير أن تنخفض قيمة النقد أو العرض ، كما يحتمل أن ترتفع ، ومع هذا هو راضٍ أن تكون له في ذمة المشتري هذه الكمية من النقود أو القروض المثلية أو القيمية ، وحينئذٍ يكون احتمال انخفاضها وارتفاعها غير مضرٍ بالعقد وصحته ، ولا يضمن المشتري هذه القلة المحتملة إن حدثت .

ثم إن التاجر الذي يبيع شيئاً من التمر بكمية من النقد الورقي بعد سنة مثلاً أو ستة اشهر ، قد حسب حساب المدة التي تكون فاصلة بين رفع التمر وبين استلام النقد وبما أن للاجل قسطاً من الثمن ، فإن التاجر سوف يبيع ثمره الذي يساوي خمسين ديناراً بسبعين ديناراً ، يستلمها بعد ستة اشهر مثلاً ، وبعد هذه العملية من قبل التاجر لماذا نقول : يجب تدارك الضرر الذي وقع على البائع نتيجة نقصان الثمن بسبب التضخم ؟ على أن التضخم الذي نجده في بعض البلدان لا نقطع باستمراره على مدى السنين والايام : إذ من الممكن أن يتحسن اقتصاد الدولة ويكثر انتاجها فيقف التضخم ، أو يتحسن نقدها كما حدث لبعض بلدان العالم .

وقد قلنا سابقاً أيضاً إن ازدياد قيمة النقد الذهبي أو الفضي أو الورقي ، أو ازدياد قيمة العرض هو محتمل أيضاً نتيجة لفعل السماء أو فعل الانسان ، فكما في صورة تحسن قيمة النقد لا يكون المشتري مسؤولاً عن قيمة النقد سابقاً ، وإنما هو مسؤول عن نفس النقد ، كذلك في صورة تقيصة

قيمة النقد أو العرض يكون المشتري مسؤولاً عما في ذمته من النقد أو العرض .

ثم إن المشتري عندما يشتري شيئاً على أن يكون ثمنه مؤجلاً إلى ستة أشهر ، ففي الحقيقة أن البائع يملك في ذمة المشتري هذه الكمية من النقود حين حلول الأجل ، ومعنى ذلك أنه لا يملكها حين العقد ملكية مطلقة حتى يستوجب أن يقول : إن قيمة هذه النقود حين العقد كانت أكبر من القيمة الشرائية حين الاجل ، فيطالب بالزيادة على حسب القيمة الشرائية حين العقد ، إذ إنه يملكها ملكية مقيدة بالأجل (بعد ستة أشهر) ، فهو كأنه يملك قيمة النقود حين الأجل ، لا حين العقد ، وبهذا تبطل المشكلة المتصورة هنا بالكلية ، وعلى فرض وجود تصور المشكلة نقول : إن البائع والمشتري اقدا على أن يكون المشتري ضامناً لكمية النقد أو القرض ، وقد أقر الشارع هذه المعاملة ، ولا يوجد أي نص يقول إن على المشتري أن يدفع القيمة الشرائية للنقد أو للقرض ، فيتحمل النقص إذا نقصت القيمة الشرائية ، على أن لازم هذا القول أن نقول بأن القيمة الشرائية للنقد إذا تحسنت يجوز للمشتري أن يدفع أقل مما اتفقا عليه ، وإن لم يرض البائع ، وهذا مما لم يقل به أحد من الفقهاء .

إذن عدم وجود أي نص على وجوب أن يدفع المشتري القيمة الشرائية للثمن حين العقد ، ووجود الإمضاء الشرعي لوجوب رد نفس الثمن المتفق عليه بين الطرفين حين الأجل ، دليل على أن الواجب هو الأداء بنفس كمية الثمن (سواء كان نقداً أو عروضاً) ، سواء نزلت القيمة الشرائية أو ارتفعت ، أو بقيت كذلك من دون زيادة أو نقصان .

الاستدلال بالاولوية :

ويمكن أن يستدل لما قلناه بالاولوية المستخرجة من مسألة في الغصب أو الجحود ، وهي مسألة : إذا غصب احد من آخر مالاً أو جحده عليه ، ثم وقع بيد المجحود أو المغصوب مال الآخر فما هو الحكم ؟

الروايات هنا كثيرة تقول بوجوب أخذ مقدار المال المغصوب أو المجهود لا أكثر، ومن هذه الروايات نفهم الحكم في القرض والبيع نسيئة، إذ إن الصورة الأولى، وهي الصورة الغصبية والاعتدائية المحرمة، لم يُجْزِ الشارع فيها إلا أخذ مقدار المال المغصوب أو المجهود لا أكثر، فكيف بصورة القرض الذي حدث برضا المقرض ولم يكن هناك اعتداء من المقرض؟ وكذا الأمر في البيع الذي يكون فيه الثمن مؤجلاً. إذن بالأولوية يكون الحكم هو ردّ مثل المال المقرض أو قيمته وقت القرض.

الروايات:

١ - في صحيحة أبي العباس البقباق أن شهاباً ما رآه في رجل ذهب له بألف درهم واستودعه بعد ذلك ألف درهم. قال أبو العباس فقلت له: «خذها مكان الالف التي أخذ منك، فأبى شهاب. قال: فدخل شهاب على أبي عبد الله عليه السلام فذكر له ذلك، فقال: أما أنا فاحب أن تأخذ وتحلف» (٢١).

(٢١) وسائل الشيعة ٢، الباب ٨٣ من ابواب ما يكتسب به، ج ٢.

٢ - في صحيحة ابن مسكان عن أبي بكر الحضرمي قال: «قلت له (للامام الصادق عليه السلام): رجل لي عليه دراهم فجحدني وحلف عليها، أيجوز لي إن وقع له قبلي دراهم أن آخذ منه بقدر حقي؟ قال: فقال: نعم، ولكن لهذا كلام، قلت: وما هو؟ قال: تقول: اللهم إني لم آخذه ظلماً ولا خيانة، وإنما أخذته مكان مالي الذي أخذ مني لم ازدد عليه شيئاً» (٢٢).

(٢٢) م - ن، ج ٤.

٣ - في صحيحة محمد بن عيسى عن علي بن سليمان قال: «كتبْتُ إليه (أي الكاظم أو الرضا عليه السلام): رجل غصب مالاً أو جارية ثم وقع عنده مال بسبب وديعة أو قرض مثل ما خانته أو غصبه، أيحل له حبسه عليه أم لا؟ فكتب: نعم، يحل له ذلك إن كان بقدر حقه، وإن كان أكثر فآخذ منه ما كان عليه ويسلم الباقي إليه إن شاء الله» (٢٣).

(٢٣) م - ن، ج ٩.

وبما أن النقد الورقي في هذا الزمان هو مال لا يفترق حكمه عن حكم أي عرض آخر، سواء كان ذهباً أو غيره.

البحث الاقتصادي :

ثم إننا لا بأس أن نبحث المسألة بحثاً اقتصادياً فنقول :

كان الانسان في بداية حياته هو الذي يوفر جميع ما يحتاج إليه من حاجات ، ولكن حين تنوعت حاجات الفرد وتعددت السلع لم يكن ممكناً للانسان الواحد أن ينتجها كلها ، ولذا اضطر المجتمع إلى تقسيم العمل بين الافراد ، فأخذ كل فرد أو فئة بانتاج سلعة ما ، وبدأ الانسان يعطي ما انتجه ويأخذ ما انتجه غيره إذا كان محتاجاً إليه ، وهكذا وجدت المبادلة وسيطاً بين الانتاج والاستهلاك ، ولكن لهذه الحالة تعقيداتها ، إذ من الصعب تبادل المنتجات مباشرة ، لأن صاحب الجمل إذا احتاج في حياته إلى صوف مثلاً ، فهو لا يستطيع الحصول عليه من منتج الصوف في مقابل الجمل ، إلا إذا كان صاحب الصوف بدوره محتاجاً إلى جمل ، وكان الصوف كثيراً بحيث يقابل قيمة الجمل ، وهكذا بقية الامور التي هي مورد حاجة الانسان ، وحينئذ كان اختراع النقد الذهبي والفضي علاجاً لهذه المشاكل ، فكان دور النقد الاصيل هو :

١ - القيام بدور المقياس العام للقيمة ، واصبح من الميسور تقدير قيم

السلع بسهولة .

٢ - كونه اداة للمبادلة .

وبهذا العلاج اصبح عندنا مبادلتان بدل المبادلة الواحدة ، وصاحب الجمل يبيع جملة بمئة دينار ، ثم يشتري بعشرة دنائير الصوف الذي يحتاجه ، وبهذا زالت جميع صعوبات المقايضة ، وهذا هو الدور الاصيل للنقد .

ولا بأس بالتنبيه إلى أن اختراع النقد كان بواسطة الانسان ، والله سبحانه وتعالى خلق معدن الذهب والفضة كبقية المعادن وبقية الاعراض ، ففيهما فائدة في نفسيهما كبقية المعادن ، وحينئذ يكون الذهب والفضة عرضاً من الاعراض ونقداً ، وبهذا يختلفان عن الأوراق النقدية ، حيث إنها

تحمل صفة النقد ولا تحمل صفة العرضية . ثم إن كل من قال بأن الذهب والفضة خلقهما الله ثمناً ، وأنهما حجران لا منفعة في أعيانهما ، لا دليل له يقدمه على كلامه ، بل الوجدان يقضي بخلاف ذلك ؛ إذ إنهما زينة ، ويستعملان عرضاً من الاعراض في حياة الانسان المترفة ، كتزيين السقوف وصنع الاواني وادوات الحلاقة ، وغير ذلك مما يحتاجه الانسان من بقية المعادن .

خروج النقد عن دوره الاصيل :

وقد خرج النقد الذهبي والفضي عن دوره الاصيل الذي وجد لأجله ، وهو دور (المقياس العام للقيمة وكونه أداة للمبادلة) نتيجة لظلم الانسان ، فحدثت مفاصد من هذا الأمر . وتوضيح ذلك أن النقد استخدم للقيام بدور طارئ لم يوجد لأجله ، وهو دور (الادخار والاكتناز) ، فقد أخذ الانسان يبيع سلعته لا حاجة له بسلعة أخرى يشتريها ، بل لأجل أن يحول سلعته إلى نقد يختزنه لوقت الحاجة (إذ أصبح النقد هو الوكيل العام عن السلع) ، وهذا معناه أن البيع لم يوجد لأجل الشراء المحتاج إليه في الانتاج أو الاستهلاك ، وإنما وجد البيع لأجل أن يمتص النقود فيختزنها (إذ هي قابلة للاختزان من دون نقص في قيمتها ، ولا يحتاج ادخارها إلى نفقات بعكس ادخار السلع) ، وهذا هو الدور الطارئ للنقد ، حيث أصبح النقد وسيطاً بين الانتاج والادخار . ومعنى هذا الدور : أن المشتري - الذي اشترى سلعة ودفع نقداً فادخره البائع - لم يتمكن أن يبيع منتوجه ؛ لأن البائع قد اكتنز النقد وسحبه من مجال التداول ، فظهر الاختلال في توازن العرض والطلب الذي كانا متساويين في عصر المبادلة .

ثم إن الاختلال في توازن العرض والطلب يؤدي إلى الكساد وعدم تصريف السلعة ، وهذا بدوره سوف يؤدي إلى الاستغناء عن بعض العمال ، وسد بعض المعامل ، فتحدث البطالة التي تعاني منها السوق الرأسمالية .

ثم لم تقف المفاصد عند هذا الحد ، إذ قد يأتي المحتكر الذي اكتنز النقد فيخلق طلباً كاذباً ، فيشتري كل افراد السلعة من السوق ، للاحاجة إليها ، بل ليرفع ثمنها ، أو يعرض السلعة بأثمان دون كلفتها ، بقصد إلقاء المنتجين والبائعين الآخرين إلى الانسحاب من ميدان التنافس ، وعلان الافلاس ، وبهذا تصبح الاثمان غير حقيقية ، وتكون السوق تحت رحمة المحتكرين ، ويسقط آلاف المنتجين والبائعين الصغار فريسة المحتكرين الكبار .

ثم يبقى المكتنز والمحتكر يبيع لاجل الاكتناز ، وبهذا يسحب النقد من مجال التداول ، وبهذا يقل الاستهلاك أو يتوقف لانخفاض المستوى الاقتصادي للجمهور ، وبهذا تقل أو تتعطل حركة الانتاج لعدم وجود القدرة الشرائية عند الجمهور المستهلك ، فيعم الكساد البلاد .

وبعد هذه المشاكل والمفاصد تأتي المفسدة الكبرى ، وذلك إذا أصبح النقد اداة لتنمية المال من طريق الفائدة (الكسب من دون عمل) ، فأخذ المكتنز يقرض ماله للأفراد بفائدة ، أو يودعه المصرف فيحصل على الفائدة ، وبهذا أصبح النقد بعيداً عن دائرة الانتاج لان المصرف أيضاً يقرض امواله بفائدة ، واصبح التاجر أو المصرف لا يقدم على عمل تجاري أو صناعي ، إلا إذا اطمأن أن ربحه اكثر من الفائدة التي يحصل عليها من دون عمل .

ثم إن مجموع هذه المشاكل التي نتجت ، من دور النقد وظلم الانسان ، جعلت زمام الامور بيد الرأسمالي (صاحب الاموال) وطبيعي أن الرأسمالي الظالم إذا سيطر على زمام الامور يجزّ المجتمع إلى ويلات كبيرة ، ذكرها علماء الاقتصاد ، وقد جاء في الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال : « الدينار والدرهم اهلكا من كان قبلكم ، وهما مهلكاكم » (٢٤) .

(٢٤) الكافي ٢ : ٣٦٦ ، باب حب

الدين والحرص عليها ، ح ٦ .

حلول الاسلام لمفاصد الدور الطارئ للنقد :

على عكس الرأسمالية التي تشجع على الادخار والاكتناز والقرض بفائدة بتشريعها ، فيكون النقد اداة للتنمية من دون عمل ومن دون

استهلاك فيه ، حارب الاسلام اشد المحاربة أن يكون النقد اداة لتنمية المال ، فحرم الفائدة تحريماً قاطعاً لا هوادة فيه ، وجعل ضريبة الزكاة على النقد الذهبي والفضي المكتنز ، وحث على الانفاق في مجال الاستهلاك والانتاج ، فقد جاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام : « إنما أعطاكم هذه الفضول من الاموال لتوجهوها حيث وجهها الله ، ولم يعطكموها لتكنزوها » (٢٥) .

وبهذا يكون الاسلام قد قضى على مشكلة من اهم مشاكل الانتاج . وقد يقال : إذا لم يشجع الاسلام على الادخار فسوف لن يتمكن المسلمون من إقامة وإدارة المشاريع الكبيرة في الانتاج ، كما في المجتمع الرأسمالي الذي يدير هذه المشاريع بواسطة تشجيعه على الادخار .

والجواب : أن المجتمع الاسلامي يختلف عن المجتمع الرأسمالي ، حيث إن الثاني لم يقر إلا الملكية الخاصة ، أما المجتمع الاسلامي فإنه يقر بالإضافة إلى الملكية الخاصة الملكية العامة وملكية الدولة ، فيتمكن أن يوظف هذه الملكية العامة (كملكية المسلمين للأرض المفتوحة عنوة وكانت عامرة وقت الفتح) وملكية الدولة (كملكية الانفال وغيرها) في مشاريع الانتاج الكبرى ، وتبقى للملكيات الخاصة المجالات التي تتسع لها ، وبهذا تكون المشاريع الكبرى ملكاً لكل المسلمين ، أو ملكاً للمنصب (منصب ولي الامر) ، وهاتان الملكيتان الكبيرتان تعملان لاصلاح امور المسلمين .

والآن بعد هذه الإلمامة المختصرة في دوري النقد الاصيل والطارئ ، والمفاسد التي تنجم عن الدور الطارئ للنقد ، وعلاج الاسلام لهذا الدور الطارئ ، نرجع إلى موضوعنا الذي نحن بصددده ، لنرى هل من المعقول مذهبياً أن يجيز الاسلام تنمية المال من غير طريق العمل ؟ وبعبارة أخرى هل يحق للذي يقرض غيره كمية من النقد «الذهبي أو الورقي» إلى ستة اشهر ، أن يأخذ منه اكثر مما دفع ، بحجة أن القيمة الشرائية للمال المقترض سوف تنزل أو قد نزلت ؟

(٢٥) الكافي للكليني ٤: ٣٢٢ ، باب وضع المعروف موضعه ، ح ٥ . وفي سفينة البحار ١: ٤٥٥ قال رسول الله ﷺ : «الدينار والدرهم اهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم» .

والجواب: أن هذا حرام لا يجوز، وذلك:

١- إن هذه الحجة (أن القيمة الشرائية قد تدهورت) هي الحجة التي يقولها مؤيدو الربا من الرأسماليين؛ لأجل أن يصححوا أخذ الفائدة، فإن أقوى مبررات الفائدة عند الرأسماليين هو أن الفائدة هي الفارق بين قيمة سلع الحاضر وقيمة سلع المستقبل، حيث تعتقد الرأسمالية أن للزمن دوراً إيجابياً في تكوين القيمة، فالقيمة التبادلية لدينار اليوم أكبر من القيمة التبادلية لدينار المستقبل، وبهذا يكون القائل بصحة أخذ مقدار من المال زيادة على المال المقترض قبل ستة أشهر بهذه الحجة، يكون قد قال بحلية الربا الذي قد وقف منه القرآن وقفة صريحة وبارعة.

٢- إن صحت هذه الحجة (أن سلع الحاضر أكبر قيمة من سلع المستقبل)، فمعنى ذلك أن الذي يشتري سيارة مثلاً قبل سنة، يتمكن أن يبيعها بعد السنة بأكثر مما اشتراها، بالإضافة إلى فائدته التي استفادها منها، وهذا الربح قد أقره الاسلام باعتبار أن ملكية السيارة عبارة عن ملكية لعمل مختزن في السيارة، فزيادة المال عن طريق العمل المختزن شيء قد أقره الاسلام، ونحتمل أيضاً أن استهلاك السيارة في ضمن السنة قد ينزل من قيمتها في مقابل ما استفاد منها. أما بالنسبة للكسب الذي لم يقف على عمل مباشر أو مختزن، فهذا لا يقره الاسلام من الناحية المذهبية، والفائدة على النقد من هذا القبيل؛ لأنها - كما قالوا - نتيجة عامل الزمن من دون عمل منفق، فإن المقرض للمال إذا أخذ نفس ماله الذي قد اقترضه وزيادة، يكون قد كسب من دون عمل مباشر أو مختزن، وهذا لا يقره الاسلام.

٣- يلزم أن يقول القائل بصحة أخذ مقدار أكثر من المال المقترض، نتيجة لتدهور القوة الشرائية للمال المقترض، بأن على المقرض أن يقبل مما أقرض إذا زادت القوى الشرائية للمال المقترض في بعض الحالات، وهذا لم يقله أي فقيه حسب علمنا.

٤- أن تدهور القيمة الشرائية للنقد ليس شيئاً حتمياً وقياساً ثابتاً، حتى تتمكن أن نقول من أول الامر وحين العقد، بأن المئة دينار تكون قيمتها الشرائية بعد ستة أشهر مثلاً بالنسبة للمئة دينار، وقد يتحسن النقد في ضمن السنة اشهر، كما قد يتدهور. اذن احتمال التقيصة يقابله احتمال الزيادة، فهل يجوز لنا أن نقول حين العقد للمقترض، بأنه يجب عليك أن تؤدي مئة وعشرين ديناراً بعد ستة اشهر، بحجة أن القوة الشرائية للمئة دينار قد انخفضت؟ مع أننا نحتمل الانخفاض ليس إلا، أليس يكون هذا قولاً بلا علم، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن القول بلا علم.

٥- إذا أقرضت كمية من العرض (كيلو جرام من البطيخ)، وكان هذا القرض يساوي كل كيلو جرام منه خمسة كيلو جرامات من الحنطة، فعند السداد إذا كان كل كيلو منه يساوي كيلو واحد من الحنطة، فحينئذٍ -إذا قلنا إن القيمة الشرائية قد تدهورت للبطيخ، والمقترض مسؤول عن اداء القيمة الشرائية حين القرض - يجب على المقترض أن يدفع خمسة كيلو جرامات من البطيخ إلى المقرض، وهذا لم يقل به احد حسب علمنا، ولو نهجنا النهج المتقدم لوجد عندنا فقه لم يقل به رسول الله ﷺ.

ثم إننا نرى وجوب أن تعالج المسألة علاجاً أساسياً، بمعنى أننا لا يصح لنا أن نقبل حقيقة هبوط النقد من دون معالجة، ونريد أن نصح العقود القائمة حين تحقق هذه الحقيقة، بل اللازم علينا أن ننتبه إلى العوامل التي تؤدي إلى هبوط النقد بصورة مستمرة فنعالجها، وحينئذٍ نقضي على اساس المشكلة التي يعاني منها، ومن العقود القرضية والبيع المؤجل الثمن القائم مع تحقق هذه الحقيقة، فنقول: لماذا تدهور قيمة النقد: (الورقي أو الذهبي).

والجواب: إن تدهور قيمة النقد هو ما يسمى في عرف الاقتصاديين بالتضخم، ومعناه هو ارتفاع متواصل في الاسعار، بينما تكن السلع هي

السلع من دون تغيير .

وإذا بحثنا كثيراً عن سبب التضخم ، لا ننع إلا على هذا السبب ، وهو قلة الانتاج وزيادة الانفاق ، فعندما يكون الانفاق كثيراً معنى ذلك وجود طلب كثير على السلع ، وحينئذ إذا لم يكن الانتاج بقدر الطلب ترتفع الاسعار للسلع ، وهذا معنى تدهور النقد (انخفاض متواصل في قيمة النقد) (٢٦) .

ثم إذا بحثنا كثيراً عن سبب قلة الانتاج ، فالسبب الواضح هو (الفائدة) التي شرعها النظام الرأسمالي ، فجعلت الانسان يسحب أمواله من مجال الانتاج ويجعله في مجال الفائدة ؛ ليدّر عليه النقد من دون خسارة ولا أي جهد من العمل ، وحينئذ يكون الانتاج قد انخفض ، بينما الانفاق على حسب قوته أو أكثر ، فيحصل التضخم .

وفي خصوص النقد الورقي قد تعتمد الدولة إلى طبع كمية من الاوراق النقدية لتخفف الديون الداخلية المتراكمة عليها ، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة طلب الانفاق ، مع أن الانتاج على حاله من القلة ، فيحصل التضخم أيضاً .

المعالجة :

ولاجل أن نبقى النقد على حالة من الثبات ، فما علينا إلا أن نحرم الربا ، وحينئذ سوف تنتج الاموال تلقائياً إلى الانتاج ، فيكثر حتى يصير بقدر الطلب ، وبهذا سوف لا تنحط قيمة النقد الورقي ، بل قد تتحسن كما في صورة زيادة الانتاج على الطلب ، وبهذا لا تكون عندنا أي مشكلة من ناحية انحطاط قيمة النقد ، ولا أدري هل تثار في هذه الصورة مشكلة زيادة قيمة النقد من ناحية المقترض أم لا ؟

ثم إذا كان المجتمع يعمل بنظام الفائدة ، فسوف يكون الانتاج بطبيعة الحال قليلاً ، فيحصل التضخم ، ومع هذا فإن تقدم انسان بالقرض لصاحبه ، فهو يكون قد خاطر بماله (أي كمن اقترض حنطة مثلية مثلاً أو قثاء مثلياً في

(٢٦) إن سبب التضخم العادي هو ما قلناه ، وهو السبب أيضاً في حالات طارئة ، كما إذا حدثت حرب في بلد معين ، وكان الانفاق يقدر الانتاج أو أقل ، ولكن مع هذا قد يحصل التضخم ، بتقريب أن أكثر ما تستتجه الدولة من سلع وتحولها بعد ذلك إلى نقد ، يحترق في ساحات القتال ، وبهذا يكون الطلب مع وجود الحرب أكثر من الانتاج ، وبهذا رجع السبب الأصل للتضخم ، وهو أن الانفاق أكثر من الانتاج .

اول: نضوجه ، على أن يستلمه حين كثرة الحنطة أو القثاء) ، فهل يجوز لهذا المخاطر بماله أن يطلب منفعة لقاء مخاطرته هذه ، فيطلب من المقترض أن يدفع إليه نتيجة هذه المخاطرة أكثر مما دفع ؟

وللاجابة على هذا التساؤل لابد لنا من معرفة معنى المخاطرة أولاً ؛ وهل يجوز للإنسان أن يطلب تعويضاً على أساسها ثانياً ؟

فنقول : المخاطرة هي حالة شعورية خاصة تغمر الإنسان وهو يحاول الاقدام على امر يخاف عواقبه ، فإما أن يتراجع انسياقاً مع خوفه ، وإما أن يتغلب على دوافع الخوف ويواصل تصميمه ، فيكون هو الذي رسم لنفسه الطريق ، واختار بمحض إرادته تحمل مشاكل الخوف بالاقدام على مشروع يحتمل خسارته مثلاً .

وعلى هذا فلا تكون المخاطرة سلعة يقدمها المخاطر إلى غيره حتى يطلب ثمنها ، ولا تكون عملاً ينفقه المخاطر على مادة ليكون من حقه تملكها ، أو المطالبة باجر على ذلك من مالها ، وحينئذ لا يحق للمخاطر أن يطالب بتعويض مادي على خوفه مادام خوفه شعوراً ذاتياً .

المخاطرة تقييم خلقي :

إن المخاطرة قد تكون ذا أهمية كبيرة من الناحية النفسية والخلقية ، ولكن كلامنا نحن ليس كلاماً نفسياً أو خلقياً ، وإنما هو كلام فقهي واقتصادي ، فالمخاطرة من الناحية الاقتصادية لا تستحق ثمناً . نعم من الناحية الخلقية تكون ذا أهمية كبيرة قد تستدعي اخلاقياً أن يكون المخاطر مستحقاً للثناء والمال ، وهذا شيء لا نتكلم عنه الآن مادام البحث اقتصادياً .

تصحيح اخطاء :

لقد وقع كثير من المفكرين المتأثرين بالتفكير الرأسمالي المذهبي في خطأ ، حيث زعموا أن الربح في عقد المضاربة لصاحب المال إنما يقوم على اساس المخاطرة ، حيث إن صاحب المال قد عرّض نفسه للخسارة بدفعة

المال إلى العامل ليتّجر به ، فكان على العامل أن يكافئه على مخاطرته بنسبة مئوية من الربح يتفقان عليها حين العقد . وقد يقال أيضاً إن الربح الذي يحصل عليه صاحب المال ، هو عبارة عن ربح لم يكن في مقابل عمل مباشر ولا مختزن ، لأن المال الذي دفعه يرجع إليه في آخر الأمر من دون نقيصة في كميته وصفته ، بخلاف الدار التي اجرها وهي عبارة عن عمل مختزن ، إذ ترجع إليه مع استهلاك لها بعد عقد الاجارة ، وما هذا الربح الذي يحصل عليه صاحب المال إلا ربح في مقابل مخاطرته بماله .

والجواب : إن الربح الذي يحصل عليه صاحب المال ليس قائماً على اساس المخاطرة ، وإنما يستمد مبرره من ملكية صاحب المال للسلعة التي اتّجر بها العامل ، فإن السلعة التي اشتراها العامل وزاد في قيمتها نتيجة لنقلها وجعلها بين يدي المستهلك ، تبقى ملكاً لصاحب المال ، وبهذا يكون حق صاحب المال في الربح نتيجة لملكه السلعة التي اشتراها العامل وزاد في قيمتها بعمله ، كحق مالك الالواح إذا جعلها آخر سريراً ، فإن الربح يكون لهما معاً . ويوجد عندنا شاهد لما نقول ، وهو التشريع القائل إن الخسارة إذا حصلت في هذا العقد فهي إنما تكون على صاحب المال ، وما ذاك إلا لأن السلعة أصبحت له فخسارتها عليه .

ثم ماذا يقول المتأثرون بالتفكير الرأسمالي في حال عدم ممارسة صاحب المال لأي لون من ألوان المخاطرة ؟ كما إذا اتّجر شخص باموال أخيه من دون علمه ، وربح في تجارته ، فهنا من الناحية الشرعية بإمكان صاحب المال أن يوافق على هذا العمل الفضولي ويقرّه ويستولي على الارباح ، كما أن من حقه أن يعترض ويأخذ ماله أو ما يساويه من العامل في صورة الربح أو في صورة الخسارة من قبل الاخ ، لأن ماله مضمون على العامل ، وحينئذ يكون المخاطر هنا هو العامل لاقدامه على ضمان المال عند الخسارة .

إذن ليس حق صاحب المال في الربح ناتجاً عن المخاطرة ولا تعويضاً عنها .

حالات مخاطرة ألغى الشارع الكسب بها :

١ - الربا : فقد اعتاد الكثير من الباحثين على تفسير القرض بفائدة على اساس المخاطرة ، حيث أن المقرض عندما يقرض ماله يكون قد أقدم على نوع من المغامرة ، التي قد تفقده ماله إذا عجز المدين في المستقبل عن الوفاء ، وحينئذ كان من حق الدائن أن يحصل على أجر ومكافأة له على مغامرته بماله ، وهذه المكافأة هي الفائدة .

والحق والانصاف أن هذا العمل من قبل الدائن يعد مخاطرة بماله في هذه الصورة^(٢٧)، إلا أن الشارع المقدس لم يقر هذا اللون من التفكير في نمو المال ، ولهذا حرم الفائدة تحريماً قاطعاً .

٢ - القمار : كما حرم الاسلام القمار وحرم الكسب القائم على اساسه ، وهذا جانب آخر يبرهن على الموقف السلبي للشريعة الاسلامية من عنصر المخاطرة ، حيث أن الكسب في القمار لا يقوم على اساس عمل من اعمال الانتفاع والاستثمار ، وليس هو عملاً مختزناً بحيث يقل عند استعماله ، كما في صورة اجارة البيت ، وإنما القمار مغامرة بمال الانسان لتقديمه لصاحبه إذا خسر الصفقة .

وأما الكسب من دون عمل مباشر أو مختزن ، فهو محرم في الشريعة الاسلامية . وإليك هذا المثال : إذا استأجرت بيتاً بمئة دينار ، ثم أجرت نصفاً منه بمئة دينار لشخص آخر ، فأكون أنا قد انتفعت من دون عمل مباشر ولا مختزن ، إذ قد حصلت على سكنى البيت مجاناً (مع أن صاحب البيت لم يقدم لي المنفعة بالمجان) ، ومادامنا نتكلم في مجال الاقتصاد والكسب ، فإن هذا الكسب لا يجوز ، وقد حرمه علماء الاسلام .

ومن هذه النظرية المذهبية نفهم أن ما نحن فيه من هذا القبيل : إذ إن المقرض لأخيه شيئاً إلى ستة اشهر ، إذا اردنا أن يأخذ اكثر مما أقرض بحجة أن القيمة الشرائية قد انخفضت ، فإن هذا الانسان لو لم يقرض مبلغه هذا إلى الغير ، والمفروض أنه لم يقمه في عمل مختزن ، فالمفروض أن

(٢٧) يتمكن الدائن أن يرفع هذه المخاطرة من اول العقد ، يأخذ رهناً على ماله ، أو يطلب ضامناً متمولاً .

مبلغه قد انخفض نتيجة لانخفاض جميع العملة ، فإذا أراد أن يأخذ شيئاً من المقرض حتى يحافظ على عدم تدهور نقده بالخصوص ، يكون قد كسب (أخذ أكثر مما يجب أن يأخذ) من دون عمل مباشر أو مختزن .

ثم إن كل ما قلناه في القرض نقوله في البيع المؤجل ثمنه ، بالإضافة إلى أن هذا البائع له خيار أن يبيع بأكثر من الثمن الحالي تحسباً لنزول النقد ، كما أن المشتري له حق أن يشتري بأقل من ثمن المثل تحسباً لارتفاع النقد ، وهذا هو المتعارف عند البيع نسيئة ، فتنتفي المشكلة من الأساس ، بخلاف القرض ، فإن المقرض لا يتمكن من الزيادة على ما أقرض .

تنبيه :

يمكن المقرض إذا كان شخصاً أو جهة كالمصرف أن يتمتع من أن يقرض نقده الورقي ، وله أن يقرض ذهباً أو عرضاً كالسكر والحنطة ، وحينئذ إذا نقصت قيمة النقد الورقي فهو لا يمسّه أي ضرر ؛ لأنه يأخذ مثل ما أعطى ، ولكن قد تنشأ نفس المشكلة حينما ينخفض سعر الذهب نتيجة لعوامل معينة ، فيقول المقرض أنا أقرضتك ذهباً تساوي قيمته كذا مقداراً من الدينارين ، والآن ترجع لي ذهباً تكون قيمته الشرائية أقل ، فهل يتمكن المقرض من إلزام المقرض بأكثر مما أعطى من الذهب ؟ والجواب هو عدم الجواز هنا ، فكذا بالنسبة للنقد الورقي ؛ لأنه مال مثلي ، والمقرض مسؤول عن إعطاء مثل ما أخذ منه .

٣- شركة الابدان : كما ألغى بعض الفقهاء الشركة في الابدان من الاعتبار الشرعي ، والمراد بالشركة في الابدان أن يتفق اثنان أو أكثر على ممارسة كل واحد منهم عمله الخاص ، على أن يشتركوا فيما يحصلون عليه من مكاسب .

والغاء هذه الشركة يتفق مع الموقف السلبي العام للشريعة الاسلامية من عنصر المخاطرة ، حيث أن الكسب فيها يقوم على اساس المخاطرة لا

الغمل : فإن كل واحد من العاملين يحتمل أن أجور صاحبه سوف تزيد على أجوره ، فيقدم على الشركة موطناً نفسه على التنازل عن شيء من أجوره إذا زادت على أجور صاحبه ، في سبيل أن يحصل على شيء من أجور صاحبه في حالة تفوق شريكه عليه ، وحينئذ يكون من حق الأقل دخلاً أن يحصل على جزء من كسب الاكثر دخلاً ؛ لأنه غامر وأقدم على دفع شيء من كسبه إذا كان اكثر من صاحبه . إذن كسب الأقل دخلاً يقوم على اساس المخاطرة ولا يركز على عمل .

الاسلام لا يقرّ كسباً غير مرتبط بعمل مباشر أو مختزن : ومن الفتاوى المتقدمة وغيرها المماثلة لها ، يتبين أن الاسلام يرى أن العمل هو سبب لملكية العامل نتيجة للعمل ، وهذا تعبير عن ميل طبيعي في الانسان إلى تملك نتائج عمله ، ومردّ هذا الميل إلى شعور كل فرد بالسيطرة على عمله ، ومن ثم إلى نتائج عمله ومكاسبه ، وبهذا يصح لنا أن نقول من وجهة نظر اسلامية إن العمل سبب الملكية . هذا ما نقوله في العمل المباشر .

أما البيت الذي أملكه ، وكذا السيارة وبقية السلع ، فإنها عمل قد اختزن بصورة سلعة ، حيث إنني عندما اشتريت السيارة أو البيت ، اكون قد حولت عملي المباشر الذي حصلت منه على المال إلى عمل مختزن ، وبهذا يصح لي أن أكسب بواسطة إجارة البيت أو السيارة ، فإن الكسب هنا كسب قائم على العمل المختزن ، وفي مقابل كسبي من هذا العمل المختزن تستهلك السيارة وكذا البيت .

إذا كان المقترض لا يدفع ما اقتترض مع تمّوله وعناده ، وافترضنا أن القيمة النقدية قد تدهورت نتيجة لفعل السماء أو الانسان ، ففي هذه الحالة يكون الفرد قد فعل حراماً لعدم وفائه في هذه الحالة ، ولكن هل يضمن نزول قيمة النقد ؟

الجواب : لا يجب الضمان ؛ لأن المقترض أقدم على ضمان المال ، وهو بعد ذلك يدفع المال كاملاً من دون نقيصة في كميته أو صفته ، فلماذا يكون

ضامناً لضرر المقرض ؟ وإذا لاحظنا أن سبب الضمان في الشريعة الإسلامية يكون بأحد حالتين :

١ - تلف المال بالتعدي أو التفريط .

٢ - زوال الصفات كذلك .

والمال لم يتلف ولم تزل صفته ، وإن كان المقرض متمولاً ، ولم يف بالدين في الموعد المقرر ، وقد تدهورت القيمة الشرائية للنقد ، وحينئذ لا يكون المقرض ضامناً ، كما لو أقدم انسان على بناء خمسة طوابق في بيته ، بحيث يتضرر الجار بتقليل قيمة بيته لعدم دخول الشمس إلى البيت ، فإن هذا الضرر على الجار لا يكون مضموناً .

وإذا اعترض علينا بالفرق بين المثال الأول والثاني ، بأن المثال الأول تكون اليد فيه بدأ عدوانية على المال عند عدم الوفاء في الموعد المقرر وعدم رضا المقرض . أما في المثال الثاني فلا يكون لصاحب البناء يد عدوانية على الجار ، فالجواب أن هذا الفرق بين المثالين دخيل في الحرمة وعدمها . أما بالنسبة لعدم ضمان الضرر منهما سواء ؛ لأنهما لم يتلفا العين ولا صفاتها ، فلا ضمان في المثالين ، نعم في القرض يكون اصل المال مضموناً بقدره وصفاته ، ويكون المقرض حالته في هذه الصورة كحالته في صورة إخفاء المال في مكان معين ، فإن هذا المال الذي لم يوطره بعمل مباشر ، ولم يقحمه في عمل مختزن ، ينبغي أن يبقى هو هو ، فإن انخفضت القيمة الشرائية لكل النقود ، وكان له نصيب منها ، فإن لم يؤد المقرض القرض في الموعد المقرر ، يكن كمن فقد موضع المال الذي وضعه فيه ، فإن عدم الضمان في الصورتين على حد سواء ، وإن كان المقرض قد فعل حراماً ؛ لأنه يؤد المال في مواعده مع تمكنه من ذلك .

قد يقال : إن الضرر المنهي عنه في الشريعة الإسلامية ، يشمل أن يبني بناء فوق أرض بحيث يتضرر الجار من هذا البناء ، كأن يكون عالياً بحيث يُشرف الساكنون فيه على الجار ، فلا يتمكن أهل الجار من التحرك تحركاً

مريحاً وبدون حجاب ، أو كان البناء لمعمل يؤثر على سعر البيوت المحيطة به أو غير ذلك ، فالضرر هنا ليس مباشراً ، بل هو ضرر غير مباشر يؤدي إلى سوء حال الآخرين من دون أن ينقص فعلاً شيئاً من أموالهم ، فإذا كان الضرر بمعنى سوء الحال ، كما جاء في كتب اللغة ، فهو مفهوم أوسع من النقص المالي المباشر ، وحينئذ يكون هذا العمل منهياً عنه ؛ لأنه مضر بالجار ومؤدٍ إلى سوء حاله ، إلا أن هذا أيضاً لا يكون موجباً للضمان لو حصل الضرر للجار ؛ لأن الضمان - كما قلنا - له أساسان ، وليس هذا هو أحد الأساسين .

الخاتمة : ونتعرض فيها لبعض الأبحاث الفقهية :

١ - إذا ألغى النقد فماذا يجب على المقرض : كنا فيما مضى نتكلم في صورة تدهور حالة النقد ، أما في هذه الصورة فالكلام هو في صورة إلغاء الدولة لنقدتها ، وتصدير نقد آخر ، فإذا أقرضت زيداً مئة دينار كويتي إلى سنة ، ثم ألغت الحكومة الكويتية عملتها ، وأصدرت عملة أخرى قبل تمام السنة ، فهل يجب في هذه الصورة أن أدفع الأوراق النقدية الأولى أو الثانية ؟ الجواب : في هذه الحالة لم يبق للأوراق النقدية الأولى أي مالية تعتبر ، لأن تمام ماليتها كان باعتبار الدولة المصدرة لها ، فإذا ألغت الدولة ماليتها فقد سقطت من الاعتبار ، وحينئذ نقول : كان يجب على المقرض أن يدفع المثل الموصوف بأن له قيمة اعتبارية ، والأوراق النقدية القديمة هي مثل لما اخذ ، إلا أنها لا قيمة اعتبارية لها الآن ، فحينئذ يجب على المقرض أن يدفع الأقرب إلى المثل ، والأقرب هو النقد الجديد الذي اعتبرته الدولة ، وهذا هو معنى الضمان الذي أقدم عليه المقرض .

٢ - سريان المشكلة في غير القرض والبيع المؤجل ثمنه : كما لو تزوجت امرأة بمهر قدره مئة تومان إيراني قبل ثلاثين سنة ، ثم أراد الزوج طلاقها الآن ودفع مهرها لها ، فهل يدفع لها المئة تومان لا غير ، أو يدفع لها القيمة

الشرائية للمئة تومان قبل ثلاثين سنة ، التي كانت تساوي مثلاً عشرة مثاقيل من الذهب ؟

وقد يقال بوجوب ردّ القيمة الشرائية للمئة تومان ، وهي عشرة مثاقيل من الذهب ، وذلك لأنّ النقد الإيراني الورقي ليس مقصوداً بالذات كالحنطة والشعير وبقيّة الاعراض ، وليس كالذهب الذي يقصد لنفسه بما أنه عرض من الاعراض ، إذن قصد المتعاقدين كان منصّباً على القيمة الشرائية للمئة تومان في ذلك الوقت ، والزوج ملزم بدفع القيمة الشرائية في تلك الفترة .

ولكن نقول : إن العرف والسيرة قائمة على أن النقد بنفسه له قيمة ، وجاءت هذه القيمة من اعتبار العرف لها ، وحتى الذهب والفضة تقاس قيمتهما الآن بالاوراق النقدية ، فقد سقطت قيمتهما وبقيت عرضيتهما ، وإذا أردت أن تتأكد من هذه الحقيقة فما عليك إلّا أن تلتفت إلى ما عليه الناس وأنت منهم حينما يقولون : بكم الذهب اليوم ؟ وبكم الفضة اليوم ؟ وبكم الحنطة اليوم ؟ وهكذا ، أليس هذا دليلاً على أن الذهب تقاس قيمته بالنقد الورقي ؟ وإذا صح أن الاوراق النقدية هي النقد المتعارف في هذا الزمان ، فالمنظور والمقصود عند المتعاقدين هو نفس الاوراق النقدية بما لها من قيمة اعتبارية ، فتكون الدنانير الورقية كالعرض أو هي المقصودة بالذات . وعلى هذا فالذي يجب على الزوج أن يدفع المئة تومان . والذي يؤيد ما

نقوله من أن الاوراق النقدية نقد مقصود لذاته ، هو ما تراه عند ضياع النقود التي استلمتها من زيد الذي كان لك عنده كمية من النقد ، فهنا تكون ذمة زيد قد برئت وقد أضعت مالك ، بينما إذا كان زيد قد أعطاك شيكاً بالمبلغ ، وقد ضاع هذا الشيك ، فسرعان ما تبلغ البنك بضياع الشيك الذي يكون رقم كذا ، ويبقى لك عند زيد ذلك المبلغ الذي لم يسحب من حسابه في البنك المذكور ، وبهذا يتضح أن ضياع الاوراق النقدية أو احتراقها يعني احتراق أو ضياع المال ، أما عند ضياع الشيك والكمبيالة مثلاً فلا يكون المال ضائعاً ، فلا يكون للشيك والكمبيالة مالية ، وإنما هما كورقة التمويل ، فيكونان

(٢٨) وهذا البحث يكون جواباً لكل من قال بالفرق بين الدينارين والدرهم المعدنية، وبين الأوراق النقدية، بتقريب أن المعدنية هي عرض مقصود بذاتة، أما الأوراق النقدية فليست هي مقصودة بذاتها؛ إذ يجاب بأن العرف والسيرة قائمة على أن لها مالية في نفسها كالذهب والفضة والحنطة.

مقصودين بالعرض بخلاف النقد (٢٨).

٣ - هل يصح إقراض القيمة الشرائية للنقد، بأن يقول المقرض: اقترضت هذا المبلغ على أن ترجع لي قيمته السوقية في زمن العقد من الذهب؟

الجواب: أن هذه معاملة ربوية؛ وذلك لأن الأدلة قالت: كل قرض جزئ نفعاً فهو رباً، وهنا القرض هو نفس النقد، فاشتراط أرجاع قيمته السوقية في زمن القرض معناه وجود معاملتين:

١ - ضمان النقد (وهذا يحصل بعقد القرض).

٢ - معاوضة النقد بما يساوي قيمته من الذهب وقت العقد.

وبما أن المعاملتين في وقت واحد، وقد اجتمعتا في عقد القرض، فتكون المعاملة الثانية شرطاً في المعاملة القرضية، والشرط في القرض - إذا كانت منفعة المقرض - رباً، لأنه زيادة حكمية، والشرط هنا فيه نفع للمقرض، لأنه يسلب حرية المقرض من الاختيار في البيع وعدمه، ويكون ملزماً للمقرض بأن يدفع ذهباً بما يساوي قيمة النقد حين العقد، وهذا الإلزام هو نفع حكمي للمقرض في عقد القرض، فهو رباً.



دراسات

❁ الشيخ
ضهاد كاظم القضاوي

الأمير الحسن ومصلحة الأسلام العليا

إن المقام المقدس الذي حظي به الامام الحسن عليه السلام على لسان جده رسول الله ﷺ ، يدفعنا لمزيد من التأمل في سيرته المباركة ، بكل ما تحتويه من جوانب عظيمة وكمال ذاتية وحكمة وسداد رسالي ، والذي نراه ينسجم تماماً مع وصف رسول الله ﷺ له وموضعه منه فيما ورد عنه ﷺ في حقه عليه السلام منها :

عن علي بن الحسين عليه السلام قال : « لما ولدت فاطمة الحسن عليه السلام قالت لعلي عليه السلام : سمّه ، فقال : ما كنت لأسبق باسمه رسول الله ، فجاء رسول الله ﷺ فأخرج إليه في خرقة صفراء فقال : ألم أنهاكم أن تلفوه في خرقة صفراء ؟ ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها ، ثم قال لعلي عليه السلام : هل سميتّه ؟ فقال : ما كنت لأسبقك باسمه ، فقال ﷺ : وما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل .

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن ، فاهبط فأقرنه السلام وهنّته وقل له : إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى ، فسّمه باسم ابن هارون ، فهبط جبرئيل عليه السلام فهناه من الله عز وجل ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يأمر أن تسميه باسم ابن هارون ، قال : وما كان اسمه ؟ قال : شبر ، قال : لسانني عربي ، قال : سمّه الحسن ، فسّماه الحسن » (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير

(١) البحار ٢٣: ٢٣٨ ، ب ١١ .

منهما» (٢).

(٢) البحار ٤٣: ٢٦٣، ج ٨.

وعن زينب بنت أبي رافع عن أمها قالت : « قالت فاطمة عليها السلام : يا رسول الله ، هذان ابناك فانطلقهما ، فقال رسول الله ﷺ : أما الحسن فنحلته هيبتي وسؤدي ، وأما الحسين فنحلته سخائي وشجاعتي » (٣).

(٣) المصدر نفسه، ج ١١.

وعن البراء بن عازب قال : « رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن على عاتقه فقال : من أحبني فليحبه » (٤).

(٤) المصدر نفسه : ٢٩٤.

وقوله ﷺ : « اللهم إني أحبه فأحبه واحب من يحبه قال : وضّمه إلى صدره » (٥).

(٥) المصدر نفسه .

واجتمع أهل القبلة على أن النبي ﷺ قال : « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا » (٦).

(٦) المصدر نفسه : ٢٩١.

ولو سبرنا حياة الامام الحسن المجتبي عليه السلام لوجدنا ذات الخط الذي نهجه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام ، يتجسد مرة أخرى في سيرته الرسالية ، حيث لم ير مصلحة فوق مصلحة الاسلام العليا ، ولا قيمة لشيء اكبر من قيمتها ، بل لقد ارضى سلام الله عليه كل شيء في سبيلها ، لأنها سبيل الله وكلمته العليا .

ولنأخذ من مواقفه الكبرى في هذا السبيل بعض النماذج المتميزة في عهود أساسية ثلاث من سيرته المباركة :

١ - في عهد عثمان : ونستلّ من سيرة الامام الحسن المجتبي عليه السلام ، في هذا العهد مجالين هما :

أ - مشاركته في الكثير من حروب الدفاع عن بيضة الاسلام ، وفي كثير من الفتوحات الاسلامية أيام خلافة عثمان ، منطلقاً من مقولة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في رعاية مصلحة الاسلام العليا التي كررها في أكثر من موضع : « والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ، ولم يكن جورٌ إلّا عليّ خاصة » (٧).

(٧) نهج البلاغة - الخطبة ٧٤.

وقد نقلت لنا كتب التاريخ ومروياته هذه الحقيقة ، ومما جاء فيها : « إن

الامام أبا محمد الحسن عليه السلام كان قد بلغ العشرين عاماً أو تزيد ، وقد برز بين اعيان المسلمين في مواهبه العالية وتطلعاته إلى حقائق الأمور ومشكلاتها ، ومضى مع أبيه يتجرع مرارة تلك الأحداث القاسية ، ويتربص معه الوقائع والاحداث ، ويعملان لصالح الاسلام . وانضم الحسن إلى جنود المسلمين الذين اتجهوا إلى إفريقية بقيادة عبد الله بن نافع وأخيه عقبة في جيش بلغ عشرة آلاف مجاهد ، كما جاء في العبر لابن خلدون ، وتطلع المسلمون إلى النصر والفتح متفائلين بوجود حفيد الرسول وحبيبه يجاهد معهم ، وكانت الغزوة ناجحة وموفقة كما يصفها المؤرخون ، وعاد الحسن منها إلى مدينة جده وقلبه مفعم بالسرور ، وعلامة الارتياح بادية على وجهه الكريم لانتشار الاسلام في تلك البقعة من الارض .

كما جاء في تاريخ الأمم والملوك في حوادث سنة ثلاثين للهجرة أن سعيد بن العاص غزا خراسان ، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من اصحاب رسول الله والحسن والحسين وعبد الله بن عباس ، ومضى سعيد ومعه الحسن والحسين إلى جرجان ، فصالحوه على مئتي الف ، ثم هاجم طمية وهي تابعة لطبرستان ومتاخمة لجرجان على حد تعبير الطبري على ساحل البحر ، فقاتلهم اهلها قتالاً شديداً وصلى المسلمون صلاة الخوف ، واخيراً انتصر المسلمون في تلك المناطق كما نصّ على ذلك ابن خلدون وغيره من المؤرخين .

وجاء في الفتوحات الاسلامية وغيرها أن سعيد بن العاص غزا طبرستان سنة ثلاثين من الهجرة ، وكان الاجهيد قد صالح سويد بن مقرن على مال بذه في عهد عمر بن الخطاب ، وفي عهد عثمان بعد استيلائه على السلطة بخمس سنوات تقريباً ، جهز اليهم جيشاً بقيادة سعيد بن العاص ، كان فيه الحسن والحسين وعبد الله بن العباس وغيرهم من اعيان المهاجرين والانصار ، وتم لهم الاستيلاء على تلك المناطق والتغلب عليها . وتؤكد اكثر المرويات أن الحسن والحسين قد اشتركا في كثير من

الفتوحات الاسلامية ، وكان لهما دور بارز في سير تلك المعارك التي كانت تدور رحاها بين المسلمين وغيرهم» (٨) .

ب - كان موقفه من خلافة عثمان وما آلت إليه هو موقف ابيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، معبراً فيه عن كامل الطاعة والالتزام بأوامره وتوجيهاته في تلك الفترة العصيبة والفتنة العمياء ، خصوصاً بعد أن ملّ المسلمون سياسة عثمان وأعوانه وعماله . وتنقل لنا كتب التاريخ وقائع تلك الفترة ، ومنها أنه بعد فشل كل المحاولات التي بذلها المسلمون لاصلاح سياسة عثمان وأعوانه وعماله ، وخوفهم على دينهم وديارهم ، زحفوا إليه من جميع الاقطار ، ودخلوا في مفاوضات معه يطالبونه بإصلاح ما أفسده هو وعماله ، أو بالتخلي عن السلطة ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) ولده الحسن وسيطين بين الخليفة ووفود الامصار في محاولة للاصلاح ، ووضع حدّ للفساد الذي شمل جميع مرافق الدولة ، وكانا كلما أشرفا على النجاح ، ووضعوا الحلول الكفيلة بالاصلاح وارجاع الثوار إلى بلادهم ، جاء مروان ونقض كل ما أبرم بين الطرفين من حلول واتفاقات ، حتى تعقدت الامور اخيراً وهاجمه الثوار بتحريض من عائشة وطلحة والزبير ، وقالت لهم عائشة كما تؤكد ذلك اكثر المرويات : اقتلوا نعتلاً فقد كفر . وأخرجت للمسلمين قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت بصوت سمعه الجميع : هذا قميص رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته . كما تؤكد المصادر الموثوقة أن طلحة لم يقتصر دوره على التحريض على عثمان ، بل اشترك معهم وسهل لهم الوصول إلى داره للقضاء عليه في حين أن أمير المؤمنين - كما يدعي الرواة - قد ارسل ولديه حسناً وحسيناً ليدفعا عنه الثوار .

وجاء في رواية ابن كثير أن الحسن بن علي قد أصيب ببعض الجروح وهو يدافع عنه . ومما لا شك فيه أن أمير المؤمنين وولديه الحسن والحسين (عليه السلام) ، كانوا كغيرهم من خيار الصحابة ناقلين على تصرفات عثمان وأنصاره وعماله ، ومع ذلك لم يبلغ بأمر المؤمنين (عليه السلام) الحال إلى

(٨) الحسني، سيرة الاثمة
الاثني عشر ٤٨٢:١ - ٤٨٣ .
وراجع : تاريخ الامم والملوك
٥٧:٥ ، والفتوحات الاسلامية
١٧٥:١ ، والكامل لابن الاثير
١٠٩:٣ .

حدود الرضا بقتله والتحريض عليه ، بل وقف منه موقفاً سليماً وشريفاً ، أراد من عثمان أن ينتهج سياسة تتفق مع منهج الاسلام ، وأن يجعل حداً لتصرفات ذويه وعماله الذين أسرفوا في تبذير الاموال واستعمال المنكرات ، وأراد من الثائرين عليه أن يقفوا عند حدود المطالبة بالاصلاح الشامل لجميع مرافق الدولة ، وألا تتخذ ثورتهم طابع العدوان والانتقام ، واستطاع في المراحل الأولى من وساطته أن يضع حداً للصراع القائم بين الطرفين بما يحفظ لكل منهما حقه ، لولا أن مروان بن الحكم قد أفسد كل ما أصلحه الامام عليه السلام وظلّ الامام إلى آخر لحظة يتمنى على عثمان أن يتخذ موقفاً سليماً حتى يتاح له أن يعالج الموقف في حدود ما انزل الله (٩).

(٩) راجع سيرة الائمة الاثني عشر للحسني ١ : ٤٨٥ - ٤٨٦.

٢ - في عهد خلافة ابيه امير المؤمنين عليه السلام : وفي هذا العهد كان الامام الحسن السبط عليه السلام ظلاً لأبيه في كل ما تتطلبه مسألة الولاء لامامه خليفة رسول الله ﷺ ، وجندياً واعياً مطيعاً لكل أوامره . وقد تجلّى دوره هذا على طول الأيام الحاسمة ، والصراع المرير الذي عاشه والده أمير المؤمنين عليه السلام . ومن مهماته المشهودة في تلك الفترة :

أ - دوره في حرب الناكثين المعروفة بحرب الجمل : وهي الحرب التي استعرت في إثر تمرد طلحة والزبير في البصرة ، ورفعهما السلاح بوجه أمير المؤمنين علي عليه السلام بقيادة عائشة . وقد تمثل دور الامام الحسن عليه السلام فيها بأمرين اساسيين :

أولاً : لما توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذي قار ونزلها ، أرسل الامام الحسن المجتبي عليه السلام إلى الكوفة مع عمار بن ياسر وزيد بن حومان وقيس بن سعد ، ليستنفروا اهلها لمساعدته على طلحة والزبير ، وكان قد أرسل قبلهم وفداً فعارضهم أبو موسى ولم يستجب لطلب أمير المؤمنين عليه السلام ، ومضى الحسن بمن معه باتجاه الكوفة ، ولمّا دخلوها استقبلهم اهلها فقرأ عليهم كتاب ابيه ، ووقف أبو موسى نفس الموقف الذي وقفه مع الوفد الأول ،

وافعل حديثاً عن النبي ليثبط الناس عن مساعدة أمير المؤمنين، وأدعى أنه سمعه يقول: «ستكون بعدي فتنة القاعد فيها خير من القائم، والنائم خير من القاعد». فرد عليه عمار بن ياسر وقال: «إذا صبح أنك سمعت رسول الله يقول ذلك فقد عناك وحدك، فالزم بيتك. أما أنا فأشهد الله أن رسول الله قد أمر علياً بقتال الناكثين وسمي لي منهم جماعة، وأمره بقتال القاسطين، وإن شئت لأقيم لك شهوداً أن رسول الله قد نهاك وحدك وحدك من الدخول في الفتنة».

ووقف الحسن عليه السلام يستنفر الناس فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال: «أيها الناس، إننا جئنا ندعوكم إلى الله وكتابه وسنة رسوله، وإلى افقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون وأوفى من تبايعون، من لم يعبه القرآن ولم تجهله السنة ولم تقعد به السابقة. ندعوكم إلى من قربه الله ورسوله قرابتين: قرابة الدين وقرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كل مآثرة، إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، ففرب منه وهم متباعدون، وصلى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم محجمون، وصدقه وهم يكذبون، وهو سائلكم النصر ويدعوكم إلى الحق ويأمركم بالمسير إليه لتؤازروه وتنصروه على قوم تكفوا ببيعة، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثلوا بعقاله، ونهبوا بيت ماله. فاشخصوا إليه رحمكم الله».

وفي رواية ثانية عن جابر بن يزيد أنه قال: «حدثني تميم بن جذيم التاجي أن الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر قدما الكوفة يستنفران الناس إلى علي عليه السلام ومعهما كتابه، فلما فرغا من قراءته قام الحسن فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللهم سدّد منطق ابن بنت نبيك، فوضع يده على عمود يتساند إليه، وكان علياً من شكوى به، فقال: الحمد لله العزيز الجبار الواحد الأحد القهار الكبير المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارّ بالنهار، أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورعاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً

عبدہ ورسولہ ، امتن بنبوته واختصه برسالته وأنزل عليه وحیه واصطفاه على جميع خلقه . وأرسله إلى الإنس والجنّ حين عُبدت الاوثان وأطيع الشيطان وجُحد الرحمن ، فصلى الله عليه وعلى آله وجزاه افضل الجزاء ، أما بعد فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون ؛ إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرشد الله أمره وأعز نصره بعثني اليكم يدعوكم إلى الصواب والعمل بالكتاب والجهد في سبيل الله . وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله . ولقد علمتم بأن علياً صلى مع رسول الله وحده ، وأنه يوم صدق به لفي عاشره من عمره ، ثم شهد مع رسول الله جميع مشاهدته ، وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الاسلام ما قد بلغكم ، ولم يزل رسول الله راضياً عنه حتى غمضه بيده وغسله وحده والملائكة اعوانه ، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ، ثم ادخله حفرة ، وأوصاه بقضاء دينه وعاداته وغير ذلك من اموره ، كل ذلك من من الله عليه . ثم - والله - ما دعا إلى نفسه ، ولقد تذاك الناس عليه تذاك الابل الهيم عند وردها فبايعوه طائعين ، ثم نكت منهم ناكثون بلا حدث احده ولا خلاف آتاه حسداً له وبغياً عليه ، فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجذ والصبر والاستعانة بالله ، والاسراع إلى ما دعاكم إليه . عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته ، وألهمنا وإياكم تقواه وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه . واستغفر الله لي ولكم .

وبعد جدال طويل وحوار بين عمار بن ياسر والحسن بن علي رضي الله عنهما من جهة ، وبين أبي موسى الأشعري ، التفت الحسن رضي الله عنه إلى أبي موسى وقال له : « اعتزل عملنا لا أم لك وتنح عن منبرنا » وظل أبو موسى على موقفه المتصلب يخذل الناس ويوحى إليهم بأن رسول الله قد أمرهم باعتزال هذه الفتنة ، حتى جاء مالك الأشتر ودخل القصر وأخرج منه الحرس ، هذا وأبو موسى في جدال مع الحسن رضي الله عنه وعمار ، فجاء الغلمان والحرس يشتدون إليه وأخبروه بما صنع الأشتر ، فخرج من المسجد مذموماً مدحوراً ، واستجاب الناس لنداء الحسن رضي الله عنه ، وخرج معه إلى البصرة اثنا عشر ألفاً ، وكان أمير المؤمنين قد اخبر بعددهم وهو في ذي قار كما جاء في رواية

الشعبي عن أبي الطفيل ، وأضاف إلى ذلك أبو الطفيل يقول : «والله لقد قعدت على الطريق وأحصيتهم واحداً واحداً فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً» (١٠) .

ثانياً : شارك الامام الحسن (عليه السلام) في حرب الجمل إلى جنب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وحمل رايته وانتصر بها على الناكثين . ومما أجمع عليه المؤرخون في ذلك أنه «لما زحف أمير المؤمنين في كتيبته الخضراء التي جمعت المهاجرين والأنصار ، وحوله أولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وكان قد اعطاه الراية ، فحمل بها على أنصار عائشة ومضى يتقدم بها حتى تزعزعت صفوفهم ، فقال له الانصار : والله يا أمير المؤمنين لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين لما قدمنا على محمد أحداً من العرب ، فقال لهم أمير المؤمنين : اين النجم من الشمس والقمر ؟ أما إنه قد أغنى وأبلى وله فضله ، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه ، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى عليه . فقالوا له : يا أمير المؤمنين ، إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين ، ولا نظلمهما له ولا نظلمه لفضلهما عليه حقه . فقال : اين يقع ابني من ابني بنت رسول الله ؟» (١١) .

(١٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٩٥. القرشي / حياة الامام الحسن (عليه السلام) ٤٣٣: ١

(١١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٨٢. ١

ب - دوره في حرب القاسطين المعروفة بحرب صفين : وهي حرب البغاة في الشام التي قادها معاوية بن أبي سفيان خروجاً على خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهكذا أيضاً كان دور الامام الحسن (عليه السلام) فيها كدوره في حرب الجمل ، بل زاد عليه : حيث قام بتعبئة المسلمين للجهاد وبذل جهده لإحباط مؤامرة التحكيم والاحتجاج على المنادين به . ونلخص هذا الدور بما يلي :

أولاً : وقف الامام الحسن (عليه السلام) خطيباً يعبئ المسلمين لجهاد القاسطين البغاة بقيادة معاوية بن أبي سفيان فقال : « الحمد لله لا إله غيره ولا شريك له ، وإنه مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه مالا يحصى ذكره ولا يؤدي شكره ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا لله ولكم ، وإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم واستحكمت عقدتهم ، فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية

وجنوده، ولا تتخاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأستة نخوة وعصمة، لم يتمنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم حوائج الذلة، وهداهم إلى معالم الملة» ثم أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يلقيك من أنفاسها جرع (١٢)

ثانياً: لقد عبّر الامام الحسن عليه السلام عن ولائه المطلق لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام في محنته هذه، مستخفاً بإغراء البغاة له بالخلافة دون أبيه. فقد روي أن عبيد الله بن عمر ارسل إلى الحسن بن علي أن لي حاجة، وكان إلى جانب معاوية بن أبي سفيان، فلقية الامام أبو محمد الحسن، فقال له عبيد الله: «إن أباك قد وتر قريشاً أولاً وآخرأ، وقد شنئه الناس، فهل لك في خلعه وتتولى أنت هذا الأمر؟» فقال له الحسن عليه السلام: «كلا، والله لا يكون ذلك أبداً» ومضى يقول: «يا بن الخطاب، والله لكأني أنظر إليك مقتولاً في يومك أو غدك. أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك متخلفاً بالخلوق: ترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلأ».

ثم انصرف كل منها إلى جهته. ونقل احد الرواة قال: «فو الله ما كان إلا بياض ذلك اليوم، حتى قُتل عبيد الله وهو في كتيبة رقطاع تدعى الخضرية، وكان في اربعة آلاف عليهم ثياب خضر، فمّر الحسن بن علي عليه السلام، وإذا برجل متوسّد برجل قتيل قد ركز رمحه في عينه وربط فرسه برجله، فقال الحسن لمن معه: انظروا من هذا؟ فإذا رجل من همدان، وإذا القتيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب قد قتله الهمداني في أول الليل وبات عليه حتى أصبح» (١٣).

ثالثاً: كان للامام الحسن عليه السلام دور مشهود في الاحتجاج على من نادى بالتحكيم وقبل به، كاشفاً عن حقيقة الموقف وما يكمن وراءه من مؤامرة شيطانية لتفريق جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وتمزيقه داخليأ. ومما روى في ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن أعيته السبل في التحذير من التحكيم وأنه خدعة ومؤامرة، استسلم مكرهاً لرغبة القوم، فكانت مهزلة التحكيم التي انتهت بخذلان أبي موسى الأشعري للامام علي عليه السلام، فساد الاضطراب

(١٢) القرشي، حياة الامام الحسن عليه السلام ١: ٤٨٠. الحسن بن علي، سيرة الأئمة الاثني عشر ٤٩٥:١.

(١٣) الحسن بن علي، سيرة الاثني عشر ٤٩٦:١.

معسكر أمير المؤمنين عليه السلام ، وبدت ظواهر التمزق والتفرق تسود أوساط جيشه ، وأخذ كل فريق يتبرأ من الآخر ويشتمه ، فلم يجد الامام علي عليه السلام سبيلاً لدرء هذه المفسدة وبيان الحق وكشف حقيقة التحكيم وبطلانه ، إلا أن يقدم الامام الحسن المجتبي عليه السلام ليقوم بهذه المهمة الرسالية قائلاً له : « قم يا بني فقل في هذين الرجلين عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص » ، فقام الامام السبط خطيباً فقال : « أيها الناس ، قد اكرتتم في هذين الرجلين ، وإنما بُعِثا ليحكما بالكتاب على الهوى ، فحكما بالهوى على الكتاب . ومن كان هكذا لم يُسمَ حكماً ولكنه محكوم عليه . وقد أخطأ عبد الله بن قيس إذ جعلها لعبد الله بن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال : واحدة أنه خالف أباه إذ لم يرضه لها ، ولا جعله في اهل الشورى ، وأخرى أنه لم يستأمره في نفسه ، وثالثة : أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها على الناس ، وأما الحكومة فقد حَكَمَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن معاذ ، فحكم بما يرضي الله به ، ولا شك لو خالف لم يرضه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » (١٤) .

(١٤) القرشي، حياة الامام
الحسن عليه السلام ١: ٥٣٠.

وبذلك أظهر الامام السبط حقيقة الموقف ، وكشف عن زيف التحكيم ، وخطأ رأي أبي موسى الاشعري الذي انتخبته الغوغاء من جيش الامام علي عليه السلام ومكنته من الموقف دون روية وتدبر ، رغم أنه معروف بسوء سيرته .

وهكذا كان الامام الحسن عليه السلام سنداً وظهيراً لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام إلى آخر لحظة من حياته ، وكان يعاني مايعانيه أبوه من اهل العراق ويتألم لآلامه ومحنه ، وهو يرى معاوية يحوك المؤامرة تلو الاخرى ، ويبث مرتزقته في انحاء العراق لتثبيط المسلمين عن أمير المؤمنين عليه السلام ، ويقري القادة والزعماء بالأموال والمناصب حتى فرق اكثرهم عنه ، وأصبح أمير المؤمنين يتمنى فراقهم بالشهادة في سبيل الله ، ولطالما بكى وقبض على كريمته وهو يقول : « متى يبعث اشقاها فيخضب هذه من هذا ؟ » ، والحسن عليه السلام

يرى كل ذلك وتأخذه الحسرة والألم لما يحيط بأبيه من المتاعب والمحن والفتن .

٣ - في أيام خلافته عليه السلام : لقد أجمع المؤرخون أن خلافته كانت في صبيحة اليوم الذي دفن فيه أمير المؤمنين عليه السلام ، وبعد الفراغ من إنزال حكم الله بقتل ابن ملجم ، فقد ضربه ضربة واحدة قضت عليه كما أوصاه أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم تجمع عند الامام الحسن عليه السلام صبيحة ذلك اليوم حشد كبير من اهل الكوفة غص بهم الجامع على سعته ، فوقف خطيباً حيث كان يقف أمير المؤمنين وحوله من بقي من وجوه المهاجرين والانصار ، فابتدأ خطابه في مصابه بأبيه الذي اصيب به جميع المسلمين ، وقال بعد أن حمد الله وصلى على محمد وآله : « لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل . لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه ، وأينما وجهه رسول الله كان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم إلى السماء ، وقبض فيها يوشع بن نون وصي موسى ، وما خلف خضراء ولا بيضاء سوى سبعة درهم فضلت عن عطائه أراد أن يبتاع فيها خادماً لأهله ، وقد أمرني أن أردّها إلى بيت المال » . ثم تمثل له أبوه وما كابده في حياته من الآلام والمتاعب فاستعبر باكياً ، وبكى الناس من حوله حتى ارتفعت الاصوات بالبكاء والنحيب من جميع انحاء الكوفة ، وعاد إلى حديثه بعد أن استنصت الناس ، وقال : « أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ، وأنا ابن النبي والوصي ، وأنا ابن البشير النذير والداعي إلى الله بإذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من اهل البيت الذين كان جبرئيل ينزل إلينا ويصعد من عندنا ، وأنا من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وافترض مودتهم على كل مسلم فقال في كتابه : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ﴾ فاقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت » (١٥) .

وبعد خطابه هذا أقبل الناس يتسابقون إلى بيعته ، وتمت بيعته في الكوفة والبصرة ، كما بايعه أهل الحجاز واليمن وفارس وسائر المناطق التي كانت تدين بالولاء والبيعة لأبيه . ولما بلغ نبأ البيعة معاوية اجتمع بكبار اعوانه ، وشرعوا بحبك المؤامرات ورسم الخطط لنقض بيعة الامام الحسن عليه السلام وتقويض خلافته . وعندما نستقري سيرة الامام الحسن عليه السلام ومواقفه إزاء هذه المؤامرات والفتن الطخياء ، تتجسد أمامنا قمة الفناء في الله سبحانه ، واتخاذ مصلحة الاسلام العليا مقياساً حاسماً لمواقفه ومواجهاته مضحياً بكل شيء دون ذلك .

ويمكننا الإشارة إلى ثلاث حالات مثلت كبريات مواقفه الرسالية المشهودة في هذا السبيل :

أ - أن الامام الحسن عليه السلام رأى ابتداءً أن مصلحة الاسلام العليا تقوم بالتعبئة لحرب الباغية معاوية بن أبي سفيان ، وقد اتخذ الامام عليه السلام قراره هذا بعد مراسلات متبادلة بينه وبين معاوية أتم فيها الحجّة عليه ، وردّ عليه محاولاته لإغرائه عليه السلام بالأموال والخلافة من بعده قائلاً له : « ولك ألا تقضى دونك الأمور ، ولا تعصى في أمر من الأمور أردت بها طاعة الله ... » وكان آخر ما كتبه الامام عليه السلام راداً عليه : « أما بعد فقد وصلني كتابك تذكر فيه ما ذكرت ، وتركت جوابك خشية البغي عليك وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحق تعلم أنني من أهله وعلي إثم أن أقول فاكذب . والسلام » .

ولما وصله كتاب الحسن عليه السلام أدرك أن أساليبه ومغرياته لم تغير من موقفه شيئاً ، فكتب إلى جميع عمّاله في بلاد الشام : « أما بعد ، فأني أحمد إليكم الله الذي لا إله غيره ، والحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم وقتله خليفتم . إن الله بلطفه وحسن صنيعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عبياده فاغتاله وقتله ، وترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائره ، فأقبلوا إلي حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم ، فقد أصبتم - بحمد الله -

الثار وبلغتم الأمل ، وأهلك الله أهل البغي والعدوان . والسلام عليكم ورحمة الله .»

فاجتمعت إليه الوفود من كل الجهات وسار بهم باتجاه العراق . ويدّعي المؤرخون أنه لما بلغ الحسن بن علي خبر مسيره وأنه قد بلغ جسر منبج تحرك عند ذلك ، وكتب إلى عمّاله يدعوهم إلى التحرك ، ونادى مناديه في الكوفة يدعوهم إلى الاجتماع في المسجد ، فأقبل الناس حتى امتلأ بهم ، فخرج الامام وصعد المنبر ، فأثنى على الله وصلى على رسوله ، ثم قال : « لقد كتب الله الجهاد على خلقه وسفاه كرهاً ، وأوصى المجاهدين بالصبر ووعدهم النصر وجزيل الأجر . ثم قال : أيها الناس ، إنكم لستم نائلين ما تحبّونه إلا بالصبر على ما تكرهون ، وقد بلغني أن معاوية كان قد بلغه أننا أزمعنا على المسير إليه فتحرك نحونا بجنده ، فخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى انظر وتنظرون ونرى وترون . »

فسكت الناس ولم يتكلم احد منهم بحرف واحد ، فلما رأى ذلك منهم عدي بن حاتم قام وقال : « أنا ابن حاتم . سبحان الله ! ما أقيح هذا المقام ! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم ؟ ، أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة ؟ فإذا جد الجد فمراوغون كالثعالب . أما تخافون مقت الله وعيبتها وعارها ؟ » ثم استقبل الامام الحسن بوجهه وقال : « أصاب الله بك المرشد وجنبك المكاره ، ووفقك لما تحمد وروده وصدوره . قد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى امرك واطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذا وجهي إلى معسكري فمن احب أن يوافيني فليواف » ثم مضى لوجهه وخرج من المسجد فركب دابته ، وكانت على باب الجامع ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه ، ومضى هو إلى النخيلة .

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الانصاري ، ومعقل بن قيس الرياحي ، وزيايد بن صعصعة التيمي ، فأتبوا الناس ولاموهم على تخاذلهم وحرضوهم على الخروج ، وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم ، فقال لهم : « صدقتم رحمكم الله . ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة

والنصيحة ، فجزاكم الله خيراً .

وخرج الناس إلى النخيلة ، فلما تكامل عددهم لحق بهم الحسن ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب ، وأمره بأن يحرك الناس ويحثهم على الخروج والالتحاق بالجيش .

ويروي المؤرخون أنه لما تكامل الجيش خرج به الحسن عليه السلام ، وقد حدده بعضهم بأربعين ألفاً ، وبعضهم بستين وبأكثر من ذلك ، ولما نزل دير عبد الرحمن أقام به ثلاثة أيام ، ودعا عبيد الله بن العباس وقال له : « يابن العم ، إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقرأ مضر ، الرجل منهم يريد الكتيبة ، فسر بهم على الشاطئ حتى تقطع الفرات وتنتهي إلى مسكن ، وامض منها حتى تستقبل معاوية ، فأن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وافرش لهم جناحك وأدnhem من مجلسك ، فإنهم من ثقات أمير المؤمنين ، فإن أنت لقيت معاوية فاحبسه حتى أتيك ، فإني على إثرك وشيكاً . وليكن خبرك عندي كل يوم » .

وأرسل معه قائدين من خيرة المسلمين اخلاصاً وجهاداً ونصيحة في سبيل الله ، وهما قيس بن سعد بن عبادة ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وأمره ألا يقطع أمراً دونهما ، وأن يستشيرهما في جميع الأمور ، وقال له : « إذا أنت لقيت معاوية فلا تقاقله حتى يكون هو البادئ في القتال ، فإن أصبت فقيس بن سعد على الناس ، وإن أصيب فالقيادة من بعده لسعيد بن قيس » .

وسار عبيد الله بالناس يقطع الصحاري حتى انتهى إلى الفلوجة ، ومنها إلى مسكن ، وكان معاوية قد نزل فيها ، فنزل عبيد الله بن العباس بإزائه ، وفي اليوم الثاني وجه معاوية بخيل أغارت على جيش عبيد الله فوقفوا لها وردوها على أعقابها ، وأيقين معاوية تصميم الحسن عليه السلام على مواصلة القتال بعد أن رفض العروض المغرية التي قدمها إليه في رسائله ^(١٦) .

ب - رأى الامام عليه السلام أن مدار مصلحة الاسلام العليا بعد خذلان جيشه له وتفرقه عنه ، يقوم بعقد معاهدة الصلح مع معاوية بن ابي سفيان ؛ وفي هذا السياق ينقل لنا المؤرخون أن معاوية لما أرسل خيله لقتال الجيش الذي

(١٦) الحسنی، سیرة الائمة

الاثني عشر ١: ٥١١-٥١٣.

يقوده عبيد الله ، ردها اهل العراق على اعقابها ، وبمجيء الليل أرسل معاوية رسالة إلى عبيد الله جاء فيها أن الحسن قد أرسلني في الصلح وسلم الأمر لي فإن دخلت في طاعتي الآن تكن متبوعاً خير لك من أن تكون تابعاً بعد غد ، ولك أن أجبتني الآن أن أعطيك الف الف درهم أعجل لك في هذا الوقت نصفها ، وعندما أدخل الكوفة ادفع لك النصف الثاني .

ويدعي أكثر المؤرخين أن عبيد الله انسل من قاعدته ، ودخل عسكر معاوية ومعه بضعة آلاف ممن كانوا معه ، فوفى له بما وعده ، وانتبه الناس بدخول النهار ، فانتظروا عبيد الله ليصلي بهم فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد ، ولما تأكدوا من خبره خطبهم قيس ، وذكر عبيد الله فنال منه ، وأمرهم بالصبر والثبات ، وعرض عليهم الحرب ومناهضة معاوية مهما كان الحال ، فأجابوه لذلك ، فنزل عن المنبر ومضى بهم لقتال معاوية ، فقابلهم جيشه بقيادة بسر بن أرطاة ، وبث دعائه بين أصحاب قيس يذيعون أن اميرهم عبيد الله مع معاوية في خبائه ، والحسن بن علي قد وافق على الصلح فعلاهم تقتلون أنفسكم . وهنا يدعي المؤرخون أن قيساً قال لأهل العراق : «أختاروا احدي اثنتين : إما القتال بدون إمام ، وإما أن تبايعوا ببيعة ضلال» فقالوا بأجمعهم : «بل نقاتل بدون امام» ثم اتجهوا نحوهم واشتبك الفريقان في معركة ضارية كانت نتائجها لصالحهم ، وتراجع بسر بمن معه إلى معسكراتهم مخذولين مقهورين .

وكان موقف عبيد الله من جملة العوامل التي تسببت في تفكك جيش الامام وتخاذله ، وفتح ابواب الغدر والخيانة والتسلل الجماعي ، وتذرع ذوي النفوس الضعيفة والقلوب المريضة أن عبيد الله ابن عمه واولاهم بمناصرتة والتضحية في سبيله .

كما كان لغدر عبيد الله بن العباس في نفس الامام عليه السلام حزن بالغ وأسى مرير ؛ لأنه فتح الباب لغيره ، وتستتر بغدره وخيانتة جميع الطامعين والخونة من اهل العراق ، ونشط انصار معاوية في نشر الترهيب والترغيب

في صفوف الجيش ، ولم يتركوا وسيلة لصالح معاوية إلا واستعملوها ، واستمالوا اليهم حتى رؤساء ربيعة الذين كانوا حصناً لأُمير المؤمنين عليه السلام في صفين وغيرها من المواقف ؛ فلقد راسله خالد بن معمر احد زعمائها البارزين وبايعه عن ربيعة كلها .

كما راسله وبايعه عثمان بن شرحبيل احد زعماء بني تميم ، وشاعت الخيانة بين جميع كتائب الجيش وقبائل الكوفة ، وأدرك الامام أبو محمد الحسن عليه السلام كل ذلك ، وصارحهم بالواقع الذي لم يعد يجوز السكوت عنه ، فقال : « يا أهل الكوفة ، أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه ، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد اتوا معاوية وبايعوه ، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي » .

وهنا اطمأن معاوية بأن المعركة لو وقعت بين أهل الشام وأهل العراق ستكون لصالحه ، وسيكون الحسن بن علي عليه السلام والمخلصون له من جنده خلال أيام معدودات بين قتل وأسير تحت رحمته ، وأن السلطة صائرة إليه لا محالة ، ولكن استيلاءه عليها بقوة السلاح لا يعطيها الصبغة الشرعية التي كان يحاول التمويه بها على الناس ، هذا بالاضافة إلى ما قد يحدث من المضاعفات الخطرة التي ستجعله في ضيق من نتائجها ، وذلك لو أصيب الحسن والحسين خلال المعارك وهما سيذا شباب أهل الجنة ، وريحاننا جدهما وأحبّ الخلق إليه بالنصوص المتواترة التي لا يجهلها أحد من المسلمين .

لذلك ولغيره كان معاوية على ما يبدو حريصاً على ألا يتورط مع الحسن بن علي عليه السلام في الحرب ، وإن كان مطمئناً لنتائجها ، فعرض عليه فكرة الصلح في أولى رسائله ، وترك له أن يشترط ويطلب ما يريد ، وراح يردد حديث الصلح في مجالسه وبين انصاره في جيش العراق ويأمرهم بإشاعته ، وكاتب القادة والرؤساء به ليصرف انظارهم عن الحرب ، ويبث بينهم روح التخاذل والاستسلام للأمر الواقع .

وكانت فكرة الصلح كما ذكرنا مغلفة بلون ينخدع له الكثيرون من الناس، ويفضلونه على الحرب والقتال ؛ فلقد عرضها في رسالته الأولى على الحسن عليه السلام وأشاعها بين أهل العراق ، على ألا يقضي أمراً من الأمور بدون رأيه ، ولا يعصيه في أمرٍ أريد به طاعة الله ورسوله ، وترك له مع ذلك أن يقترح ما يريد ؛ كل ذلك لعلمه بأنها ستلقى بهذه الصياغة قبولاً من الكثيرين، وسيتبع ذلك انقسام في صفوف الجيش يضطره إلى الصلح لأنه أهون الشرين ، كما التجأ والده من قبل للتحكيم والرضا بالاشعري حكماً لأهل العراق في مقابل ابن العاص ، لأنه أقل خطراً وضرراً من المضي في الحرب ، مع انحياز القسم الأكبر من الجيش إلى جانب فكرة التحكيم التي وضعها معاوية ، بعد أن ضاق عليه أمره وكاد أن يقع أسيراً بيد الاشر ومن معه من الجنود البواسل .

وبالاضافة إلى أن فكرة الصلح بتلك الشروط ستكون سلاحاً بيد الخونة من أهل العراق ، ستكون أيضاً عذراً مقبولاً لمعاوية لو كانت الحرب وأصيب الحسنان وخيار الصحابة عند السواد الاعظم من الناس .

وكان الأمر كما قدر معاوية ؛ فقد أدت فكرة الصلح بتلك الصيغة إلى التشويش والاضطراب في صفوف الجيش ، وإلى تسلل عبيد الله بن العباس وعدد من القادة وزعماء العشائر إلى معاوية واتصال بعضهم به عن طريق المراسلة ، وكان هو بدوره بما لديه من وسائل الاعلام يرسل إلى الحسن بجميع اخبارهم وتصرفاتهم ليقطع أمله من نتائج الحرب ، ولا يبقى له خيار في الصلح ، وكان الأمر كذلك .

وقال الشيخ المفيد في ارشاده والطبرسي في اعلام الورى : إن أهل العراق كتبوا إلى معاوية بالسمع والطاعة ، واستحثّوه على السير نحوهم ، وضمنوا له تسليم الحسن إليه إذا شاء عند دنوّه من معسكرهم أو الفتك به (١٧) .

وجاء في علل الشرائع أن معاوية دسّ إلى عمرو بن حريث والأشعث بن

قيس وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي ووعد من يقتل الحسن بمئة الف وقيادة جند من اجناد الشام وبنت من بناته ، ولما بلغ الحسن ذلك كان لا يخرج بدون لامة حربيه ، ولا ينزعها حتى في الصلاة ، وقد رماه احدهم بسهم وهو يصلي فلم يثبت فيه .

ولا شك أن معاوية أراد من اغتيال الامام الحسن عليه السلام على يد العراقيين أن يسلم له الامر ، ويخلو له الجوبدون قتال إذا تعذر الصلح ، حتى لا يتحمل مسؤولية قتله وقتل آله وانصاره تجاه الرأي العام الاسلامي ، الذي لا يغفر له عملاً من هذا القبيل مهما كانت الظروف .

ولم يكن الامام أبو محمد الحسن عليه السلام يفكر بصلح معاوية ولا بمهادنته ، غير أنه بعد أن تكدست لديه الاخبار عن تفكك جيشه ، وانحياز اكثر القادة لجانب معاوية ، أراد أن يختبر نواياهم ويمتحن عزيمتهم ، فوقف بمن كان معه في ساباط ، ولوح لهم من بعيد بالصلح وجمع الكلمة فقال : « فوالله اني لأرجو أن أكون انصح خلق الله لخلقه ، وما اصبحت محتملاً على احد ضغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة . ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة . ألا واني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا امري ولا تردوا علي رأبي . غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه محبته ورضاه » (١٨) .

(١٨) الحسنی، سيرة الائمة
الاثنی عشر ٥١٤:١ - ٥١٨.

وهنا تنقح لدى الامام عليه السلام موضوع مصلحة الاسلام العليا بدفع اعظم الضررين ، أولهما : الاستمرار بحرب خاسرة لا محالة فيها فناؤه وفناء اهل بيته وبقية الصفوة الصالحة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله واصحاب أمير المؤمنين عليه السلام واصحابه هو عليه السلام ، وهم حفظة القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والذابون عن العثرة الطاهرة ، والدعاة الامناء إلى ولايتهم وقيادتهم ، والثانية : القبول بالصلح وحقق دماء اهل بيت النبوة والعصمة وبقية الصفوة الصالحة من شيعتهم ؛ ليحملوا لواء الدعوة لآل محمد صلى الله عليه وآله ، ويصدعوا بالحق أمام محاولات تضییعه وتحريف وتزوير دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله ، ليتصل حبلم بحبل الاجيال اللاحقة ، ولتصل إليها معالم

الدين الحق ، ولتدرك حق اهل البيت عليهم السلام وباطل اعدائهم .

وهكذا اضطر الامام الحسن عليه السلام للصلح ، وكان نصّ كتاب الصلح بينه وبين معاوية بن أبي سفيان كالآتي :

« هذا ما اصطلح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . صالحه على :

* أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد عليه السلام وسيرة الخلفاء الصالحين .

* ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين .

* أن الناس آمنون حيث كانوا من ارض الله ؛ في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم .

* أن اصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على احد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه .

* أنه لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من اهل بيت النبي عليه السلام غائلة سرّاً ولا علانية ، ولا يخيف احداً منهم في افق من الآفاق .

شهد على ذلك عبد الله بن نوفل بن الحارث وعمر بن أبي سلمة وفلان وفلان .

ثم ردّ الحسن بن علي هذا الكتاب إلى معاوية مع رُسلٍ من قبيله ليشهدوا عليه بما في هذا الكتاب ، (١٩) .

ج - وجد الامام عليه السلام أن عليه - في سبيل بيان الاسباب والعلل التي ألجأت إلى عقد معاهدة الصلح مع معاوية بن أبي سفيان - أن يكشف الحقائق ويظهر الحق لتتمّ الحجة البالغة في إدراك حقيقة المصلحة الاسلامية العليا الكامنة في هذا الصلح . وقد تواصلت بياناته وخطاباته في هذا السبيل إلى آخر لحظة من لحظات حياته الشريفة .

(١٩) سيرة رسول الله واهل

بيته ٣٤:٢ - ٣٥ ، نقلاً عن

الفتوح لابن أعم ١٩٥:٤ .

ومما يروى في ذلك أن سليم بن قيس قال : « قام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على المنبر حين اجتمع مع معاوية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن معاوية زعم أنني رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً ، وكذب معاوية ، أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله ، فأقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني ، لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها ، ولما طمعتم فيها يا معاوية ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما ولت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه ، إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلًا حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل . وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى ، وقد تركت الأمة علياً عليه السلام وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة ، فلأنبي بعدي . وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى فر إلى الغار ، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم ، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية . وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، ولم يجد عليهم أعواناً . وقد جعل الله النبي في سعة حين فر من قومه لما لم يجد أعواناً عليهم ، كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً . وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً .

أيها الناس ، إنكم لو التمسستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد النبي غيري وغير أخي » .

وعن حنان بن سدير عن أبيه سدير عن أبيه عن أبي سعيد عقيصا قال : « لما صالح الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان ، دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته ، فقال عليه السلام : ويحكم ! ماتدرون ما عملت . والله للذي عملت لشيعتي خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت . ألا تعلمون أنني إمامكم ، ومفترض الطاعة عليكم ، واحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله علي ؟ ! قالوا : بلى . قال : أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام ، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنه ما من أحد إلا يقع في عنقه بيعة لطاغية

زمانه إلا القائم (عج)؟ الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم عليه السلام، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج. ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الاماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون اربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير».

عن زيد بن وهب الجهني قال: «لما طعن الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن أتيته وهو متوجع، فقلت: ما ترى يا بن رسول الله، فإن الناس متحIRON؟ فقال: أرى - والله - أن معاوية خير لي من هؤلاء. يزعمون أنهم لي شيعة. ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقتي واخذوا مالي. والله لئن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأومن به في اهلي، خير من أن يقتلوني فتضيع اهل بيتي واهلي. والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلباً. والله لئن أسالته وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا اسير، أو يمن علي فيكون سنة على بني هاشم آخر الدهر، ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحي منّا والميت. قال: قلت: تترك يا بن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راع؟ قال: وما أصنع يا أخا جهينة؟ إني والله اعلم بأمر قد أتى به إلي ثقاته: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لي ذات يوم وقد رأيته فرحاً: يا حسن، أنفرح؟ كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً؟ كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أمية؟ وأميرها الرحب البلعوم، الواسع الاعفاج، يأكل ولا يشبع، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاثر، ثم يستولي على غربها وشرقها، يدين له العباد ويطول ملكه، يستنّ بسنن اهل البدع والضلال، ويُميت الحق وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يقسم المال في اهل ولايته، ويمنعه من هو أحق به، ويدلّ في ملكه المؤمن، ويقوى في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين انصاره دولاً، ويتخذ عباد الله خولاً، يدرس في سلطانه الحق، ويظهر الباطل، ويقتل من ناواه على الحق، ويدين من والاه على الباطل» (٢٠).

(٢٠) الطبرسي، الاحتجاج: ٢.

٢٨٨ - ٢٩١.

ويروى أيضاً أنه بعد أن تمّ التوقيع على الصلح، قدم معاوية إلى الكوفة للاجتماع بالامام الحسن عليه السلام، حيث ارتقى معاوية المنبر ليعلم - متحدياً كل المواثيق والعهود والاعراف - أنه يسحق بقدميه كل الشروط التي صالح الحسن عليها، وخاطب الناس المحتشدة في مسجد الكوفة قائلاً: «والله إني

ما قاتلتكم لتصلّوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتحجّوا ، ولا لتزكّوا ، إنكم لتفعلون ذلك ، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك ، وانتم له كارهون . ألا وإن كلّ دم أصيب في هذه الفتنة فهو مطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين » .

وهنا تلمل أصحاب الامام الحسن عليه السلام وأتباعه ، وتجرأوا عليه ووصفوه بمذلل المؤمنين ، فصبر سلام الله عليه صبراً جميلاً ، ووفق يبيّن لهم الحقائق التي خفيت عنهم في اجواء الانفعال والعاطفة والغضب الذي اعتراهم من تحدي معاوية لهم ، ونقضه لوثيقة الصلح وتوهينه للامام الحسن عليه السلام واصحابه .

ومما روي عنه عليه السلام أنه قال لبشير الهمداني عندما لاهه على الصلح : «لست مُذَلًّا للمؤمنين ، ولكني معزهم . ما أردت لمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل ، عندما رأيت تباطؤ اصحابي ونكولهم عن القتال» .

قال عليه السلام ذلك لبشير هذا ، لأنه كان أول المرتعدين من القتال . وقال لمالك بن زمرة عندما كلمه بشأن الوثيقة : «إني خشيت أن يُجثت المسلمون عن وجه الأرض ، فأردت أن يكون للدين داع» .

وقال مخاطباً أبا سعيد : يا أبا سعيد ، علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة وبني اشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية .

وقال له حجر بن عدي ، وكان وجهاً من وجوه صحابة رسول الله ﷺ وصحابة علي وابنه الحسن عليه السلام ، عندما خاطب الامام الحسن عليه السلام بعد أن سمع كلام معاوية على المنبر وهو يتنصّل من كل الشروط التي وقعها مع الامام عليه السلام : «أما والله ، لقد وددت أنك متّ في ذلك ، ومتنا معك ، ثم لم تر هذا اليوم ، فإنا رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا مسرورين بما أحبّوا» ، إلا أن الامام أرسل إليه بعد انصرافه إلى بيته وقال له : «إني قد سمعت كلامك في مجلس معاوية ، وليس كل إنسان يحب ما تحب ولا رأيه كرايك ، وإنني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاء عليكم» (٢١) .

وعن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : « حدثني رجل منا قال : أتيت الحسن بن علي عليه السلام فقلت : يا بن رسول الله : أذلت رقابتنا ، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً . مابقي معك رجل . قال : ومم ذلك ؟ قال : قلت : بتسليمك الأمر لهذا الطاغية ، قال : والله ما سلمت الأمر إليه إلا أني لم أجد انصاراً ، ولو وجدت انصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكني عرفت اهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً : إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل ، إنهم لمختلفون ، ويقولون لنا إن قلوبهم معنا ، وإن سيوفهم لمشهورة علينا . قال : وهو يكلمني إذ تنزع الدم ، فدعا بطست فحمل من بين يديه مليء مما خرج من جوفه من الدم . فقلت له : ما هذا يا بن رسول الله ؟ إنني لأراك وجعاً ! قال : أجل ، دس إلي هذا الطاغية من سقاني سقاً ، فقد وقع على كبدي وهو يخرج قطعاً كما ترى » (٢٢) .

(٢٢) الطبرسي، الاحتجاج : ٢

٢٩١

ولقد أشار الامام محمد الباقر عليه السلام إلى هذه المصلحة الاسلامية العليا في صلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان بقوله : « والله ، لنذني صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس » (٢٣) .

(٢٣) الكليني، الكافي ٨ : ٣٣٠ .

وكان الامام الباقر (ع) ،

إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
كَانَ عَبْدًا نَاسٍ فِي مَآثِرِهِ وَزُهْدِهِ
وَأَفْضَلُهُمْ

البحر
٣٣١ : ٤٣



لغة إيمان

الشيخ
علي الراسدي المياهي

اللهم لك الحمد على ما أنعمت ، ولك الشكر على ما ألهمت ، وصلّى
على نبيك الأطيب الأطهر محمد وآله المعصومين الطاهرين ، لا
سيما القائم المؤمل والعدل المنتظر ، والعن أعدائهم أجمعين من الأولين
والآخرين . وبعد .

هذه رسالة وجيزة متواضعة في التحقيق حول حديث الإنذار يوم نزل
قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) .

(١) الشعراء : ٢١٤ .

روى هذا الحديث جمع كثير من الصحابة رضي الله عنهم :

- ١ - منهم امير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله .
- ٢ - ورجل من اصحاب رسول الله ﷺ .
- ٣ - والبراء بن عازب الانصاري الصحابي الكبير .
- ٤ - وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ .
- ٥ - وابن عباس عبد الله الحبر ابن عم رسول الله ﷺ
وأمر المؤمنين عليه السلام .

٦ - وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري الصحابي العظيم .

٧ - وأبو بكر بن أبي قحافة الخليفة الأول .

٨ - وعمر بن الخطاب الخليفة الثاني .

وحيث إنّ الحديث نقل بالفاظ مختلفة ، لا بد من أن نوردّه بألفاظه مترتبة

حسب الرواة فنقول :

روى هذا الحديث عن علي عليه السلام جماعة :

الأول : روى الحديث عبد الله بن عباس عن علي عليه السلام .

روى الطبري في تاريخه ٢ : ٣٢٠ عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن ابن عباس عن علي ابن أبي طالب عليه السلام قال : « لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال : يا علي ، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت أنني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُ عليه حتى جاء جبرئيل فقال : يا محمد ، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك ، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عساً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم ، وأبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجنثت به ، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم فشققها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصفحة ثم قال : خذوا باسم الله ، فأكل القوم حتى مالهم بشيء من حاجة . وما أرى إلا موضع أيديهم ، وأيم الله الذي نفس علي بيده ، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم . ثم قال : اسق القوم ، فجنثتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً . وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بده أبو لهب إلى الكلام فقال : لَهْذَا سَحْرَكُمْ صَاحِبِكُمْ ، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، فقال : الغد يا علي ؛ إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول ، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم ، فعد لنا من الطعام يمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم إلي . قال ففعلت ثم جمعتهم ، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة ، ثم قال : اسقهم فجنثتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً .

ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال : يا بني عبد المطلب ، إنني والله ما أعلم شيئاً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به . إنني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة . وقد أمرني الله أن ادعوكم إليه . فأتيكم يوازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيتي وخليفتي فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً . فقلت - وإنني لأحدثهم سنناً وأرمصهم عيناً . وأعظمهم بطناً . وأحمشهم ساقاً - : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ثم قال : إن هذا أخي ووصيتي وخليفتي فيكم . فاسمعوا واطيعوا . قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع ؟

المصادر الأخر

نقل هذا الحديث بهذا اللفظ - يعني في كلامه ﷺ في علي عليه السلام وفيما قال لقومه - ابن الأثير في تاريخه الكامل ٢ : ٦٢ ، والظاهر أنه نقله عن الطبري (على ما ذكره في أول كتابه من نقله عن الطبري أجمع الروايات وأتمها) . ونقله الطبري أيضاً في تفسيره ١٩ : ٧٤ - ٧٥ بهذا الإسناد ، إلا أنه قال (في نقله كلام رسول الله ﷺ) : «على أن يكون أخي وكذا وكذا ... إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له واطيعوا قال : « فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع » .

ونقله ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٣ : ٣٩ عن البيهقي في الدلائل بإسناده عن محمد بن إسحاق قال : « فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكتمني اسمه - عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب » وساق الحديث إلى قوله ﷺ : « إنني قد جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة » ثم قال : « هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ أبهم اسمه عن عبد الله بن الحارث ، وقد رواه أبو جعفر بن جرير (بإسناد ذكره الطبري كما تقدم) فساق الحديث إلى قوله ﷺ : « على أن يكون أخي وكذا وكذا » و « إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له واطيعوا » قال : « فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع » (٢) .

(٢) وروي بهذا الإسناد في تاريخ الذهبي ١٤٤ - ١٤٥ ممتوراً كما صنعه ابن كثير ، وراجع شرح التجريد للقوشجي : ٤٠١ ، وحياة محمد لهيكل : ١٠٤ في الطبعة الأولى ، وقد اسقطوه أخيراً ، وراجع إشبات الهداة ١ : ٢٥٥ الرقم ٣٢٧ ، والمصراط المستقيم ١ : ٣٢٥ بهذه الألفاظ عن الفراء في معالمه ، وغاية المراد : ٣٢١ عن ابن أبي الحديد ، وإعيان الشيعة ١ : ٢٣٠ عن الطبري في تاريخه وتفسيره ، والإرشاد للسفيد ١ : ٤٩ ، واستدل به الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى) في تلخيص الشافي ٢ : ٥٧ وفي هامشه ذكر مصادره وفي تقريب المعارف لأبي الصلاح : ١٢٥ « وقد أطلق الناقلون من الفريقين على هذا النقل كنفهم المعجزات » ونقله ابن طاووس في الرد على العثمانيين عن البراء بن عازب (راجع بناء المقالة الفاطمية : ١٢٩) .

وفي سيرة أبي الفداء لابن كثير ٢٢٤ : ١ ساق الحديث كما في البداية والنهاية عن البيهقي ثم عن أبي جعفر بن جرير بإسناده .

ونقله الحلبي في سيرته ١ : ٣٢٢ ثم قال : « وزاد بعضهم في الرواية : يكون أخي ووزير وخليفتي من بعدي ... أنت أخي ووزير ووصي ووارثي وخليفتي من بعدي » .

وتبعه دحلان في سيرته ١ : ١٩٦ بهامش الحلبية .

ونقله بالفاظه عن تاريخ الطبري ابن أبي الحديد ١٣ : ٢١١ ط بيروت ، ونقله أيضاً ص ٢٤٤ عن أبي جعفر الإسكافي في نقضه على العثمانية والجاحظ قال : « ثم ضمن لمن يوازره منهم وينصره أن يجعله أخاه في الدين ووصيته بعد موته وخليفته من بعده ... فقال لهم : هذا أخي ووصي وخليفتي من بعدي ، فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب : أطع ابنك فقد أمره عليك » .

ونقله النووي في مراح لبيد ٢ : ١١٨ عن محمد بن إسحاق بهذه الالفاظ . ونقله خازن في تفسيره ٣ : ١٢٧ عن محمد بن إسحاق بهذا الاسناد وبهذه الالفاظ .

ونقله البغوي في معالم التنزيل (المطبوع بهامش تفسير الخازن ٣ : ١٢١ والمطبوع مستقلاً ٣ : ٣٤١) عن محمد بن اسحاق بهذا الاسناد وبهذه الالفاظ . ونقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٥١ عن الطبري في تفسيره ، وتبعه في الحذف والإسقاط كما ذكرنا فراجع .

وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق ١ : ٨٧ من فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) بإسناده عن ابن اسحاق بإسناده وبعين الفاظه ، وفي آخره : « ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع » .

ورواه بهذه الالفاظ في كنز العمال ١٥ : ١١٥ عن ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل ، وص ١٣٠ عن ابن مردويه بهذه الالفاظ .

ونقله ابن تيمية في منهاج السنة ٤ : ٨٠ .

ونقله شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٣٧١ - ٣٧٢ بإسناده عن محمد بن اسحاق بهذا الاسناد عن ابن عباس .
ورواه القاضي نعمان في شرح الأخبار ١ : ١٠٦ و ١١٦ بنحو ما مر عن الطبري .

ورواه أبو نعيم في الدلائل : ٣١٧ و ٣١٨ بالإسناد الذي ذكره الطبري إلى قوله ﷺ : « ثم تكلم رسول الله ﷺ » .

وأورده العلامة المتتبع المتضلع المحقق الأميني ﷺ في غديره ١ : ٢٠٦ ، و ٢ : ٢٨٢ عن تاريخ الطبري بألفاظه ، وأبي جعفر الاسكافي المتكلم المعتزلي المتوفى سنة ٢٤٠ في كتابه نقض العثمانية ، وقال : « إنه روي في الخبر الصحيح » وعن انباء نجباء الأبناء : ٤٦ - ٤٨ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٤ ، وأبي الفداء عماد الدين الدمشقي في تاريخه ١ : ١١٦ ، وشهاب الدين الخفاجي في شرح الشفا للقاضي عياض ٣ : ٧٣ ، وبتر آخره وقال : « ذكر في دلائل البيهقي وغيره بسند صحيح » ، وعن الخازن في تفسيره : ٣٩ ، وجمع الجوامع للسيوطي كما في ترتيبه ٦ : ٣٩٢ نقلاً عن الطبري ، وفي ص ٣٩٧ عن الحفاظ الستة ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي ، وعن ابن أبي الحديد ٣ : ٢٥٤ ، وجرجي زيدان في تاريخ التمدن الاسلامي ١ : ٣١ ، ومحمد حسين هيكل في حياة محمد : ١٠٤ من الطبقة الاولى (٣) .

(٣) نقلنا كلام الأميني (رحمه الله) بطوله، واستلزم التكرار أيضاً لمزيد الفائدة.

وإثبات الهداة ٢ : ٢٠٧ عن كشف الغمة عن الطبري وابن الأثير في تاريخيهما ، وص ٢٥٥ عن ابن أبي الحديد عن الإسكافي والطبري .
والصحيح من السيرة ٣ : ٦١ عن جمع من تقدم ، ومنهم تاريخ أبي الفداء ٢ : ١٤ ط دار الفكر بيروت ، وفرائد السمطين بتحقيق المحمودي ١ : ٨٦ ، وإثبات الوصية للمسعودي : ١١٥ .
وأشار إليه ابن خلدون في مقدمته : ١٩٧ ، إلا أن في لفظه غرابة .

ملاحظات حول الحديث

الأولى : أنَّ سند الحديث صحيح لا مجال للاشكال فيه ، وقد اعترف بصحته أو تواتره جمع ، فلا بد من نقل كلمات الفريقين حتى يتضح للقارئ :

١ - نقل المتقي الهندي في كنز العمال ١٥ : ١١٣ عن الطبري أنه صحَّح الحديث ، ويؤيد هذه النسبة أن الطبري أورده في تاريخه تماماً كما نقلناه عنه من دون أي همز ولمز في سنده ، وتبعه ابن الأثير في كامله ، ونقله الطبري في تفسيره بهذا السند ولم يجد مغمراً ومهمزاً فيه ، ولذلك حرَّفه واسقط منه ، حيث لم يرتض ولاية امير المؤمنين عليه السلام ، ولو كان للإشكال محل في صحته لما أقدم على هذا التحريف والخيانة ، كما وأن ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية لما لم ير مجالاً للاشكال في سند الحديث ، فعل ما فعله الطبري ، ولكنهما مع هذا التحريف نقلنا آخر الحديث الدال على خيانتهم ، وهو قوله عليه السلام : « فاسمعوا له وأطيعوا » وقول بني عبد المطلب حيث قالوا مستهزئين بأبي طالب : « قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع » .

٢ - صحَّح الحديث أبو جعفر الإسكافي المعتزلي في ردّه على الجاحظ ، على ما نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٣ : ٢٤٤ ط بيروت بقوله : « وروي في الخبر الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله كلف علياً في مبدأ الدعوة أن يصنع طعاماً » .

٣ - قال الشيخ المحقق المظفر في دلائل الصدق ٢ : ٢٣٣ : « وهكذا نقله في كنز العمال عن مسند احمد ، وعن ابن جرير ، قال : وصحَّحه ، وعن الطحاوي ، والضياء في المختارة التي حكى في أول الكنز صحة جميع ما فيها عن السيوطي في ديباجة جمع الجوامع » .

٤ - نقل شيخ الشيعة المفيد محمد بن محمد بن النعمان الحديث في الارشاد : ٤٩ - ٥٠ نحو ما نقله الطبري ، وقال : « وذلك في حديث الدار الذي أجمع على صحته نقاد الآثار » ^(٤) .

٥ - قال أبو الصلاح في تقريب المعارف : ١٣٥ : « وقد أطبق الناقلون من

(٤) والقصة في تفسيره بذلك مشهورة ، فإنه روى أنه أمر علياً بأن يصنع طعاماً .

(٥) وفي اثبات الهداة ٢: ٢٨٨
عن التقريب: «وقد أجمع علماء
القبلة على يوم الدار».

الفریقین علی هذا النقل كنقلهم المعجزات» (٥).

٦ - وقال أبو حنيفة القاضي النعمان المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ في شرح الأخبار ١: ١١٦: «نص النبي ﷺ على علي بالوصية والخلافة وإمرة المؤمنين ... فهو خبر مشهور»، ورواه أكثر اصحاب الحديث. وممن رواه وادخله في كتاب ذكر فيه فضائل علي ﷺ غير من تقدم ذكره محمد بن جرير الطبري، وهو أحد اهل بغداد من العامة عن قرب عهد في العلم والحديث والفقه عندهم - ثم الاسناد للطبري ثم قال: «وحكاه من طرق شتى غير هذا الطريق، ولو ذكرت من رواه لاحتاج ذلك إلى كتاب مفرد، وهو من أشهر الأخبار وأوضحها وأثبتها في إمامة علي ﷺ من رواية العامة بذلك، وإقرارهم له بأن رسول الله صلوات الله عليه وآله جعله أخاه ووصيته ووليته وخليفته من بعده، وأمر الناس بالسَّمع والطاعة له».

وقال في ص ١٠٦: «وذكره - أي أمر ولاية علي ﷺ - اصحاب التفسير من العوام واصحاب السير، أن الله عزوجل أنزل على رسوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أمر علياً ﷺ ...» ثم ساق الحديث نحوه مما نقله الطبري، وقال: «وروى هذا الحديث بهذا النص محمد بن اسحاق صاحب المغازي، وغيره من علماء العامة، وجاء كذلك عن اهل البيت ﷺ».

٧ - هذا وقد نقل هذا الحديث من طرق أخرى غير ما ذكره الطبري، وفيها أيضاً ذكر الوزارة والوصية والخلافة. ولا بأس بالإشارة إليها (٦):

عن ابن عباس عن علي ﷺ: «فيكون أخي ووصيتي ووزير خليفتي في اهلي ثم قال: إن هذا أخي ووصيتي ووزير خليفتي فيكم فاسمعوا واطيعوا».

وعن عبد الله بن حارث بن نوفل عن علي ﷺ: «أيكم يكون أخي ووصيتي ووارثي ووزير خليفتي فيكم بعدي ... هذا أخي ووارثي ووصيتي ووزير خليفتي فيكم بعدي. فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض».

وعن عباد بن عبد الله الاسدي عن علي ﷺ: «من يضمن عني ديني ومواعيدي ... ويكون خليفتي في اهلي» وفي نقل ابن عساكر «ويكون خليفتي

(٦) وسوف تأتي الأحاديث
بأساندها وألفاظها.

ووصيتي من بعدي» .

وعن ربيعة بن ناجذ عن علي عليه السلام : « على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي »
وفي لفظ ابن كثير « على أن يكون أخي ووصيتي » .
وعن الحسن بن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « فاتخذته وصيًا ووليًا
ووزيرًا » .

وعن البراء بن عازب : « من يواخيني ويوازرني ويكون وليي ووصيتي بعدي
وخليفتي في اهلي ... فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب : أطع ابنك فقد أمر عليك » .
وعن أبي رافع : « على أن يكون أخي ووزير ووصيتي وقاضي ديني ، ويكون
مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي » وفي لفظ « على أنه أخي ووارثي
ووزير ووصيتي ، ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي » .
وفي لفظ : « إن الله لم يبعث نبياً إلا جعل من أهله أخاً ووزيراً ووصيًا وخليفة في
أهله » .

وعن أبي بكر بن أبي قحافة : « يا بني عبد المطلب ، إنه لم يبعث الله نبياً إلا
جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصيًا وخليفة في أهله ، فمن يبايعني على أن يكون أخي
ووزير وخليفتي في اهلي ؟ » .

وعن قيس بن سعد : « أيكم ينتدب أن يكون أخي ووزير ووصيتي وخليفتي في
أمتي وولي كل مؤمن بعدي ؟ » .

الثانية : بعد كل ما ذكرنا أنكر ابن تيمية الحديث على عادته وديده في
منهاجه ٤ : ٨٠ (ولا عجب منه إذ عادته إنكاره فضائل أمير المؤمنين صلوات
الله عليه ، ولو وردت من طرق كثيرة متواترة) وأورد عليه ما ملخصه :

١ - أن السند في رواية الطبري ضعيف لمكان أبي مريم الكوفي
الرافضي ، وهو مجمع على ضعفه . وقال احمد : « ليس بثقة » واتهم ابن
المديني بوضع الحديث .

وتبعه في هذا الاشكال ابن كثير في البداية والنهاية قائلًا : « تفرد به عبد
الغفار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعي » واقتفى اثرهما الحلبي

ودخلان في سيرتهما .

٢- تنص الرواية على أنه قد جمع بني عبد المطلب وهم اربعون رجلاً .

ومن الواضح أنه حين نزول الآية لم يكن بنو عبد المطلب بهذه الكثرة .

٣- قول الرواية : « إنَّ الرجل ليأكل الجذعة ويشرب الفرق من اللبن كذب إذ ليس في بني هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعاً ويشرب فرقاً » .

٤- أنَّ مجرد الإجابة للمعاونة على هذا الأمر لا يوجب أن يكون المجيب وصياً وخليفة بعده ﷺ ، فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى الاسلام وأعانوه على هذا الأمر ، وبذلوا انفسهم واموالهم في سبيله ، كما أنه لو اجاب الأربعون أو جماعة منهم فهل يمكن أن يكون الكل خليفة له ؟

٥- أنَّ حمزة وجعفرأ وعبيدة بن الحارث قد أجابوه إلى ما أجاب إليه علي، بل حمزة أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلاً .

الجواب على الاشكال الأول :

أ- قد عرفت أنَّ جمعاً من العلماء النقّادين لم يجدوا إشكالاً في سند الحديث ، بل صرّحوا بصحّته .

ب- أنَّ أبا مريم يثني عليه ابن عقدة ، قال ابن عدي : « سمعت ابن عقدة يثني على أبي مريم ويطريه ويتجاوز الحد في مدحه ، حتى قال : لو ظهر على أبي مريم ما اجتمع الناس على شيعة ، وقال : وإنما مال إليه ابن عقدة هذا الميل لإفراطه في التشيع » (٧) .

وأثنى عليه شعبة (٨) ، ووثقه النجاشي والعلامة (٩) . وقال الذهبي : « وكان ذا اعتناء بالرجال » (١٠) ، ووثقه شيخ الطائفة في الفهرست : ٢٠١ في ترجمة أخيه عبد المؤمن .

وقد صرّحوا بسبب تضعيفهم له ، وهو كونه شيعياً رافضياً ، وأنه من رؤوس الشيعة ، وأنه يروي حديث بريدة : « عليّ مولى من كنت مولاه » ، وأنه يروي حديث الرجعة ، وأنه كان يحدّث ببلايا عثمان (١١) .

فكل من تشيع (أي أحب علياً عليه السلام) ، أو روى فضائل اهل البيت عليه السلام ، أو

(٧) راجع الصحيح من السيرة ٦٤:٣ ، والغدير ٢: ٢٨ ، ولسان الميزان ٤: ٤٢ ، وتعاليق الفارات للنفقي ٢: ٦٧٢ - ٦٧٣ .

(٨) راجع الصحيح من السيرة ٦٧:٣ ، وتعاليق الفارات ٢: ٦٧١ - ٦٧٢ ، عن لسان الميزان ٤: ٤٢ ، وفي الجرح والتعديل للرازي ٥٣: ٦ : « وكان شعبة حسن الرأي فيه » .

(٩) راجع الخلاصة كما في تعاليق الفارات ٢: ٦٧١ و ٦٧٢ .

(١٠) راجع ميزان الاعتدال ٣: ٦٣١ ، والصحيح من السيرة ٦٤: ٣ عنه وعن ميزان الاعتدال .

(١١) راجع ميزان الاعتدال ٣: ٦٣١ ، والصحيح من السيرة ٦٤: ٣ ، وتعاليق الفارات ٢: ٦٧٢ - ٦٧٣ ، ولسان الميزان ٤: ٤٢ ، وفي الجرح والتعديل للرازي ٥٣: ٦ : « كان يحدّث بمثل عثمان » وراجع المجروحين لابن أبي حاتم ١٤٣: ٢ .

نقل مثالب أعدائهم ، أو قدحاً فيهم ، فهو مطعون ومتروك عندهم . وقد ذكر الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح التشيع في فصل مطاعن الرواة ، وفسره بحب علي عليه السلام (١٢) .

(١٢) راجع مقدمة فتح الباري : ٤٦٠ .

والذين نقلنا كلامهم في الحكم بصحة هذا الحديث يقولون بوثاقة الرجل (١٣) ، فقله : « وهو مجمع على ضعفه » واضح الفساد ، بل بهت وفرية وكذب ، بل هو عادته كما لا يخفى على من راجع منهاجه .

هذا مع أن هذا المضمون الدال على الوسايا والخلافة ورد في الحديث في طرق أخرى كما ذكرنا ، فالحديث مستفيض لا يحتاج إلى النظر في إسناد ، لأنه بعضه يقوي بعضاً (١٤) .

والعجب من ابن تيمية حيث أنكر كون قضية الخلافة بعده عليه السلام مذكورة في الصحاح والمسانيد ، مع وجود الحديث في مسنده ١: ١١١ ، ورجاله هم رجال الصحاح ، وغيره كما يأتي .

وما ذكره ابن تيمية من الطعن في رواية ابن أبي حاتم باشتمال سندها على عبد الله بن عبد القدوس . قال : « وقد ضعفه الدار قطني ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال ابن معين : ليس بشيء رافضي خبيث » مدفوع بأن ابن حجر قال في تقريبه : « إنه صدوق » ، وفي تهذيب التهذيب قال محمد بن عيسى : « ثقة » ، وقال البخاري هو في الأصل صدوق ، إلا أنه يروي عن اقوام ضعاف مع أنه أيضاً من رجال الترمذي .

هذا وقد صرحوا بسبب تضعيفهم ، قالوا : كوفي رافضي خبيث . عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت ، ومدح هؤلاء مقدم ، لعدم العبرة في قدح المخالفين في الدين ، ويقبل مدحه فيه ، وهم قدفوه بذلك لأنهم رموه بالتشيع . ولا نعرفه في رجالهم .

الجواب على الإشكال الثاني : وأما قوله : « إنه حين نزول الآية لم يكن بنو عبد المطلب بهذه الكثرة » فإن الظاهر أن كلمة عبد زيدت من الرواة : بدليل أن عدداً من الروايات يصرح بأنه قد دعا بني هاشم ، كما في السيرة النبوية

(١٣) كالطبري وابن الأثير والطحطاوي والضياء في المختارة ، هذا عدا ما قال المفيد (ره) : « أجمع على صحته نقاد الآثار » ومقاله أبو الصلاح : « قد أطبق الفريقان على هذا النقل كنقلهم المعجزات » ومقاله أبو حنيفة القاضي النعمان المغربي .

(١٤) راجع الصحيح من السيرة ٦٥: ٣ .

لابن كثير ١: ٤٥٩ عن ابن أبي حاتم، والبداية والنهاية ٢: ٤٠، وراجع كنز العمال ١٥: ١١٣، ومسند احمد ١: ١١١، وتفسير ابن كثير ٣: ٣٥٠، وابن عساكر ترجمة الامام علي عليه السلام بتحقيق المحمودي ١: ٨٧، وإثبات الوصية للمسعودي: ١١٥، واليعقوبي ٢: ٢٧، ومسند البزار، مخطوط في مكتبة مراد، الرقم ٥٧٨هـ (١٥).

وجاء في روايات اخرى أنه دعا بني عبد المطلب ونفراً من بني المطلب (١٦).

فلعل الأمر قد اشتبه على الراوي وأضاف كلمة عبد، وهذا كثير، وعليه فلا يلزم من ذلك كذب أصل الواقعة المتفق عليها إجمالاً.

كما أن أبناء عبد المطلب إذا كانوا عشرة، وكان أصغرهم يصل عمره حينئذ إلى ستين عاماً، فلماذا لا يكون لهم من الولد ما انضموا إليهم وبلغوا أربعين رجلاً؟ بل أكثر من ذلك بكثير. وما وجه الاستبعاد لذلك (١٧)؟

مع أن في نفس الحديث: «إنهم يزيدون رجلاً أو ينقصون»، وفيه إشارة إلى أن العدد تقريبي لا حقيقي.

الجواب على الاشكال الثالث: أجاب عنه الشيخ المظفر بأن عدم معرفتهم بالأكل لا يدل على عدم كونهم كذلك في الواقع، ولو سلم فإنه يلزم منه مبالغة الراوي في إظهار معجزة النبي عليه السلام في إطعامهم رجل الشاة وعس اللبن الواحد، أو أن هذا وقع مبالغة في أن أحدهم لو أراد الأكل لأكل ذلك (١٨).

مع أن رجل جَذَع - وهو من الضأن ما تمت له سنته (١٩) - لا يستبعد أكل إنسان عادي لها. وفي الحقيقة هذا البيان تأكيد في تحقق الإعجاز كما تقدم. الجواب على الاشكال الرابع: هو ما ذكره الشيخ المظفر من أن قوله هذا ليس علة تامة للخلافة «ولم يدع ذلك النبي عليه السلام ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته، بل امره الله تعالى بإبذار عشيرته لأنهم أولى بالدفع عنه ونصره، فلم يجعل هذه المنزلة إلا لهم. وليعلم من أول الأمر أن هذه المنزلة لعلي

(١٥) هذا الجواب بتمامه هو في الصحيح من السيرة ٦٦:٣ مستأ وهامشاً، ولكن الذي راجعته هو أن الموجود في أكثر المصادر «بني المطلب»، وفي المناقب والبرهان عن القمي «بني هاشم».

(١٦) راجع الصحيح من السيرة ٦٦:٣ عن الكامل لابن الاثير ٦٦:٢ ط صادر.

(١٧) راجع الصحيح من السيرة ٦٦:٣.

(١٨) راجع الصحيح من السيرة ٦٦:٣ عن دلائل الصدق ٢: ٢٣٥.

(١٩) راجع النهاية واللسان والقاموس. قالوا: أصل الجذع من أسنان الدواب، وهو ما كان شاباً فتياً، فهو من الإبل ما دخل في السنة الخامسة، ومن البقر والمعز ما دخل في الثانية، وقيل: البقر في الثالثة، ومن الضأن ما تمت له سنته.

(٢٠) الصحيح من السيرة

٦٦:٣ - ٦٧ عن دلائل الصدق

٢٣٦:٣

(٢١) سوف ننقله عن سعد

لسعود لابن طاووس.

(٢٢) راجع الصحيح من

السيرة ٦٧:٣.

(٢٣) راجع الصحيح من

السيرة ٦٨:٣.

خاصة ؛ لأنَّ الله ورسوله يعلمان أنه لا يجيب النبي ﷺ ويوازره غير علي ﷺ ، فكان ذلك من باب تثبيت إمامته بإقامة الحجة عليهم ، ومع فرض تعدّد المجيبين يعيّن الرسول الأحق بها منهم» (٢٠) .

وقال العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني حفظه الله تعالى إنّ الخطاب إنّما هو للجميع ، لكن النبي ﷺ كان يعلم من خلقهم وعلاقاتهم وطبائعهم أنهم لا يجيبون باستثناء علي ﷺ .

ويؤيد ذلك النص الذي سوف يأتي نقله عن البحار عن ابن طاووس تحت عنوان « ماذا قال النبي ﷺ يوم الإنذار » (٢١) : « إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له أخاً ووزيراً ووصياً ووارثاً من اهله . وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء من قبلي ... وقد والله أنبأني به وسقاه لي ، ولكن أمرني أن ادعوك وأنصح لكم وأعرض عليكم ؛ لئلا تكون لكم الحجة فيما بعده » (٢٢) .

وقال هذا المحقق أيضاً إنه يحتمل أن يكون الخطاب لواحد منهم على سبيل البديل ، ولذا قال لهم : « أيكم يوازرنى » ، فالمجيب أولاً هو الذي يستحق ما وعد به ﷺ ، وإجابة أكثر من واحد بعيدة الوقوع جداً ، ولا يعتنى باحتمالها عرفاً ، لا سيما وأنّ الذي يضمر هو التقارن في الإجابة ، وذلك أبعد هذا مع علمه ﷺ بأنه لا يجيب سوى واحد منهم (٢٣) .

ولكن ذكر بعض الاعلام أن كون المراد هو الموازنة في الجملة بعيد ؛ لكون المسلمين على اختلاف مراتبهم قد وازروه في الجملة ، فالمراد هو الموازنة في جميع الامور والاحوال ، والموازنة الكاملة في الدين تحتاج إلى أعلى درجات الوعي والعلم والسموّ الروحي إلى درجة العصمة ، الأمر الذي يعني أن شخصاً كهذا هو الذي يستحق الإمامة ، ولا يستحقها سواه ممن تلبس بالظلم كما قال تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ وليس ذلك سوى علي ﷺ .

أضف إلى ذلك أنّ إمامة علي ﷺ إنّما هي بجعل من الله سبحانه وتعالى ، لا بجعل من النبي ﷺ لتقرّب (أي الامامة) على الموازنة المنشودة

والمرغب بها ، مع علم النبي ﷺ بعدم اجابة غير علي عليه السلام ، فيكون ما جرى في يوم الإنذار لاجل إقامة الحجة وقطع كل عذر ، فكلام المظفر هو الأولى والأقرب (٢٤).

(٢٤) راجع الصحيح من
السيرة ٦٨:٣.

اقول : يؤيد كون الموازنة هنا هي الموازنة في جميع الأمور والأحوال ، لا الموازنة في الجملة ، ما ورد في نفس الحديث في بعض طرقه : « إن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له أخاً ووزيراً ووصياً ووارثاً من اهله ، وقد جعل لي وزيراً من أهلي كما جعل للأنبياء قبلي » كما نقله أبو رافع عن أبي بكر ، ونقله أبو رافع نفسه كذا : « وإن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له من اهله أخاً ووارثاً ووزيراً ووصياً وخليفة في اهله ، فأياكم يباعدني على أنه أخي ووزير ووارثي دون اهلي ، ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ » ، وكذا في سعد السعود عن رجل من اصحاب النبي ﷺ وزاد : « وقد والله انبأني به وسقاه لي ، ولكن أمرني أن أدعوك وانصح لكم وأعرض عليكم » ، وكذا في رواية ابن عباس .

وكانه اشارة إلى قوله تعالى في دعاء موسى على نبيينا وآله وعليه السلام : ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيراً * ونذكرك كثيراً ﴾ (٢٥) وقوله سبحانه : ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردئاً يصدقني إني أخاف أن يكذبوني * قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً ﴾ (٢٦) ، فالمراد رجل يكون له ما له عليه السلام إلا النبوة ، فيشاركه في امره إلا النبوة ، ويشد أزره ويكون ردئاً له يصدقه ، ويكون وزيراً له يوازره في حمل أثقال النبوة في تدبير الأمور ، وإبلاغ الرسالة ، والدفاع عنه وعن دينه ، وحمل اسرار العلوم الإلهية ، وتحمل المشاق والمصاعب والمصائب .

(٢٥) طه : ٢٩ - ٣٤ .

(٢٦) القصص : ٣٤ - ٣٥ .

ومن المعلوم - كما ينص الحديث - ألا يكون ذلك إلا بجعل من الله سبحانه ، وليس في اختيار رأي انسان . وهذه الصفات من العصمة ومكارم الاخلاق أمر واقعي محقق في هذا الفرد ، لا أنها تتحقق بسبقه إلى البيعة فقط ، ولا يكون كذلك إلا بكونه كذلك من قبل الله تعالى في عمله ، وإنما

قال ﷺ «أيكم يوازني» لإتمام الحجة عليهم .

وظاهر الحديث في جميع طرقه وألفاظه أنه ﷺ لم يطلب منهم الإيمان فقط به حتى يكون الموازر وصيه وخليفته ووزيره ووليه ، بل طلب منهم الموازنة بعد الإيمان قائلًا : «أيكم يوازني» وإنما طلب منهم الإيمان إلتزاماً بقوله تعالى والموازنة^(٢٧) ، ولو كان المطلوب الإيمان فقط ، وتكون الموازنة والأخوة والورثة والوصاية والولاية والخلافة من ثمرات الإيمان ، كما توهمه المتوهم ، لكان علي عليه السلام وجعفر وأبو طالب بل حمزة خارجين ، لكونهم قبل ذلك مؤمنين .

والجواب على الإشكال الخامس : يظهر ممّا تقدم ، ومع الغض عما ذكرنا نقول : ذكر العلامة المحقق جعفر العاملي أجوبة ثلاثة هي :

أ- أن وجود حمزة إنما يضّرّ لو كان قد أسلم قبل نزول آية الإنذار ، ونحن لا نستطيع أن نحتمل ذلك فضلاً عن أن نجزم به ؛ إذ من القريب جداً - بل هو الظاهر إن لم يكن صريح ما ورد في كيفية اسلام حمزة - أن اسلامه كان بعد الاعلان بالدعوة ، وبعد وقوع المواجهة بين النبي ﷺ وقريش ، وبعد مفاوضاتها لأبي طالب .

ب- لو سلم فإنّ إنذار عشيرته يمكن أن يكون أثناء الدعوة السرية وقبل اسلام حمزة ، حتى لو كان قد أسلم في الثانية من البعثة ، ويكون ماجرى بين حمزة وأبي جهل بمثابة إعلان جزئي للدعوة ، وتكون قریش قد بدأت تتعرض لشخص النبي ﷺ حتى في الدعوة السرية . وأما بالنسبة لسائر من أسلم فقد كان ثمة محدودية في التعامل معهم ، وسرية لمن لم يدخل في الاسلام ، ويدل على ما ذكرناه أنهم يذكرون أن قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ كان هو السبب في إخراج الدعوة من السر إلى العلن ، ولا ريب أنّ إنذار العشيرة كان قبل ذلك .

ج- أنّ وجود حمزة - إن كان قد أسلم آنئذ - كوجود أبي طالب بينهم ، فلعليهما كانا يريان أنهما غير مقصودين بهذه الدعوة ، ولا سيما إذا كانا

(٢٧) إذا اردت التحقيق في الحديث فعليك بقراءة دلائل الصدق ٢٣٢:٢ ومابعدها، والفدير ٢٧٨:٢ ومابعدها، والمراجعات : ١٤٤ ومابعدها، والصراط المستقيم ٣٥٢:١ ومابعدها، والصحيح من السيرة ٦٠:٣ ومابعدها، ويوم الدار للدكتور الرفاعي: ٤١ ومابعدها، وحياة النبي وسيرته للشيخ قوام الدين القمي ١١٩:١ ومابعدها.

يدركان أن بقاءهما إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ أبعد احتمالاً، فإن سنّ حمزة كان يقارب سن النبي ﷺ كما يدعون، ولكننا نعتقد أنه كان أكبر من النبي ﷺ بأكثر من عشرين سنة؛ لأنه كان أكبر من عبد الله والد النبي ﷺ، الذي كان أصغر أولاد عبد المطلب. وهكذا يقال للعباس أيضاً. وأما أبو طالب فإنه كان شيخاً هراً لا يحتمل البقاء إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ، فلا معنى لأن يقدم أيّ منهما نفسه على أنه خليفة من بعده، أو على الأقل هكذا فُكّر آنئذٍ.

وهكذا يتضح أن جميع ما جاء به ابن تيمية إنما كان كسراب بقية، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف (٢٨).

الثالثة: نقل البياضي العاملي ﷺ في كتابه الصراط المستقيم ١: ٣٢٧ عن الواسطي (٢٩) تشكيكات في هذا الحديث وأجاب عنها، ولا بأس بنقل كلامه في المقام. قال: مع هذه الشهرة ينكر الواسطي الغوي رواية نصب النبي ﷺ في يوم الدار علي عليه السلام.

١ - قال: لأنه ﷺ أمر في الآية: بإبذار الأقربين لا بطلب من يوازره، فكيف يخصّ واحداً منهم دون الباقيين ٩.

قلنا: قد أنذرهم ثم خصّ بطلب الوزارة واحداً منهم زيادة في ترغيبهم؛ لوفور علمه أن الرسالة لا يسارع إليها كل منهم، ولا منافاة بين إنذارهم وطلب الوزارة من بعضهم.

أقول: يعني أن رسول الله ﷺ امتثل أمره تعالى بإبذار الأقربين - وزاد صحيح مسلم: ورهطه منهم المخلصين - إيذاناً بأنّ في الدعوة إلى التوحيد والرسالة والعمل بأحكام الله تعالى يستوي القريب والبعيد، بل من كان قريباً كان الأمر فيه أشد، فدعا بني المطلب أو بني هاشم وأنذرهم، ثم دعا بإذنه تعالى إلى الموازنة في أمر نبوته ودينه تمام الموازنة، وقال: «من يوازرنى يكون وليي ووصيي ووارثي وخليفتي بمنزلة هارون من موسى»، كما أشرنا سابقاً، اعلناً بأنّ هذا الدين لا يكون إلا بولي وخليفة بعده، وذكره

(٢٨) إلى هنا تمام أجوبة العاملي حفظه الله تعالى.

(٢٩) لعل المراد هو أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي تلميذ أبي علي الجبائي المتوفى سنة ٢٠٦.

اهتماماً بشأن الولاية والخلافة في الدين ، وأن النبوة والوصاية لا تفترقان منذ بعث الله تعالى الأنبياء ﷺ ، وقد يدل على ما ذكره هذا العالم الجليل ما رواه البراء بن عازب في هذه القصة ، قال : « ... ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ، ثم أنذرهم رسول الله فقال : يا بني عبد المطلب ، إني أنا النذير لكم من الله عز وجل والبشير ، فاسلموا وأطيعوني تهتدوا . ثم قال : من يواخيني ويوازرني ويكون وليي ووصيتي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني ... ؟ » .

ترى كيف فرق بين الدعوتين وأوضحهما وفصلهما ؟

٢- قال : الإيصاء والاستخلاف على قوم لا يكون إلا بعد انقيادهم ، وهم كانوا حينئذ بخلاف ذلك ، وكيف يليق من النبي تحكيم واحد عليهم ، ويقول : « اسمعوا له وأطيعوا » وهم حينئذ لم يسمعوا النبي ولم يطيعوا ؟ وهل هذا إلا مثل من قال لآخر : أعطني ديناراً لأن استاذي طلب منك فلساً فلم تعطه . قلنا : النبي لا ينطق عن الهوى ، وإنما فعل ذلك بوحي من الله تعالى ، ولا منافاة بين أن ينذرهم ثم يقول هذا خليفتي عليكم . وأما ما ذكر : « فاسمعوا وأطيعوا » فمختلف منهم ، فإن نازع في اختلافه أحد قلنا له : قد أنكرت أصل الرواية الواردة به ، وحيث عارض بالمثل قول النبي ﷺ فهو بإثمه يبوء . قال تعالى : ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ﴾ .

٣- قال : وذكر صاحب المعالم أن الرواية التي فيها ذكر الوصية لعلي مرسلة ، وليس فيها ذكر الإنذار المطابق للآية ، فهي مضادة لها ، وذكر ثلاث روايات عن غيره مسندة وخالية عن ذكر الوصية ، فهي معارضة لها . قلنا : تقرر في الأصول قبول الزيادة ، وقد جاز العمل بالمرسل إذا علم من طريق آخر أنه مسند ، كمراسيل ابن المسيب ، وقد جاء في صحيح البخاري مراسيل ، وعدم ذكر الإنذار لا يدل على عدم المطابقة للآية ، فلا معارضة في تلك الروايات للآية . ومن العجب أنه يضعف قول أصحابه طلباً للشبهة ، ونحن لا نذكر قول أصحابنا طلباً للزوم الحجة .

أقول : يعني أن الفراء في معالمة نقل رواية مرسلة فيها ذكر الوصية ،

فلا تكون حجة ، وذكر ثلاث روايات مسندة وليس فيها ذكر الوصية .

وأجاب بأن الرواية التي فيها زيادة مقبولة ، لأن الأصل عدم الخطأ في جانب الزيادة ، مع أن العمل بالمرسل جائز إذا كان له طريق آخر ، وأن هذا المرسل مسند كمراسيل ابن المسيب ، وقد جاء في صحيح البخاري مراسيل أيضاً ، يعني أن وقوع القصة وردت مسندة ، والزيادة في واحدة منها مقبولة ، وعدم ذكر الإنذار لا يوجب مخالفتها للآية ، وقد عرفت ورودها مسندة وفيها ذكر الوصية .

٤ - قال : رويتم أن علياً لم يزل مسلماً ، أو أسلم قبل يوم الدار ، وهو المأمور بجمع العشيرة الكفار ، فلا معنى لإجابته إلى الموازنة ، والخطاب ليس له مع بلاغته بل للكفار .

قلنا : أما أنه لم يزل مسلماً فلا معنى لاختصاصنا به ؛ إذ أجمع المسلمون عليه ، وجاءت روايات الخصم فيه . قال الزمخشري في كشافه : « سبّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : علي بن أبي طالب ، وصاحب يس ، ومؤمن آل فرعون » ورواه صاحب الوسيلة وزاد : « أكرمهم وأفضلهم علي بن أبي طالب » ، وبهذا يندفع قولهم : إن أبا بكر صديق لأنه أول من صدّق ، فقد سبقه علي وخديجة وورقة وغيرهم .

وقوله : لم يحسن جوابه بالموازنة ؛ إذ لم يتناوله الخطاب . قلنا : فقد رويتم قول النبي ﷺ يوم الخندق : « من يبرز إلى عمرو بن عبد ود ويكون جاري في الجنة فلم يجبه احد ، فقام علي ، فقال له : إنه عمرو ! فقال علي : وإن كان عمراً ؟ » فقد أجاب ولم يتناوله الخطاب ، وقد ذهب أكثر المحققين إلى أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وتناوله الأمر بالسجود لأجل حضوره فيهم ، وجاز أن كلام علي بالموازنة كان ابتداءً لا جواباً لقول النبي ، فلا منافاة .

أقول : قد ذكرنا هنا أن هذه القصة وقع فيها امران ، أحدهما الإنذار والدعوة من الله تعالى امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى ، والثاني الدعوة إلى الموازنة بوحى من الله تعالى ، وإستجاب علي ﷺ لهذه الدعوة الشاملة ، فلا

يحتاج في دفع الاشكال إلى هذا التجشم .

٥- قال : شرط الوصية والاستخلاف الجزم بهما لا تعليقهما بشرط وجود ، ولا يكونان إلا لمعتين ، والنبي ﷺ قال : من يوازنني ؟ فلا تعين . قلنا : ذلك وعيد بالوصية فلا يشترط الجزم بالوعيد ولا التعيين ، ولم تحصل الوصية لأحد في حال الخطاب ، بل لعل خاصة بعد الجواب . أقول : حصلت لعلي ﷺ بعد جوابه بقول الرسول الأعظم ﷺ : « إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا واطيعوا » .

٦- قال : فلو اجابه أكثر من واحد جاز أن يقع الشقاق . قلنا : جاز أن يكون الله تعالى أمره بذلك مع علمه بعدم قبولهم ، ويكون فعل النبي ﷺ تأكيداً عليهم ، كما أمره بإنذار كفار مع علمه بعدم إيمانهم . ٧- قال : إجابة واحد تنفي الأخرين . قلنا : لا تنفي مع الانقياد التام ، وعندكم أن الله يفعل لا لغرض فلم نفيتموه هنا ؟

٨- قال : جمعهم يقتضي ترغيبهم ، فطلب الوزارة من بعضهم يقتضي تزيدهم ، فلا فائدة في جمعهم . قلنا : إيمانهم يرغبهم فيه بما يعمهم ، وهو قوله : « جئكم بخير الدنيا والآخرة » ونحوه .

٩- قال : الوصية هي الاستخلاف فكيف عطفه عليها ؟ قلنا : لا ترادف ، إذ بينهما عموم من وجه ، ولو سلم الترادف جَوَزْنَا العطف ، مثل ﴿ صلوات من ربهم ورحمة ﴾ على أن كتبهم قد نطقت بالوصية ، فإذا سلم الترادف التزم بالاستخلاف .

١٠- قال : علي كان مؤمناً ، فلا معنى لوزارته في ذلك اليوم .

قلنا : أليس كل مؤمن خليفة (٢٠) ؟

١١- قال : إن كان غرض النبي ﷺ الوصية لأحدهم ، استحال أن تكون

لعلي ، ويلزم تحصيل الحاصل إن كان الغرض ثبوتها لعلي .

(٢٠) كذا في المصدر، والظاهر أن الصحيح: ليس كل مؤمن خليفة.

قلنا: قد يكون الغرض لهم ولم يقع، وقد أراد شيئاً ولم يقع، ويجوز أن يكون الغرض إظهار أن الوصية لعلّي لجواز التأكيد مرة بعد مرة.
أقول: يمكن أن يكون الغرض الوصية لأحدهم، ولا يستحيل أن يكون لعلّي عليه السلام، لأن علياً أحدهم أيضاً.

١٢- قال: من الحاضرين من آمن كالعباس، وقد بايع أبا بكر.
قلنا: قد تركها أولاً، فجاز وقوعها تقيّة.

١٣- قالوا: رواية الاستخلاف لم ترد إلّا من علي فهو متهم^(٢١).
قلنا: قد جاءت من طرّكم عن ابن حنبل والبراء بن عازب وغيرهما، وليس ذلك شهادة بل رواية، ولم يفرّق أحد بين الروایتين لنفسه وغيره بعد ثبوت عدالته، فضلاً عن الثابتة بآية التطهير وغيرهما. ومن طرّهم رواية جامع الأصول عن النبي ﷺ: «علي مع الحق والحق معه» وغيرها من مصابيح الفراء وغيره، وقد شهدت عائشة وجعلوها سبباً للخلافة.

أقول: أجاب عنه بأمور إجمالية، منها أن ذلك رواية وليس شهادة حتى لا يقبل نقله فيما ينفعه، وروايته حجة فيما كان لغيره، فروايته حجة فيما يكون بالإجماع، ومنها أن عصمته صلوات الله عليه ثابتة بآية التطهير، فلا مورد فيه للاتهام، ومنها أن عصمته ثابتة بالسنة كقوله صلوات الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي»، ومنها أنهم قبلوا رواية عائشة لأبيها وهي متهمة في ذلك.

١٤- قال: إن سلمت الرواية اقتضت كونه خليفة على العشيرة.

قلنا: لا قائل بالفرق، ويلزم اجتماع إمامين ولم يقل به أحد، ولهذا قال عمر للأنصار: «سيفان في غمد لا يجتمعان»، ولا يلزم من تخصيصهم بالإنذار تخصيصهم بالاستخلاف؛ إذ أحدهما غير الآخر.

أقول: قوله: لا فرق، أي لا فرق بين ولايته على العشيرة وعلى المسلمين أجمع وسيأتي بيانه.

١٥- قال: وكان علي صبيّاً فإسلامه غير معتبر، والاستخلاف لا يكون

(٢١) اقتضى المتشكك في هذا القول بامامية أبي بكر وعمر في رثهما شهادته صلوات الله عليه وهو رد لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ باتفاق العلماء اجمع ورد لحديث الثقلين وغيره من السنن الدالة على عصمة علي (ع).

إلا للبالغ .

قلنا : لم يشترط أحد من المسلمين البلوغ في استخلاف الله ورسوله ، وقد قال تعالى ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ وقال : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ وقد كان حينئذ ابن إحدى عشرة سنة . وعند أصحابنا أنَّ علياً أسلم وهو ابن خمس عشرة أو أربع عشرة ، وروى الخمس عشرة العاقولي منهم في شرحه للمصابيح ، وروى الأربع عشرة منهم شارح الطوالع ، وقد ذكر البخاري عن المغيرة قال : احتلمت وأنا ابن اثنتي عشرة سنة .

ولأنَّ النبي ﷺ دعاه إلى الاسلام صبيّاً ، فلو لم يحكم باسلامه لزم العبث في دعائه ، وإن لم يكن دعائه كان اسلامه من خصائصه لكمال عقله حال صغره دون غيره ، وقد عرف أنَّ التكليف العقلي لم يشترط فيه البلوغ الشرعي . وقد أخرج صاحب الوسيلة أنَّ النبي ﷺ قال : « صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيٍّ سَبْعَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَسْلُمَ بَشَرٌ » .

أقول : قال تعالى حاكياً عن عيسى ﷺ وهو في المهد ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا ﴾ فلا يشترط فيه البلوغ ، ومن دقق النظر في هذه الوسواس والتشكيكات يعلم بأنَّ المنكر لم يجد اشكالا في سند الحديث ووقوع هذه القصة ، حتى شرع في التشكيك وتكلم بما لا يتقوّ به منصف .

الرابعة : نقل في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ أحاديث تبعد عليّاً ﷺ واهل البيت عن هذه المكرمة ، وحاول ابن تيمية وغيره من منكري حق ومقام اهل البيت ﷺ أن يقولوا جانب هذه الأحاديث ، وقد جمعها الدكتور الرفاعي في كتابه يوم الدار على اختلاف رواها في النقل .

رويت هذه الأحاديث عن أبي هريرة (٣٢) ، وعائشة (٣٣) ، وقبيصة بن مخارق ، وزفير (زهير) بن عمرو (٣٤) ، وأبي موسى الأشعري (٣٥) ، وأنس بن مالك (٣٦) ، والبراء (٣٧) ، والزبير (٣٨) ، وعبد الله بن

(٣٢) راجع الدر المنثور ٩٥:٥
عن أحمد وعبد بن حميد
والبخاري ومسلم والترمذي
وابن جرير وابن المنذر وابن
أبي حاتم وابن مردويه
والبيهقي في شعب الإيمان
والدلائل ، وراجع تفسير ابن
كثير ٣: ٣٤٥ ، والقرطبي
١٢: ١٤٣ ، وروح المسعاني
١٩: ١٣٥ ، وتفسير الطبري
١٩: ٧٢ .

(٣٣) راجع الدر المنثور ٩٥:٥
عن أحمد ومسلم والترمذي
وابن جرير وابن مردويه
وعبد بن حميد ، وتفسير
الطبري ١٩: ٧٢ .

(٣٤) راجع الطبري ١٩: ٧٢ ،
والدر المنثور ٩٥:٥ عن
المسند والنسائي وابن جرير
والبغوي في معجمه
والباوردي والطحاوي وابن
عوانة وابن قانع والطبراني
وابن أبي حاتم وابن مردويه
والبيهقي في الدلائل ، وتفسير
ابن كثير ٣: ٣٤٥ .

(٣٥) راجع الدر المنثور ٩٥:٥
عن عبد بن حميد والترمذي
وابن جرير وابن مردويه ،
والطبري في تفسيره ١٩: ٧٢ .

(٣٦) راجع الدر المنثور ٩٥:٥
عن ابن مردويه .

(٣٧) م . ن .

(٣٨) م . ن .

(٣٩) الدر المنثور ٩٥:٥ عن عبد بن حميد وابن مردويه وسعيد بن منصور والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وتفسير ابن كثير ٣:٢٤٩، وروح المعاني ١٩:١٣٥، ومجمع البيان ٧:٢٠٦، طاسلامية، والطبري في تفسيره ١٩:٧٢.
(٤٠) راجع المصادر المذكورة.

عباس (٣٩)، وعن آخرين كعروة بن الزبير، وابن شهاب، وقسامة بن زهير، وعمرو بن مرة الجملي، والحسن بن الحسن، وعدي بن حاتم، وقتادة، وعكرمة، وأبي أمامة (٤٠).

ومضامينها أنه ﷺ دعا قريشا فاجتمعوا فعمّ وخصّ: يا بني كعب بن لؤي، يا بني مرّة بن كعب، يا بني هاشم، يا بني قصي، يا معشر بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا معشر قريش، يا بني فهر، يا بني، يا بني قبيلة قبيلة، يا فاطمة، يا صفية، يا عباس، يا عائشة، انقذوا أنفسكم من النار.

وفي لفظ آخر أنه ﷺ جمع بني هاشم وأجلسهم على الباب، وجمع نساءه فأجلسهن في البيت، ثم كلم بني هاشم، وبعد ذلك أقبل على أهل بيته فقال: يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمّة رسول الله، اشتروا أنفسكم في الله، واسعوا في فكاك رقابكم، فإنّي لا أملك لكم من الله شيئاً، ولا أغني، فبكت عائشة.

يرد على هذه الأحاديث

- ١- أنّ فاطمة صلوات الله عليها لم تولد وقتئذٍ على ما هو الحق.
- ٢- أنّ عائشة وحفصة وأم سلمة لم يكن من أزواجه ﷺ حينئذٍ ولا من أهله، وإنما صرن من أهله في المدينة بعد ذلك بسنين.
- ٣- أنّ هذه الروايات تناقض ما ورد من أنه ﷺ دعا قريشاً وبادأها بالدعوة حين نزل قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾، ولم تكن المبادأة بالدعوة حين نزل قوله تعالى: ﴿وانذر عشيرتک الأقربين﴾.

٤- أنّ هذه الروايات تناقض نص الآية نفسها، فإنها تأمره بإنذار العشيرة الأقربين، وفي صحيح مسلم «ورهلك منهم المخلصين» (٤١) لا مطلق العشيرة، ولا مطلق الناس، وعشيرته الأقربون إما هم بنو هاشم، أو بنو عبد المطلب. والقول بتعدد الإنذار لا يدفع الإشكال، بعد تصريح

(٤١) الدر المنثور ٥:٩٥ عن سعيد بن منصور والبخاري وابن مردويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والميزان ١٥:٣٦٤ و ٣٦٧ عن علل الشرائع.

(٤٢) كما في الميزان ٣٦٥:١٥

عن الكوسبي.

(٤٣) الميزان ٣٦٥:١٥.

الروايات بأن مفادها قد وقع حين نزول الآية عليه (٤٢).

٥- أن ظاهر الآية هو نفي أن تكون قرابة النبي ﷺ تغنيهم عن تقوى الله، وفي الروايات إشارة إلى ذلك حيث تقول: «لكم من الله شيئاً» لا يناسب عمومها لغير الخاصة من قرابته ﷺ (٤٣).

٦- هذا كله مع غض النظر عما في اسانيد هذه الروايات، فإن جميع رواتها - كما يقولون - لم يدركوا زمان نزول آية الإنذار، فالواسطة في الأحاديث المذكورة مجهولة. وقد تعرض لهذا الاشكال في فتح الباري ٨: ٤٠٦ و ٤٠٨، حيث يقول بعد نقل حديث أبي هريرة: «هذا من مراسيل الصحابة» وبذلك جزم الاسماعيلي، لأن أبا هريرة إنما أسلم بالمدينة، وهذه القصة وقعت بمكة، وابن عباس كان وقتئذٍ إمّا غير مولود وإمّا طفلاً. الخامسة: ذكر الشيخ المظفر رحمه الله أن قوله «خليفتي فيكم» أو «خليفتي في أهلي» لا يضر مادام ثمة إجماع على عدم جواز وجود خليفتين خاص وعام، فخلافته تقتضي أن تكون المطلقة. ولعل الأصح هو أنه قال كما في الروايات الأخرى: «من بعدي» أو قال: «فيكم» باعتبار أنهم من المسلمين (٤٤). أقول: في بعض النصوص: «وخليفتي من بعدي» كما في السيرة الحلبية وسيرة دحلان، وفي بعضها: «خليفتي فيكم» كما في تاريخ الطبري والكمال وكنز العمال، عن ابن جرير وابن حاتم وابن مردويه، وأبي نعيم في الدلائل، وابن أبي الحديد، وتفسير الخازن، ومعالم التنزيل، وفي بعضها: «وخليفتي في أهلي» كما في شواهد التنزيل، وحياة الصحابة، ومسند الشيباني، ومسند أحمد، وكفاية الطالب.

والأظهر هو المعنى الأخير، لأن لفظ الأهل وإن كان في الأصل بمعنى العشيرة، مطلق مجازاً على الأمة وأهل البلد، قال القاموسي والمصباح المنير وأقرب الموارد: «أهل كل نبي أمته»، فإطلاق «خليفتي بعدي» و«خليفتي في أهلي» متقاربان حينئذٍ.

وأما القول بأن المقصود هو أنه القائم بشؤونهم الدنيوية فيكذبه الواقع،

(٤٤) راجع الصحيح من

السيرة ٣: ٧٠ - ٧١ فإننا نقلنا

بعين الفاظه إلا قليلاً، وراجع

يوم الدار: ٦٧، والميزان ١٥

في تفسير الآية الكريمة.

فإن علياً عليه السلام لم يكن كذلك بالنسبة لأي من الهاشميين ، ولو كان المقصود هو خصوص الحسين عليه السلام وفاطمة صلوات الله وسلامه عليها ، فإن من الواضح أنهما وأمهما ما كانوا قد ولدوا بعد ، والذي يوضح المقصود من الخلافة هو قوله عليه السلام : « فاسمعوا وأطيعوا » الذي خاطب به كل بني هاشم حتى أبي طالب وغيره ، وتضاحكهم في المجلس وقولهم لأبي طالب عليه السلام : « أطلع ابنك فقد أمره عليك » ، ويوضحه أيضاً ما في بعض ألفاظه : « إن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له أخاً ووارثاً ووزيراً ووصياً ، فأيتكم يقوم فيبايعني على أنه أخي ووارثي ووزيري ووصيي ، ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ، فإن ذلك بيان لسنة الله تعالى في انبيائه عليه السلام ، أن يجعل لهم أوصياء في امتهم كما جعل لموسى هارون عليه السلام .

السادسة : أن هذه القصة في بعض ألفاظ الحديث وقعت في الشعب حينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله محصوراً أو محبوبساً فيه ، ولكن في بعض الألفاظ أن الضيافة كانت في دار شيخ الأباطح أبي طالب رضوان الله تعالى عليه كما في المراجعات .

قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ص)

أَنَا سَيِّدُ النَّبِيِّينَ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
سَيِّدُ الرَّصِيدِينَ ، وَإِنَّ أَوْصِيَاءِي بَعْدِي إِذَا عَسَرَ
أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ

فرائد السمطين ٢ : ٣١٣

دراسات

خطاب الاستنصار الحسيني

(٢)

الشيخ
محمد مهدي الإصفي

٣ - المضمون الولائي لاستنصار الحسين عليه السلام :

للاستنصار علاقة وثيقة بشبكة الولاء ، فيجب النصرة فيها عند الاستنصار وهذه الشبكة ذات بعدين : البعد العمودي ، والبعد الأفقي ، وهما سواء في وجوب النصرة عند الاستنصار .



البعد العمودي من شبكة الولاء :

أما البعد العمودي في هذه الشبكة فهو الولاء لله ولرسول الله ﷺ ولأئمة المسلمين وأولياء أمورهم . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(١) ، وقد ورد في تفسير هذه الآية المباركة بأسناد مستفيضة من طرق الفريقين ، أن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام إمام المسلمين ، وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ عندما تصدق بخاتمه وهو راعك في الصلاة خلف رسول الله ﷺ . ويقول تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٢) .

(١) المائدة : ٥٥ .

(٢) النساء : ٥٩ .

البعد الأفقي في شبكة الولاء :

وأما البعد الأفقي في هذه الشبكة فهو الولاء للمؤمنين : ﴿ والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ﴾ ، والمؤمنون على هذا البعد من شبكة الولاء أسرة واحدة ، تربطهم رابطة الولاء ، مهما كانت لغاتهم وأوطانهم وطبقاتهم .

ما يشترك فيه البعد العمودي والأفقي ، وما يتميز فيه البعد العمودي من الولاء : ويشترك البعد العمودي والبعد الأفقي في الولاء في وجوب الحب والنصر والسلام ، ويتميز البعد العمودي عن الولاء بوجوب الطاعة ، فتجب طاعة الله ورسوله وأولي الأمر ، وطاعة من يأمر الله تعالى ورسوله وأولو الأمر بطاعتهم .

الصيغة التوحيدية في شبكة الولاء :

وكل ما يجب في هذه الشبكة على أعضائها من الحب والنصر والتعاون والنصيحة والسلام والطاعة ، إنما يجب بأمر الله تعالى ، فكل ما يجب في هذه الشبكة يأتي في امتداد طاعة الله تعالى وحده ، فلا طاعة لرسول الله ولا لأولي الأمر من دون طاعة الله ، وإنما تجب طاعتهما بأمر الله . ولا يجب حب رسول الله ولا أولي الأمر ولا المؤمنين ، ولا يجب نصرهم ونصيحتهم إلا بأمر الله تعالى ، وحبّه ، ونصيحته .

وهذه الصيغة (التوحيدية) في شبكة الولاء ، هي خصوصية بارزة ومحورية في كل هذه الشبكة الواسعة ، وفي كل ما يجب ويحرم فيها ، وفي أعضاء أسرة التوحيد الكبيرة .

مقومات الولاء في البعد الأفقي :

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴾ (٣) .

وهذه المجموعة من العناصر هي التي تشد المؤمنين بعضهم ببعض بأصرة الولاء ، وهي الايمان ، والهجرة ، والجهاد بالأموال والأنفس ، والإيواء ، والنصرة .

وهذه العناصر في الآية الكريمة - وإن كانت تشير إلى المهاجرين والأنصار في صدر الاسلام - تبقى بروحها من ثوابت الولاء ، ولا ولاء من دونها بين المؤمنين ؛ ذلك أن أسرة التوحيد الكبيرة كلها في مواجهة الشرك والكفر والظلم والاستكبار ، وهذه المواجهة حتمية من ناحية ، ومصيرية من ناحية أخرى ، فلا بد أن يدخل المؤمنون في هذه المواجهة كتلة واحدة ، وصفاً واحداً ، تربطهم أصرة الولاء ﴿ أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ ، كما أن الأمر كذلك في أسرة الشرك والكفر ، فهي تدخل في هذه المواجهة كتلة واحدة ، تربطها علاقة الولاء العضوية ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ .

الولاء والايمان الحق :

والايمان الحق ، هو الايمان الفاعل المؤثر الذي يشد بعضهم ببعض ، ويجعل منهم كتلة واحدة في مقابلة الكفر والشرك والاستكبار . والايمان الحق خصيب وليس بعقيم ، ويوصل ويفصل ، يوصل المؤمنين بعضهم ببعض ، ويفصل المؤمنين عن المشركين والكافرين .

والايمان الحق مصدر عطاء وثورة ونصر وفعل في حياة الانسان المسلم ، ولا يكون الايمان حقاً إلا ضمن شبكة الولاء بكل مقوماتها . يقول تعالى : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ (٤) .

(٤) الأنفال : ٧٤ .

وهذه هي القضية الأولى ، والقضية الثانية أن المؤمنين حقاً بعضهم من بعض ، يعني أن الايمان الحق جمع شتات المؤمنين ، وجعلهم كتلة واحدة وصفاً واحداً ، وجعل بعضهم من بعض كأعضاء الجسد الواحد .

السلام والعصمة في شبكة الولاء :

ومن أهم خصائص شبكة الولاء (السلام) و(العصمة) للانسان المسلم ، فهو يمنح الآخرين السلام في تعامله معهم وعلاقته بهم ، ويتمتع هو بالعصمة ، فلا يحق له أن يعتدي على أحد ولا أن يؤذي أحداً من المسلمين ويظلمه ، كما لا يحق لأحد أن يخترق العصمة التي منحها الله تعالى ويهتكها .

فهناك (سلام) من جهة ، و(عصمة) من جهة أخرى ، وهذا أحد أهم بنود الولاء في علاقة المؤمنين بعضهم ببعض داخل شبكة الولاء .

معنى السلام :

رُوي عن رسول الله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق ، ولا يحق أذى المسلم إلا بما يجب » .

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يخونه . ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض ، حتى تكونوا كما أمركم الله رُحماء بينكم ، مقرّحين » (٥) .

(٥) وسائل الشيعة ٤٣٨ هـ .

وشبكة الولاء على متانتها واستحكامها وقوتها حساسة شديدة الحساسية تجاه أية إساءة أو أذى .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « إذا قال رجل لأخيه المؤمن أف خرج من ولايته وإذا قال : أنت عدوي كفر أحدهما ، ولا يقبل من مؤمن عملاً ، وهو مُضمر على أخيه سوءاً » (٦) .

(٦) وسائل الشيعة ٦١١ هـ .

وعن الصادق عليه السلام : « إن اللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذي يُلعن ، فإن وجدت مساعفاً ، وآلا رجعت إلى صاحبها . وكان أحقّ بها ، فاحذروا أن تلعنوا ، فيحلّ بكم » (٧) .

(٧) وسائل الشيعة ٦١٣ هـ .

وفي العصمة :

وفي العصمة روي عن رسول الله ﷺ : « المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله »^(٨).

وعنه ﷺ : « المسلم أخو المسلم ، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله . كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه »^(٩).

وعنه ﷺ : « كل مسلم على مسلم محرم »^(١٠).

وعن زيد الشحام عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : « إن رسول الله ﷺ وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع فقال : أيها الناس ، اسمعوا ما أقول لكم ، واعقلوا عني ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا ، ثم قال : أي يوم أعظم حرمة ؟ قالوا هذا اليوم . قال : فأي شهر أعظم حرمة ؟ قالوا : هذا الشهر . قال : فأي بلد أعظم حرمة ؟ قالوا : هذا البلد . قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم »^(١١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها فقد حرم علي دماؤهم وأموالهم »^(١٢).

وعن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله »^(١٣).

علاقة النصر بشبكة الولاء :

وعلاقة النصر بشبكة الولاء علاقة وثيقة ومحكمة . يقول تعالى : ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ﴾^(١٤) . فإذا استنصر المسلمين مسلمون من أطراف الأرض وجب عليهم - على نحو الكفاية - المبادرة إلى نصرهم . عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال : « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس

(٨) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٤٩١ .

(٩) سنن الترمذي ٤ : ٣٢٥ ، ح ١٩٢٧ .

(١٠) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٥٤٠ .

(١١) الكافي ٧ : ٢٧٣ ، ووسائل الشيعة ١٩ : ٢٠٠ .

(١٢) بحار الأنوار ٦٨ : ٤٢٤ .

(١٣) مشكاة المصابيح ١٢ : ١٤٠ .

(١٤) الأنفال : ٧٢ .

(١٥) وسائل الشيعة ١١: ٥٦٠.

(١٦) صحيح البخاري ٢ (كتاب المظالم) الباب ٥.

(١٧) بحار الأنوار ١٧: ٧٥ عن قرب الاسناد: ٢٦.

(١٨) بحار الأنوار ٢١: ٧٥ عن نوار الراوندي: ٣١.

(١٩) بحار الأنوار ١٧: ٧٥ عن أمالي الصدوق: ٢٩١.

(٢٠) بحار الأنوار ٢٠: ٧٥ عن ثواب الاعمال: ١٢٨.

(٢١) بحار الأنوار ٢٢: ٧٥ عن المحاسن: ٩٩.

بمسلم» (١٥).

وعن البراء بن عازب قال: «أمر النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع. فذكر رد السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإبرار القسم» (١٦).

وعن الصادق عن أبيه ﷺ قال: «لا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً وعدواناً ولا مقتولاً ولا مظلوماً، إذا لم ينصره، لأن نصرة المؤمن على المؤمن فريضة واجبة، إذا هو حضره، والعافية أوسع ما لم يلزمك الحجة الظاهرة» (١٧).

ويحرم على المسلم خذلان المسلم إذا دعاه إلى نصرته وهو قادر عليها. عن موسى بن جعفر عن آبائه قال: «قال رسول الله ﷺ: من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس من الاسلام في شيء، ومن شهد رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس من المسلمين» (١٨).

وقد سبق هذا الحديث بلفظ قريب.

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته، إلا خذله الله في الدنيا والآخرة» (١٩).

وعنه ﷺ قال: «ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته، إلا نصره الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته، إلا خذله الله في الدنيا والآخرة» (٢٠).

وعنه ﷺ قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته، إلا خذله الله في الدنيا والآخرة» (٢١).

استنصاران للحسين ﷺ في قصر بني مقاتل:

وإذا لم يسع المسلم تلبية استنصار المسلمين وإجابة دعوتهم ونصرهم، فلا يحضر استغاثتهم واستنصارهم. والله مر بنا قريباً قول الامام الصادق ﷺ، حسب الرواية: «لا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان

جائر ظلماً وعدواناً...» .

وقد كان الحسين عليه السلام إذا استنصر رجلاً فأبى عليه ينصحه أن يبتعد عنه ويغيب عن مصرعه ، لئلا يسمع باستغاثته .

(٢٢) يقول السيد عبد الرزاق المكرم إن القصر ينسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة ، ويقع بين عين التمر والقططانة والقربات.

وكان للحسين عليه السلام لقاءان في منزل قصر بني مقاتل (٢٢) في طريقه إلى كربلاء : اللقاء الأول بعبيد الله بن الحرّ الجعفي ، واللقاء الثاني بعمرو بن قيس المشرقي وابن عمّه ، وقد استنصرهم الحسين عليه السلام جميعاً ، فاعتذروا ولم تطب نفوسهم بالموت ، فنصحهم الحسين عليه السلام أن يبتعدوا عنه ويغيبوا عن مصرعه ، لئلا يسمعو استغاثته فلا يجيبوه فيكتبهم الله تعالى في النار . وإليك تفاصيل هذين اللقائين :

في اللقاء الأول التقى بعبيد الله بن الحرّ الجعفي فاستنصره ، فاعتذر بعبيد الله كما ذكرنا ذلك من قبل ، وقال له أنه لا يشك أن من شايعه كان سعيداً في الآخرة ، ولكن نفسه لا تطيب بالموت ، وأهدى إلى الحسين عليه السلام فرسه (الملحقة) ومدحها ، فقال له الحسين عليه السلام : « أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك ، ولا فيك ، وما كنت متخذ المضلين عضداً ، وإنّي أنصحك كما نصحتني . إن استطعت ألا تسمع صراخنا ، ولا تشهد وقعنا فافعل ، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنم » (٢٣) .

(٢٣) مقتل الحسين لعبد الرزاق المكرم ٢٠٢ - ٢٠٤ نقلاً عن أمالي الصدوق وخزانة الأدب ٢٩٨:٦ .

واللقاء الثاني في نفس المنزل بعمرو بن القيس المشرقي وابن عمّه . رواه الصدوق في عقاب الأعمال عن أبيه قال : « دخلت على الحسين أنا وابن عمّ لي ، وهو في قصر بني مقاتل ، فسلمت عليه . فقال له ابن عمّي : يا أبا عبد الله ، هذا الذي أراه خضاب أو شعرك ، فقال : خضاب ، والشيب إلينا بني هاشم يعجل .

ثم أقبل علينا . فقال : جئتما لنصرتي ؟ فقلت : إنّي رجل كبير السن ، كثير الدين كثير العيال ، وفي يدي بضائع الناس ، ولا أدري ما يكون ، وأكره أن أضيع أمانتي . وقال له ابن عمّي مثل ذلك . قال لنا : فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ، ولا تريا لي سواداً ، فإنه من سمع واعيتنا ، أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يعبا ، كان حقاً على الله عز وجل أن يكبه على منخره في النار » .

الاستنصار لإتمام الحجة :

عاشوراء مفترق طريق ، ومن فارق الحسين عليه السلام في عاشوراء عن علم وعمد وسمع وأعيته وحضر استغاثته فسبيله نار جهنم .

وقد شطر الناس عاشوراء منذ سنة ٦١ هـ إلى اليوم شطرين : شطر إلى الجنة ، وشرط إلى النار ، فمن كان رأييه من رأى الحسين عليه السلام ، وهواه مع الحسين عليه السلام ، وموقفه مع الحسين عليه السلام ، كان سبيله الجنة ، ومن كان رأييه من رأي يزيّد ، وهواه مع يزيّد ، وموقفه مع يزيّد كان سبيله النار ؛ ذلك أن الحسين عليه السلام وارث الأنبياء والصديقين والمرسلين في مسير التاريخ كله ، فمن كان هواه مع الحسين عليه السلام ، كان لا محالة مع حركة الأنبياء والمرسلين والصديقين ، ومن كانه هواه مع آل أبي سفيان ، كان موقفه لا محالة مع أعداء الأنبياء وخصومهم .

ولذلك فإن الحسين عليه السلام وارث الأنبياء ، ويزيّد وارث الطغاة والجبابرة ، وعاشوراء من أيام (الفرقان) في التاريخ .

وقد شطر عاشوراء - كما ذكرنا - الناس منذ سنة ٦١ هـ إلى اليوم شطرين : (أنصار) و(أعداء) .

ولسنا نعرف شطراً وسطاً بينهما إلا أن يكون من المستضعفين الذين يرجون رحمة الله بالاستضعاف . إذن (عاشوراء) مفترق طريق ، وقد كان الحسين عليه السلام يحرص يوم عاشوراء وقبله أن يتم الحجة على كل أولئك الذين وقفوا مع آل أبي سفيان ؛ ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة ﴾ ، وكان يحرص أن ينقذ من يمكن انقاذه ، ويصلح من يمكن إصلاحه ، ويهدي من يمكن هدايته .

كان الحسين عليه السلام يتم الحجة في استنصاره واستغاثته الذي تكرر منه على كل الذين قاتلوه وحاربوه وظلموه ، أو وقفوا من مصرعه موقف المتفرج الذي لا يبالي بما كان يحدث ، فقد كان عليه السلام يعلم بأن لهذا اليوم شأنًا كبيراً في التاريخ ، وأنه مفترق الطريق بين الحق والباطل والهدى والضلال في التاريخ ، فأراد أن يتم الحجة على الناس لئلا يكون للناس على الله حجة .

تنوع الخطاب الحسيني :

ولذلك نجد أن الخطاب الحسيني للاستنصار خطاب متنوع ، فهو عليه السلام حريص على أن ينفذ إلى تلك القلوب المغلقة ، ويفتحها بأي أسلوب ممكن ، فهو يخاطب عقولهم تارة ، ويخاطب ضمائرهم تارة ، والضمير آخر قلعة تقاوم الباطل في نفس الانسان ، ويخاطب قلوبهم وعواطفهم تارة ، والعاطفة خزين مبارك من الخير والرحمة في نفس الانسان ، وآخر ما ينضب من نفسه وقلبه .

لقد خاطب الحسين عليه السلام عقولهم يوم عاشوراء فقال لهم : « أحين استنصرتُمونا والهين فأصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفاً لنا في أيما نكم ، وحششتُم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم إلماً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم » .

وخاطب ضمائرهم فقال : « يا شيعة آل أبي سفيان ، إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم » .

وخاطب عواطفهم ثالثاً فقال في آخر استغاثة له عليه السلام : « أما من مغيث يغيثنا ؟ أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ » .

من مشاهد الاستغاثة المؤثرة استسقاؤه للطفل الرضيع يوم عاشوراء وهو يتلظى عطشاً ، فرفعه إليهم وقال : « أما منكم من أحد يأتينا بشربة من الماء لهذا الطفل الرضيع ؟ » ثم قال لهم : « اسقوا هذا الرضيع » (٢٤) .

والعاطفة خزين مبارك من الخير والرقّة والرحمة كما ذكرنا ، وآخر ما ينضب في نفس الانسان ، وهذه الرحمة التي تفيض بها العاطفة تطهر القلب مما يعلق به من الدرن ، وتلينه وتفتح مغاليقه .

وقد تنغلّق العقول ويتصام الناس عن نداء العقل ، ولكنهم يستجيبون لنداء العاطفة ، وتنفتح له قلوبهم .

(٢٤) الخصائص الحسينية،

الشيخ جعفر الشّستري: ١٨٦.

المعنى الشمولي لخطاب الحسين عليه السلام :

لا نجد مبرراً للقول بأن خطاب الحسين عليه السلام بالاستنصار كان مقتصراً على أولئك الذين عاصروا الحسين عليه السلام وشهدوا وقفة الطف .

وليس ثمة دليل في خطاب الحسين عليه السلام يمنع أن يكون للأجيال التي تعاقبت من بعده ، ممن لبّوا هذا الخطاب وأسرعوا في الاستجابة له ، فقد كان المجتمع الاسلامي يومئذ يمرّ بفترة رهيبة من التاريخ فقد فيها الكثير من أخلاقيته وقيمه وكفاءاته .

ولست أدري ماذا فعل معاوية ، خلال سني حكمه من افساد وظلم ، حتى بلغ المجتمع الاسلامي في عصر ابنه يزيد هذا المبلغ من ضعف الارادة ونضوب القيم وفقدان الأخلاق ، وليس أدل على ما نقول من أن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوهم إلى الخروج على يزيد وهم يعرفون الحسين عليه السلام ويعرفون يزيد ، ثم لا يستجيب له من كل أولئك الذين خاطبهم الحسين عليه السلام أو بلغهم خطابه إلا اثنين وسبعين رجلاً فقط .

وأصدق وصف لهذا العصر هو الوصف الذي يصفه به الحسين عليه السلام ، كما يرويه الطبري في التاريخ ، وهو أول خطبة له عليه السلام بعد وصوله إلى كربلاء . يقول عليه السلام : « إن الدنيا قد تغيرت وتتكثرت ، وأدبر معروفها ، ولم يبق منها إلا ضبابة كضبابة الاناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل . ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا ينتأه عنه ؟ » . وهو وصف دقيق لذلك العصر ، ولاشك هذا الوصف يقول الامام عليه السلام : « ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ؟ » . ومن أجل ذلك نعتقد أن خطاب الحسين عليه السلام لا يقتصر على عصره ، فليس من سبب لحجب هذا الخطاب عن العصور التي تلي ذلك العصر .

ولسنا نريد أن ننفي صفة مخاطبة الناس في ذلك العصر من خطاب الحسين عليه السلام ، ولكننا نريد أن نقول إن روح هذا الخطاب أوسع من ذلك العصر .

إن الصراع الذي خاضه عليه السلام في سنة احدى وستين هجرية حلقة

متوسطة من سلسلة طويلة من الصراع بين التوحيد والشرك والهدى والضلال ، يتصل طرف منه بصراع الأنبياء ﷺ مع أئمة الكفر ، والحسين ﷺ وارث هذه السلسلة المتصلة من أئمة التوحيد ، ويتصل الطرف الآخر منه بسلسلة طويلة من الصراع في امتداد الطف يقوده أئمة التوحيد ، حتى يتسلم المهدي من آل محمد ﷺ لواء التوحيد ، وتطهير الارض من رجس الشرك والظلم .

وعاشوراء من المفاصل الاساسية في هذه السلسلة الممتدة من الصراع بين التوحيد والشرك والهدى والضلال ، وخطاب الحسين ﷺ خطاب شامل لكل أولئك الذين بلغهم هذا الخطاب ، ومكّنهم الله تعالى من وراثة تراث عاشوراء ، ورزقهم الوحي والبصيرة .

التلبية :

والتلبية الواردة في نصوص الزيارات التي يزور المسلمون بها الحسين ﷺ تشير إلى هذه الحقيقة التاريخية ، فإن الحسين ﷺ (داعي الله) ، ونداؤه ودعوته توحيد الله ، وخطابه الدعوة إلى نصرته دين الله وشريعته وأحكامه وحدوده ، ورفض الطاغوت والكفر به . وهذه دعوة عامة ، وخطاب شامل لتلك الأجيال الذين تعاقبوا بعد عاشوراء .

وإذا حجبنا عصرهم عن التلبية المباشرة لدعوة الحسين ﷺ واستنصاره ، فنحن اليوم نلبّي ذلك الخطاب ، ونستجيب لتلك الدعوة في إزالة الظلم والشرك ومجاهدة الظالمين ، وتثبيت أركان التوحيد في الارض ، وهدم بنيان الشرك والظلم والاستكبار .

وقد ورد في نصوص زيارة الحسين ﷺ : « لبيك داعي الله . إن لم يجبك بدني عند استغاثتك ، ولساني عند استنصارك ، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري » والتلبية من مقولة (العزم) و(الفعل) ، وليس من مقولة (القول) . والقول تعبير عن عزم الانسان على الفعل .

فالتلبية الحقيقية لخطاب الحسين عليه السلام أن يقف الانسان مع الحسين عليه السلام في مواجهة الظالمين ، وعدم الركون إليهم ، ورفضهم والبراءة منهم ، والصمود والثبات في مواجهتهم .

ولست أعتقد أن مرور ألف وثلاثمئة (عام) على مصرع الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته الذين لبّوا دعوته ، قد خفّف من قسوة الصراع وضرارة المعركة ، ولا أعتقد أن التلبية لذلك الخطاب أيسر - في عصرنا - من التلبية لنفس الخطاب في ذلك العصر .

فالمعركة هي المعركة ، والخطاب هو الخطاب ، والتلبية هي نفس التلبية ، وضريبة التلبية هي نفسها .

تفسير وتحليل جملة من المضامين الواردة في خطاب الاستنصار الحسيني : ويستوقفنا في خطابات الحسين عليه السلام خطابه المعروف في مكة عشية خروجه إلى العراق ، وقد تناقل أرباب السير هذا الخطاب ، وورد في أكثر المصادر التي دوّنت سيرة الحسين عليه السلام وخروجه إلى العراق .

وقد ذكرنا الخطاب في القسم الأول من هذه المقالة ، والإمام يبدأ خطابه بهذه الكلمة الغريبة : « خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة » .

وهذه البداية تفسر كل حركة الامام وخروجه ، وتوضح للناس الذين يستنصروهم الحسين عليه السلام ما يؤول إليه أمره وأمر من معه ، ليخرج من يخرج معه وهو على بينة من أمره ، وهو أمر بهم الامام كثيراً ، ويصرّ عليه في كل مراحل حركته ، بمقدار اصراره على استنصار الناس ودعوتهم للخروج معه على يزيد ، فهو يدعوهم ويعفيهم في وقت واحد ، يدعوهم إذا صحّ عزمهم على لقاء الله في خروجهم هذا ، وطابت أنفسهم بالقتل في سبيل الله ، ويعفيهم إذا لم تطب نفوسهم بالقتل في سبيل الله ، فإن الحسين عليه السلام يسعى إلى الموت ، وليس إلى سلطان ولا مال .

ويطلب من الأنصار من يصدق عزمه وتصدق نيّته في ابتغاء القتل في

سبيل الله .

ومصيبة الناس في دنياهم إقبالهم على الدنيا وتعلقهم بها ، وهروبهم وخوفهم من الموت هو سرّ ضعفهم ، وسقوطهم ، وخضوعهم للظالمين ، وهو انهم عليهم ، وهو نقطة الضعف الكبرى في حياتهم . أما إذا هانت الدنيا في أعين الناس ، وزال الخوف من الموت عن نفوسهم ، فلا يتمكن الظالم من ظلمهم ، ولم يسلموا أنفسهم لسلطوته وبطشه . وكيف يهرب الانسان من الموت وقد « خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة » ؟ فالموت يحاصر الانسان ، ولا يستطيع ابن آدم أن يخرج من حصاره ، فلا ينفعه هروب . ثم لماذا يخاف الانسان من الموت والموت جمال المؤمن وكماله ، ويزدان به كما يزدان جيد الفتاة بالقلادة ؟ ولا ينقص من جمال الموت أنه يحاصر الانسان ، كما لا ينقص من جمال القلادة أنها تطوّق جيد الفتاة . فليس كل طوق ذلاً وأسراً .

ولست أعرف تصويراً للموت أجمل من هذا التصوير الذي يقدّمه الحسين (عليه السلام) للموت عشية خروجه إلى العراق . ثم يقول (عليه السلام) : « وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ! » .

إنّ الموت عند الحسين (عليه السلام) لقاء الله ، ولقاء أسلافه الصالحين إبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ، وهو يشترق إلى هذا اللقاء اشتياق يعقوب إلى يوسف ، فهو غصن من تلك الشجرة وثمره طيبة لها ، يحنّ إليها حنين الفرع إلى أصله . فليس بالموت يمكن ردع الحسين (عليه السلام) عن رسالته وقضيّته . وهذه رسالة الحسين إلى طاغية عصره وإلى أنصاره معاً .

ثم يقول (عليه السلام) : « لا محيص عن يوم خطّ بالقلم . رضا الله رضانا أهل البيت » . وهي صورة أخرى لنفس المشهد ولكن بلون آخر ، فقد كان المشهد السابق مشهد الشوق والوله إلى لقاء الله ولقاء أحبّائه ، وهذا مشهد التسليم والرضا لأمر الله . وسواء عرض الامام هذه العاقبة من خلال الاشتياق والوله ، أو من خلال التسليم والرضا ، فالرسالة واحدة والنتيجة واحدة . ثم يقول (عليه السلام) : « لن

تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس» .

إنه بضعة من رسول الله ﷺ لحمه ودمه، بضعة من روحه، ووعيه، وهده، وبصيرته، ورسول الله ﷺ هو الخير والهدى كله، وما تفرق من رسول الله ﷺ يجتمع له في حظيرة القدس، ولا تشذ عن رسول الله ﷺ لحمه ولا بضعة له .

ومن أراد أن يجتمع برسول الله ﷺ مع الصديقين والصالحين في حظيرة القدس فعليه أن يلتحق بالحسين ﷺ، ومن شذ عنه ﷺ شذ عن رسول الله ﷺ. ثم يختم ﷺ كلامه بهذا الخطاب «ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله» .

إن السبط الشهيد يسعى إلى لقاء الله، ويطلب من الناس مهجهم، ويدعو الناس إلى أن ينتزعوا حب الدنيا من قلوبهم، ويوطنوا أنفسهم للقاء الله .

وهو خطاب عجيب قلماً عهدنا نظيراً له في خطابات القادة السياسيين والعسكريين إذا دعوا الناس للقتال . فهو ﷺ لا يمتنهم بمال ولا سلطان، وإنما يمتنهم بلقاء الله، ويطلب منهم أن يوطنوا أنفسهم لذلك، ولا يرضى منهم بغير مهجهم .

ثم يقول لهم إنه يتقدمهم في هذه الرحلة : «فإنني راحل مصباحاً غداً إن شاء الله» ، ولست أدري ماذا تستبطن هذه الجملة القصيرة من العزم والارادة والقوة والبصيرة والهدى والتسليم لمشيئة الله وأرادته .

وقد شاء الله تعالى أن يكون هذا العزم وهذه الارادة والبصيرة وهذا التسليم مبدءاً لبركات كثيرة في تاريخ الاسلام .

وفي منزل البيضة خطب الحسين ﷺ في أصحاب الحر فقال : «أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» .

وهذا الحديث الذي يرويه السبط الشهيد عن جدّه رسول الله ﷺ منهج

في العمل السياسي والحركي والمعارضة ، يختلف عن المنهج الذي تبناه بنو أمية في عصرهم ، الذي يلخصه عبد الله بن عمر في كلمته المعروفة : « نحن مع من غلب » .

وقد عمل بنو أمية على إشاعة هذا المنهج السياسي بين المسلمين ، واختلفوا في ذلك الأحاديث ، وأعلنوا به من على المنابر لإجهاض كل معارضة سياسية وحركية في وجوههم ، ولإسباغ الشرعية على حكمهم . فمن هذه الأحاديث ما رواه الحجاج قال : « قال لي أبو هريرة : ممن أنت ؟ قلت : من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك رجال من أهل الشام ، فيأخذوا صدقتك ، فإذا أتوك فتلقيهم بها ، فإذا دخلوها ، فكن في أقاصيها ، وخلّ عنهم وعنهم ، وإياك وأن تسبهم ، فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك ، وإن صبرت جاءت في ميزانك يوم القيامة » (٢٥) .

وعن زيد بن وهب قال : « سمعت عبد الله قال : قال لنا رسول الله ﷺ : إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها . قالوا : فماذا تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : أدوا إليهم حقهم ، وسلوا الله حقكم » (٢٦) .

وعن جنادة بن أمية قال : « دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض ، فقلنا : أصلحك الله ، حدثنا بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ ، فقال : دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفر بواحاً عندكم من الله فيه برهان » (٢٧) .

وهذا أقصى ما يطلبه الحكام الظلمة من الناس . وفي كتب الحديث الكثير من هذه الروايات التي يأبأها القرآن ويرفضها الاسلام .

ونحن من دون أن نناقش هذه الأحاديث مناقشة سندية ، نقطع بأنها منعدلة موضوعة على رسول الله ﷺ ، وننتهم في ذلك بني أمية أولاً . وقد خفي أمر ذلك على كبار المحدثين الذين رووا هذه الأحاديث وأكثرها من روايتها .

(٢٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٥٧٢ .

(٢٦) صحيح البخاري ٤ : ١٨١ (كتاب الفتن) طمصر ١٢٨٦ هـ .

(٢٧) صحيح البخاري ٤ : ١٨١ (كتاب الفتن) طمصر ١٢٨٦ هـ .

ودليلنا على ذلك هو القرآن . ونعتقد أن المنهج العلمي الصحيح في نقد الرواية هو عرض الرواية على القرآن ، والنقد من حيث السند يأتي بعد العرض على القرآن ، فما خالف القرآن نرفضه ونرده صحح سنده أم لم يصح . هذا هو منهج أهل البيت (عليهم السلام) في نقد الرواية . ولذلك فنحن لا نطيل الوقوف لمناقشة هذه الروايات ، ونقدها من حيث السند ، فالأمر عندنا أوضح من ذلك . ودليلنا على ذلك آيات مُحكمات من كتاب الله تنهى عن الركون إلى الظالمين وعن طاعة المسرفين .

وإليك إضمامة من آيات كتاب الله . يقول تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ (٢٨) .

(٢٨) هود : ١١٣ .

ويقول تعالى : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ (٢٩) .

(٢٩) الشعراء : ١٥١ - ١٥٢ .

ويقول تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره قرطاً ﴾ (٣٠) .

(٣٠) الكهف : ٢٨ .

ويقول تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ (٣١) .

(٣١) النساء : ٦٠ .

وينهض أبو عبد الله سيد الشهداء يومئذ لإزالة هذا اللبس عن سنة رسول الله ﷺ ، فيعلن في الناس أن رسول الله ﷺ قال : « من رأى سلطاناً جائراً ... فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله » ، وهي مسؤولية شاقة وصعبة ، وانطلاقاً من هذه المسؤولية خرج الحسين (عليه السلام) على طاغية عصره .

فإذا ابتلى الله تعالى المسلمين بسلطان جائر ، لا يسع المسلمين جميعاً إلا أن ينهضوا لتغييره بفعل أو قول ، ومن يسكن إلى الظالم ويسكت عنه « كان حقاً على الله أن يدخله مدخله » ، وهي كلمة عجيبة ، تستوقف الانسان طويلاً ، وتشعره بثقل المسؤولية الصعبة في ظروف الظلم والاستبداد

السياسي . فلا يكفي ألا يركن الانسان إلى الظالم ولا يتعاون معه ولا يسنده حتى لا يدخل مدخله في النار ، وإنما يجب عليه أن يسعى إلى تغييره بفعل أو قول ، فإن لم يفعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله .

ثم يقول عليه السلام : « وأنا أحق من غير » ، ومن أولى من ابن رسول الله ﷺ أن ينهض بالتغيير ، ويقود حركة التغيير ، ويدعو إلى التغيير .

وهو عليه السلام في هذه الرحلة قائد وقادة ، قائد يقود حركة التغيير ويدعو إليه « وأنا أحق من غير » ، و(قادة) يتقدمهم في كل محنة وشدة ، ويكون نصيبه منها الأوفى . يقول عليه السلام : « فإن تمت علي بيعتكم ، تصيبوا رشدكم : فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله . نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، ولكم في أسوة » .

ثم يقول عليه السلام : « وإن لم تفعلوا ونقضتم بيعتي ... فحفظكم أخطائكم ، ونصيبكم ضيعتكم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه » .

إن آل أبي سفيان أعداء الناس ، وقد تمكّنوا من رقابهم ، وأفسدوا أخلاقهم ودينهم وقيمهم ، وأذلّوهم ، والحسين عليه السلام خرج ليقود حركة التغيير وإن نقضوا عهدهم ، فلم يضرّوا إلا أنفسهم ، وأمكنوا آل أبي سفيان من رقابهم ، وذللّوا أنفسهم لظلمهم واستكبارهم ، وأورثوا أبناءهم ذلاً ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه .

قصيدة :

مَوَدَّاهُمُ أَجْمَعُ النَّبِيِّ

فلون وأداب

(*) من قصيدة لشاعر أهل البيت ابن حماد العبدي رحمه الله .

(١) في رواية: حصنا.

بَيْتِكُمْ أَسْرَى الْبَرِاقِ فَكَانَ مِنْ
وَشْتَصُّ أَرْبَابَكُمْ فِي السَّمَاءِ تَرَوْرَهُ
أَبُوكُمْ هُوَ الصَّدِيقُ آمَنَ وَاتَّقَى
وَسَمَاهُ فِي الْقُرْآنِ نُوَ الْعَرْشِ جَنْبَهُ
وَشَدَّ بِهِ أُرْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَأَفْرَدَهُ بِالْعِلْمِ وَالْبَأْسِ وَالنَّدَى
هُوَ الْبَصَرُ يعلو الْعَنْبَرُ الْمُطْصُّ فَوْقَهُ
إِذَا عُتِدَ أَقْرَانُ الْكَرْبَةِ لَمْ نَجِدْ
يَفُوضُ الْمَنَایَا فِي الصُّرُوبِ شَجَاعَةً
يَرَى الْمَوْتَ مِنْ يَلْقَاهُ فِي حُومَةِ الْوَعَى
إِذَا اسْتَعْرَتْ نَارُ الْوَعَى وَتَغَشَّيَتْ
وَأَهْدَتْ إِلَى الْأَحْدَاقِ كَطَلًا مَعْصِفَرًا
وَنِلَتْ بِهَا رَرْقَ الْأَسِنَّةِ أَنْجَمًا
فَعَيْنَ رَأَتْ وَجْهَ الْوَصِيِّ تَمَزَّقَتْ
فَتَى كَفَّهِ الْيَسْرَى بِحِمَامِ بَحْرِهِ
فَكَمْ بَطَلَ أُرْدَى وَكَمْ مَرَّهَبٌ أُرْدَى
يَجُودُ عَلَى الْعَافِينَ عَفْوًا بِمَالِهِ

إِلَهَ الْبَرِيَا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
مَلَائِكَ لَا تَفْأُكُ صَبْأًا وَلَا وَهْنًا
وَأَعْطَى وَمَا أَكْدَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى
وَعَرَوْتَهُ وَالْعَيْنِ وَالْوَجْهَ وَالْأَنْفَ
وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ زُكْنًا (١)
فَمَنْ قَدْرَهُ يَسْمُو وَمَنْ فَعَلَهُ يُكْنَى
كَمَا الدَّرُّ وَالْمَرْجَانُ مِنْ قَعَرِهِ يُجْنَى
لَحِيدَةٍ فِي الْقَوْمِ كَفُورًا وَلَا قِرْنَا
وَقَدْ مُلِّتْ مِنْهُ لَبِثُ الشَّيْرِ جَبْنَا
يُنَادِيهِ مِنْ هَهْنَا وَيَدْعُوهُ مِنْ هَهْنَا
فَوَارِسَهَا وَاسْتَقْلَقُوا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ
وَأَلْقَتْ عَلَى الْأَشْدَاقِ ارْدِيَّةً نُكْنَا
وَمَنْ فَوْقَهَا لَيْلًا مِنَ النَّقْعِ قَدْ جَنَّا
كَثْلَةَ ضَائِنٍ أَبْصَرَتْ أَسَدًا شَنَّا
كَذَاكَ حَيَاةُ السَّلَامِ فِي كَفِّهِ الْيَمْنَى
وَكَمْ مُعْدَمٌ أَعْنَى وَكَمْ سَائِلٌ أَعْنَى
وَلَا يُتَبَعُ الْمَعْرُوفُ مِنْ مَتْنِهِ مَنَّا

ولو نُقِصَ بين الناس معشار جوده
وكل جواد جاد بالمال إنما
وكل مدح قلت أو قال قائل
سيفسر من لم يعتصم بولائه
لذلك قد واليته مخلص الولاء
عليكم سلام الله يا آل أحمد
مؤدكم أجز النبي محمد
وعهدكم المأخوذ في الدثر لم نقل
قبلنا وأوفينا به ثم ثابكم
طهرتم فطهرنا بفاضل طهركم
فما شئتكم شئنا ومهما كرهنمو
فنحن موالىكم نحن قلوبنا
نروركم سعياً وقيل لثقتكم
ولو بُضِعت أجسادنا في هواكم
وآبائنا منهم ورثنا ولاكم
وأنتم لنا نعم التجارة لم تكن
ومالي لا أنلي عليكم ورثكم
وإن أرباكم يقسم الفلق في غد
وأنتم لنا غوث وأمن ورحمة
ونعلم أن لو لم نكن بولاكم
وأن إليكم في المعاد إياتنا
وأن عليكم بعد ذلك حسابتنا
وأن موالين الفلألق قبكم
ومورنا يوم القيامة موضكم
وأمر صراط الله ثم إليكم

لما عرفوا في الناس بطلاً ولا صفنا
قصاراه أن يستن في الجود ما متنا
فإن أمير المؤمنين به يُعنى
ويقرع يوم البعث من ندم متنا
وكنتم على الأحوال عبداً له قتنا
متى سبعت قمريه وعلت غصنا
علينا فأمتنا بذاك وصدقنا
لأنه كلاً ولا كيف أو أني
أناس وما حُنا وقالوا وما حُنا
وطبتم فمن آثار طيبكم طينا
كرهنا وما قلتم رضينا وصدقنا
إليكم إننا إلف إلى إلفه حنا
لو آتانا على أصدقنا لكم رزنا
إننا لم نحل عنه بحالي ولا زلنا
ونحن إننا متنا نورته الإبنا
لنحذر خسراناً عليها ولا غبنا
عليكم بحسن الذكر في كتبه أني
فيسكن ذا ناراً ويسكن ذا عدنا
فما منكم بُد ولا عنكم مغنى
لما قبلت أعمالنا أبداً متنا
إننا نحن من أجداً لنا سُرعاً قمنا
إننا ما وفدنا يوم ذاك وحوسبنا
فأسعدهم من كان ألقاهم وزنا
فيظما الذي يقصى ويروى الذي يُبنى
فطوبى لنا إذ نحن عن أمركم جبرنا



شبهة ورد

✽ مسن الأمين
(لبنان)

يقول الدكتور محمد عمارة إنه يقتضي التمييز تاريخياً بين تيارات الفكر الشيعي ؛ لأن الفكر الشيعي ليس تياراً واحداً في حضارتنا الاسلامية ، ثم يسترسل قائلاً : « الحضارة الاسلامية عرفت الغلو الشيعي ... فرقاً من الغلات الشيعة ، وهؤلاء أغلبهم قد انقرض مثل القرامطة والحشاشون وغيرهما ... » .

وكان على الدكتور أن يتحرى الحقيقة في كل كلمة يكتبها ، وأن يدرس التاريخ الاسلامي ليكون على علم بما يكتب .

وأبسط ما نقوله له : ليس في الفكر الشيعي تيارات مختلفة ، بل هو تيار واحد في حضارتنا الاسلامية لا يعدو كونه مذهباً ككل المذاهب الاسلامية عقائد وفقهاً وعملاً ، فإذا اختلف عن احد المذاهب في شيء وافق غيره في هذا الشيء ، وهذه كتبه العقائدية والفقهية تملأ مكتبات الدنيا .

إن التشيع لا يعدو هذه الحدود ، وما خرج عنها فالتشيع براء منه ، لذلك فقله : « الحضارة الاسلامية عرفت الغلو الشيعي » هو افتراء على التشيع ؛ لأنه إذا صح وجود من يسميهم غلات ، فهؤلاء لا تصح نسبتهم إلى التشيع ؛ لأن التشيع كان أول من تنكر لهم وحاربهم . إن هؤلاء في التشيع كاليزيدية

في التسنن ، فمن يزعم أن في التشيع غلواً ، وينسب أصحابه إلى التشيع ، نقول له : إن في التسنن غلواً يتمثل في فرقة (اليزيدية) ، فهل يرضى الدكتور محمد عمارة أن نقول له هذا القول ؟ فإذا كان لا يرضى ، فعليه ألا ينسب القرامطة إلى التشيع ، لأنه كما يتبرأ هو من اليزيدية ولا يرى فيهم مذهباً سنياً مغالياً ، كذلك يتبرأ التشيع من القرامطة وغير القرامطة إذا تجاوزوا الحد الاسلامي الشيعي .

إن الشيعة هم الذين حاربوا القرامطة ، وظلوا على حربهم حتى قضوا عليهم ، حاربهم الفاطميون حرباً لا هوادة فيها ، وحاربهم شيعة البحرين بقيادة الأمير الشيعي عبد الله بن علي العيوني جد الشاعر علي بن المقرب ، وظل يقاتلهم أربع سنين حتى قضى عليهم نهائياً . وفي ذلك يقول علي بن المقرب :

سل القرامط من شطى جماجمهم طراً وغادرهم بعد العلا خدماً
من بعد أن جل بالبحرين شأنهم وارجفوا الشام بالغارات والحرماً
فهل يصح بعد ذلك لمسلم صحيح الاسلام يدعي العلم بالاسلام
وتاريخه أن ينسب القرامطة إلى التشيع ؟!

والعجيب أن الدكتور محمد عمارة يقرن من سماهم (الحشاشين) إلى القرامطة ، ويضمهم إلى من سماهم غلات الشيعة ، ويقول إنهم انقرضوا ! . إن الذين يسميهم (الحشاشين) ويزعم انقراضهم وينسبهم إلى التشيع ، هم الذين أطلق عليهم مزيفو التاريخ هذا اللقب ، بعد أن حوروه عن لفظه الحقيقي الذي هو الحشاشيون ؛ إذ كانوا يتعاطون جمع الحشائش الطبية وبيعها في كل مكان ، فوصفوا بهذا الوصف ، ثم جاء المزيفون من خصوم كل حقيقة فحولوه إلى الحشاشين ، وهم لم ينقرضوا ، بل إن وجودهم اليوم اشهر من نار على علم ، أنهم اتباع آغا خان .

وإذا كنا نقول أن لا صلة لهم بالتشيع ، فهذا لا يمنعنا من أن نعترف لهم بما أئخنوا في الصليبيين وما فتكوا بهم .

والعجيب أيضاً أن الدكتور محمد عمارة نسب إلى فريق منهم خلط الفكر الاسلامي والتصورات الاسلامية بالفكر الهليني وبمواريث اليهودية القديمة . إنه إذا صح وجود من فعل ذلك - وهو غير صحيح - فكيف يسوّغ محمد عمارة لنفسه أن يذكر هؤلاء وهو يتحدث عن التشيع ، ويلصق أفكارهم بالفكر الشيعي الاسلامي النقي الصافي .

إن الدكتور محمد عمارة حين ينسب ما نسب إلى من يزعم دخولهم في الشيعة ، إنما يحمل معولاً يضرب به في أساس الاسلام .

ويحاول الدكتور محمد عمارة التقليل من أمر الشيعة اليوم فيقول إنهم يمثلون عشرة في المئة من عدد المسلمين . ونقول له : إنهم يمثلون اليوم ما يكاد يصل إلى ربع عدد المسلمين . ويقول : « إذن في النظرة إلى الشيعة لا بد من التمييز بين الغلاة ، وبين شديدي الاعتدال ، وبين المتوسطين في الموقف ما بين الغلو والاعتدال » .

ونقول له : ليس هناك تمييز في التشيع بين هذه الأصناف التي اختلفها ، هناك تشيع يرتكز على الايمان بالله ورسوله وكتابه ، ويتميز عن بقية المسلمين كما يتميز كل مذهب اسلامي عن غيره من المذاهب . فما تجاوز ذلك ليس بتشيع .

وتعيد هنا ما قلناه من قبل من أنه إذا صح أن يقول الدكتور محمد عمارة هذا القول ، فإنه يصح لغيره أن يقول : يجب التمييز في النظرة إلى أهل السنة بين الغلاة (وهم اليزيدية) ، وبين شديدي الاعتدال (وهم أتباع المذاهب الأربعة) ، وبين المتوسطين في الموقف ما بين الاعتدال والغلو (وهم القاديانية) .

وحقيقة التشيع البارزة تضطر الدكتور محمد عمارة لأن يعترف بأن التشيع مذهب من المذاهب الفقهية الاسلامية ، وتضطره لأن يعترف بأنهم في مصر عمدوا أخيراً إلى الأخذ ببعض أحكامه ، ولكنه يعمد إلى الطعن في قضية الامامة قائلاً إن أهل السنة يعتبرون أن الامامة بمعنى الخلافة جزء

من الشورى ، وإنها جزء من سلطة الأمة ، وإن الامامة بالبيعة والاختيار والشورى ، بينما الشيعة يعتبرون الامامة بالنص .

إننا نسأله متى أخذ غير الشيعة في اختيار الخلفاء بالشورى وبسلطة الأمة ؟

ألم ينص الخليفة الأول على الخليفة الثاني ؟ ألم ينص الخليفة الثاني على الخليفة الثالث ؟ وإن جعل هذا النص على أكثر من واحد فإنه جعله في حقيقته على واحد بتركه الأمر لعبد الرحمن بن عوف المعروف بأن هواه مع عثمان . ومهما يكن من أمر فهو على كل حال نص ، سواء كان على واحد أو على أكثر .

وهل كان تولي يزيد بن معاوية ومن تلاه من الطغاة حتى آخر خليفة عثماني ، وهو عبد المجيد ، بالاختيار والشورى ؟ !

وعندما اختارت الأمة خليفاتها بنفسها ، عندما اختارت جموع الشعب علي بن أبي طالب ، ثار على هذا الاختيار من يدعون أن الخلافة متروكة لاختيار الأمة .

ويبلغ الأمر بالدكتور محمد عمارة إلى أن يقول إن تعصب الشيعة لأنتمهم جعلهم يشقون صف الأمة .

إن الذين شقوا صف الأمة هم الذين ثاروا على الخليفة الذي اختاره الشعب ، والذين تعصبوا لهم وأيدوهم .

ويناقض الدكتور محمد عمارة نفسه عندما يقول : « أمة تتعارك داخلياً على قضايا تاريخية ، دون أن ترى التحديات التي تقفلها من جذورها ، وتريد أن تطوي صفحة الاسلام » .

ويقول إنه ينظر إلى الشيعة باعتبارهم جزءاً من الأمة الاسلامية . إذا كانوا في نظره جزءاً من الأمة الاسلامية فهل يصح منه أن يسعى لتهشيم هذا الجزء ، والطعن فيه ، وإسباغ صفات باطلة عليه ؟ وهل يحل له السعي في فصل هذا الجزء من الأمة عنها ، وفي هذا الوقت بالذات ؟

ويقول: «لابد أن نتنبه إلى أن التحديات الخارجية تجتاحنا جميعاً، ولا بد أن نتكاتف؛ لأنها تضعنا جميعاً في سلة واحدة، فيجب ألا نجعل التناقضات الداخلية أعلى وأقوى من التناقضات الخارجية بيننا وبين أعداء هذه الأمة». ونقول له: هل من التنبه للتحديات الخارجية أن تطعن بمن قلت أنت نفسك إنهم جزء من الأمة الإسلامية؟ وهل من التكاتف أن تقول ما قلت في حق الشيعة؟!

ويدخل الدكتور محمد عمارة في غمار التاريخ، فيحيل الحسنة إلى سيئات، ويقول عن الدولة الفاطمية إنها كانت تحكم والمجتمع كان مجتمعاً سنياً.

إنها هذه من مفاخر الدولة الفاطمية التي لم تتدخل في شؤون المسلمين المذهبية، وتركت اتباع كل مذهب على مذهبه، وقد كانت قادرة على غير ذلك.

والصحيح أن المجتمع لم يكن سنياً بحتاً، بل كان سنياً شيعياً، فلم يتعرض الفاطميون لمن ليسوا بشيعة، بل ساعدوهم على الاحتفاظ بمذاهبهم، وانشأوا لهم الجامعات الخاصة بهم، سواء في القاهرة حيث أقاموا جامعة سنية في جامع عمرو إلى جانب الأزهر، وفي الاسكندرية حيث انشأوا لأحمد بن محمد بن سلفة المعروف بالحافظ السلفي، مدرسة كبرى صارت مرحولاً إليها، وشجعوا المعاهد السنية وتركوا لأصحابها حريتهم الكاملة.

ويعترف الدكتور محمد عمارة أن دار الحكمة التي انشأها الحاكم بأمر الله، كان يأتي بعلماء السنة ليجلسوا مع علماء الشيعة في هذه الدار التي بناها للتشيع. ثم يضيف إلى ذلك وصفاً لهذا التشيع بأنه التشيع الفاطمي الاسماعيلي الباطني المغالي.

والتشيع الفاطمي لا يوصف بهاتين الصفتين «الباطني المغالي»، لأنه لو وصف بهما خرج عن التشيع كما بيّنا من قبل، وهاتان الصفتان يمكن أن

تطلقا على من سماهم الحشاشين . على أنه لابد من تبيان ما هو المقصود بالباطني لتبيان حقيقة الأمر ، وهذا ليس هنا مكان الدخول في تفاصيله .

وما دام قد سمي الشيعة باسمهم ، وسمى السنة باسمهم ، فنحن مضطرون أن نفعل ذلك دفاعاً بعد أن فعل ذلك هجوماً .

إنه يقول إن القول بأن الفكر الشيوعي فكر ثوري ، وأنه تصدى لنظم الجور والطغيان على مر التاريخ هو أكذوبة .

يقول ذلك بعد أن قال قبل سطرين إن الشعب المصري تعاطف مع كل ثورات العلويين .

على ماذا كانت ثورات العلويين التي اعترفت بها ؟ ألم تكن تصدياً لنظم الجور والطغيان ؟ ، وهل كان باعثها إلا الفكر الشيوعي الثوري ؟

وزعمت أن الشيعة منذ جعفر الصادق امتنعوا عن الثورة ، وعن العمل السياسي ، وعن الدخول في كل قضايا السياسة ، ورضوا بكل النظم الحاكمة بصرف النظر عن جورها وعن عدلها .

إن الشيعة منذ جعفر الصادق لم يحصروا نضالهم لنظم الجور والطغيان بالثورات المسلحة ، بل رأوا أن مقاومة الجور والطغيان يجب أن تكون في ميدانين : ميدان الثورة المسلحة ، وهي التي ظل يقوم بها من سميتهم بالثوار العلويين ، والميدان الثاني هو ميدان توعية الشعب ببحث العلم وثقيف الفكر وبعث حركة التأليف ، بعد أن أماتها منع التدوين ، فنجحوا في ذلك كل نجاح ، فكان منهم العاملون في ميدان السياسة الثورية ، والعاملون في ميدان القتال الثوري ، والعاملون في ميدان العلم والفكر والشعر ، كل ذلك بإشراف جعفر الصادق وتوجيهه ، وإشراف من تلاه من الائمة .

وتقول : « إن الذي كان يعارض ويناقش ... كان من علماء السنة . إذن الفكر الذي كان يقوم بالثورات ، وكان له دور في المعارضة والانتقاد والسياسة والعمل السياسي ، كان هو الفكر السني » .

ولمعرفة ماذا كان يشغل الفكر غير الشيعي في ظل السلطة ، تراجع الصفحتين ٣٨٦ و ٣٨٥ من الجزء الأول من كتاب مرآة الجنان ، والصفحة ٧٦ وحاشية الصفحة ٧٧ من الجزء السابع من كتاب نشوار المحاضرة ، مما نخجل من ذكره هنا ، وكل ما نقوله أن القاضي أبا يوسف انشغل طوال النهار وهزيعاً من الليل ؛ ليجد لهارون الرشيد فتوى تبيح له قضاء الليل مع غانية كان قضاؤه الليل معها زناً محضاً .

ويقفز الدكتور محمد عمارة من عصر جعفر الصادق إلى سنة ١٩٢٠م ، زاعماً أن الفكر الشيعي امتنع به الشيعة عن الدخول في أي عمل من الأعمال السياسية . وقال إن أول فتوى تصدر عن الشيعة بالعمل السياسي كانت من الشيرازي في العراق ، عندما أباح للشيعة أن يشتركوا في مقاومة الاستعمار الانكليزي سنة ١٩٢٠م ، ثم يتساءل أين هي الثورة التي يخدعون بها بعض الشباب ؟ .

وما دام قد تجاوز كل تلك القرون وما فيها من ثورية شيعية واستسلام غير شيعي ، فإننا نماشيه في ذلك ونقول له : في الحين الذي كان فيه الشيخ أبو الهدى الصيادي يحلل للسلطان عبد الحميد كل أفاعيله الاستبدادية ، وكان مشايخ الاسلام يباركون طغيانه ، كان الشيرازي الآخر غير الذي ذكره ، وهو المرجع الأعلى السيد محمد حسن الشيرازي ، يقف لطغيان ناصر الدين شاه بالمرصاد ، فلما علم بأن هذا الشاه قد منح شركة انكليزية امتيازاً يتعلق بالتبناك لا يتفق ومصالح الشعب المسلم في ايران ، أصدر فتوى بتحريم التدخين واستعمال التبناك ، فاستجاب له الشعب الايراني وامتنع حتى نساء القصر عن استعمال التبناك ، ورفض خدم القصر إعداد الشيشة للشاه حين طلب إعدادها ، وأدركت الشركة الانكليزية أن مصيرها الافلاس ، واضطر الشاه لإلغاء الامتياز وعادت للشعب حقوقه .

هذه هي الثورة الشيعية التي عاشها الشيعة طيلة حياتهم ، فقاوموا بها طغيان الطغاة واستبداد المستبدين .

وعندما تحرك الشعبان العثماني والایراني للمطالبة بالدستور والحياة النيابية ، كان فقهاء الشيعة هم المطالبين بذلك ، فقادوا الثورة على الحكم الفردي الاستبدادي حتى حطموه ، وفرضوا الدستور والحياة النيابية ، في حين كان الفقهاء في الدولة العثمانية هم السائرين في ركاب الاستبداد والطغيان ، المحللين له كل محرم .

وفي الحرب العالمية الأولى عندما هاجم الانكليز العراق ، نسي فقهاء الشيعة مذابح أهل التشيع على يد العثمانيين وما عانوه في ظل حكمهم من اضطهاد وحرمان ، وما كابده من الجور والظلم ، ولم يتذكروا إلا أن الدولة العثمانية هي أكبر دولة اسلامية ، وأنها تحمل أكبر رمز اسلامي هو رمز الخلافة ، فأعلنوا الجهاد على الانكليز ، وتقدموا صفوف المجاهدين حاملين السلاح ؛ لأن الجهاد إذا وجب ، فأول ما يجب عليهم .

تقدم السيد محمد سعيد الحبوبى ، والسيد مهدي الحيدري ، والشيخ مهدي الخالصي ، وكل واحد منهم قد تجاوز السبعين من عمره ، وكانوا يومذاك يمثلون قمة المرجعية الدينية الشيعية . تقدموا وبنادقهم على أكتافهم ، وجموع المجاهدين الشيعة تحف بهم ، وخاضوا المعارك بايمان وصبر واحتساب ، في حين أن شيخ الاسلام في اسطنبول أعلن الجهاد من شرفات قصره ، ثم أوى إلى الفراش الوثير ، وتجلبب بالدمقس والحريير .

وفي الوقت الذي كان فيه مجتهدو الشيعة يعلنون الجهاد ويمشون إلى القتال ، كان نظراء من غير الشيعة في بغداد والموصل والبصرة يرتعون في بحبوبة العيش ، التي أمتنتها لهم ولآبائهم من قبلهم الدولة العثمانية ، ويتجاهلون الهجوم الانكليزي ، ويعرضون عن فتوى الجهاد التي أصدرها شيخ الاسلام في اسطنبول بوصفه الرئيس الروحي وصاحب أرفع منصب ديني في الدولة العثمانية .

لقد أصدرت الدولة العثمانية لائحة رسمية سنة ١٨٩٤ م ، اعترفت بها بخمس أسر عراقية دينية غير شيعية مشمولة بالمنح السلطانية

والامتيازات ، فأثرت هذه الأسر ثراء لا حدود له ، وامتلكت إقطاعيات واسعة ، ولما جدّ الجد ، ووقف شيخ الاسلام في السابع من تشرين الثاني عام ١٩١٤ م يعلن الجهاد ، كان رجال هذه الأسر الدينية غير الشيعية يسكتون عن تلبية صوت الجهاد ، ويلوذون بمتارفهم وعيشهم الرغيد . ويذكر الدكتور محمد عمارة فتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي بالثورة على الانكليز بهذا اللفظ : « أباح للشيعه أن يشتركوا في مقاومة الاستعمار الانكليزي سنة ١٩٢٠ م » .

بهذا التوهين يعبر عن فتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي الثورية ، أي أن الشيعة كانوا لا يستحلون المشاركة في مقاومة الاستعمار الانكليزي فأباح لهم الشيرازي ذلك .

إن الشيعة في العراق هم الذي قاوموا الاستعمار الانكليزي منذ اللحظة التي وطئت فيها أقدام الانكليز أرض العراق ، فثارت عليهم أول ما ثارت النجف ، فاستشهد في ثورتها من استشهد ، وكانت الجماهير الشيعية المتوثبة تنتظر أمر القيادة لتبدأ ثورتها العامة ، فأصدر الشيخ محمد تقي الشيرازي فتواه بدعوة تلك الجماهير إلى الانطلاق الثوري ، فهبت من كل مكان تخوض ميادين القتال الضاري في حرب الاستعمار الانكليزي ، فعرف منها الانكليز ما لم يعرفوه قبلها .

من الذي كان يقاوم الاستعمار الانكليزي قبلها ليبيع لها الشيرازي المشاركة في هذه المقاومة ؟ إنها هي التي افتتحت المقاومة وسارت بها مقدمة الشهداء وراء الشهداء .

إنها قاومت الانكليز بقيادة فقهاءها مناصرة الدولة العثمانية ، ولما تخلت دولة الخلافة عن العراق ورحلت عنه ، عادت تقاتلهم وحدها بقيادة الشيخ محمد تقي الشيرازي وإخوانه من الفقهاء .

هذا ما يسميه الدكتور محمد عمارة بإباحة للمشاركة في المقاومة . يصل الدكتور محمد عمارة إلى ابن تيمية ويقول إنه جاهد التتار ، ليصل

من ذلك إلى القول بأنه لا يريد أن يفتح الأبواب ... الذين مالأوا التتار وفتحوا أبواب بغداد إلى آخره ..

إن ابن تيمية جاهد الإيلخانيين المسلمين ولم يجاهد التتار الوثنيين ، جاهدهم لأنهم كانوا قد أعلنوا إسلامهم غير ملتزمين بمذهب اسلامي معين ، وابن تيمية المتعصب تعصباً مذهبياً أعمى لا يقبل اسلام أحد إلا إذا كان اسلامه على مذهبه هو ، هذا المذهب الذي يحارب السنة والشيعه معاً . إن التتار الذين غزوا البلاد الاسلامية انفصلوا بعد هولاكو عن قومهم في قراقورم ، واتخذوا مدينة تبريز عاصمة لهم ، وكان نصير الدين الطوسي قد شجع هولاكو على هذا الانفصال ، فكان البادئ فيه في الحقيقة هولاكو وأكمله الذين جاءوا بعده . شجع نصير الدين على هذا الانفصال لأنه كان قد أخذ في التمهيد لإدخال التتار في الاسلام في تفاصيل يضيق عنها هذا المقال ، وكان الأسهل عليه في دعوة التتار إلى الاسلام أن ينفصل هذا الفريق من التتار عن أصوله وجماعته الكبرى ، فتنحصر جهود نصير الدين في نطاق محدد ولا تتبعثر في مجالات واسعة . ونجح نصير الدين الطوسي في ذلك إلى الحد الذي بدّل فيه التتار اسمهم ، لينفصلوا انفصالاً تاماً عن قاعدتهم في قراقورم ، فبعد أن كانوا يعرفون باسم التتار أو المغول ، صاروا يعرفون باسم الإيلخانيين . وبدأت الدعوة الاسلامية بالتغلغل في صفوفهم بجهود نصير الدين الطوسي ، ومات هولاكو وقد أصبح الجو مهياً للإسلام ، وكان نصير الدين الطوسي قد أعد أحسن إعداد فريقاً يتولّى مواصلة العمل الاسلامي بعد وفاته ، وكان على رأس هذا الفريق آل الجويني ، ومات نصير الدين وقد أصبحت الثمرة على وشك النضوج ، فأكمل آل الجويني إنضاجها .

وكانت خطة نصير الدين الطوسي ثم خطه آل الجويني أن يسلم رأس الدولة فتسلم الدولة باسلامه ؛ وهكذا كان .

استطاع آل الجويني تلاميذ الطوسي متعاونين مع أبناء الطوسي

التوصل إلى مواقع حساسة في الدولة الإيلخانية ، فاستغلوا مواقفهم هذه للنفوذ إلى العقائد المغولية لتحويلها إلى عقائد اسلامية ، وراهنوا على الابن الثاني لهولاكو تكودار ، فاستطاعوا تليينه وإمالته إلى الاسلام ، على أمل أن يجيء يوم يتولى فيه الملك فيجاهر بالاسلام ، ويسلم المغول تبعاً له ، ونجحوا في إيصاله إلى سدة الملك في تفاصيل يضيق عنها مجال الكلام هنا ، فحكم باسم أحمد تكودار ، ولكن انقلاباً عسكرياً تتارياً قام عليه فقتله . على أن الجذور التي أحكم غرسها نصير الدين الطوسي وأبناؤه وتلاميذه ، وفي الطليعة منهم آل الجويني ، كانت قد تأصلت ولم يعد من الممكن اقتلاعها ، فلم يطل الأمر ، إذ تم الأمر في عهد غازان ، الذي اغتسل يوم الرابع من شعبان سنة ٦٩٤ هـ ، وارتدى ثوباً جديداً ، وأعلن اسلامه وتسمى بمحمود غازان ، فأسلمت الدولة باسلامه .

ومع أن الشيعة هم الذين أسلم غازان وأسلم الشعب التتاري على أيديهم ، فقد أبوا أن يكون اسلام التتار اسلاماً مذهبياً ، بل اسلاماً مطلقاً غير منتم لأي مذهب .

ومن الطبيعي أن تكون للتتار المسلمين عواطف شيعية ، لأن الذين دعوهم إلى الاسلام فأسلموا هم الشيعة .

وهذه العواطف هي التي حملت ابن تيمية على قتالهم بالرغم من اسلامهم ، وحملته وغيره على تجاهل اسمهم الذي ارتضوه لأنفسهم (الإيلخانيون) ، والاصرار على تسميتهم التتار ليوهم هو وغيره البسطاء من الناس بأنهم إنما يقاتلون التتار ، الذين لهم ذكر سيء في نفوس المسلمين . إن ابن تيمية كان يقاتل الإيلخانيين المسلمين لا التتار الوثنيين ، وهذه من أعظم سيئات ابن تيمية ، ومن أفضع تمويهاته .

أما في إشارة الدكتور محمد عمارة إلى الذين مالوا للتتار وفتحوا أبواب بغداد ، وقوله إنه لا يريد أن يفتح الأبواب ، فنقول : نحن سنفتح الأبواب ونري من هم الذين فتحوا أبواب بغداد للتتار ، ومن هم الذين قاتلوا المسلمين مع

التتار في معركة عين جالوت ، ومن هم الذين فتحوا أبواب الشام أمام الصليبيين ، إنهم أسلاف ابن تيمية ، ونقول للدكتور محمد عمارة : إن الذي يقود المعركة اليوم مع اليهود في جنوب لبنان ، هم المسلمون الشيعة ، وإن الجمهورية الاسلامية الايرانية وحدها من بين الدولة الاسلامية هي التي تقول لليهود : لا ، وهي التي تعد العدة لليوم الموعود ، وهي التي تأبى الاعتراف بكيانهم الزائف .

عَلَى الْأُمَمِ أَنَّ كُنْتُمْ لَهُ حَقِيقَةً نَابِتَةً لَمْ يُقَمَّ عَلَى
شَعْرَةٍ هَامِدَةٍ مَتَى يَقَامُ شَعْرَتِي الْغَايَةِ وَيَطْلُبُ
الْحَادِثَ مِنَ الْمَاطِنِ عَنْ الْوَارِثِ ، وَيَأْتِي مَتَى
يَهْلِكُ مَا الْكَرَّمَ ، وَيَأْتِي مَتَى عَرَفْتُمْ مَا أَنْصَرْتُمْ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

القيم الإسلامية في الحياة

دراسات

www.KitaboSunnat.com

✽ الشيخ

محمد تقي مصباح اليزدي

ترجمته : عباس الأسدي

● اتجاهات القيم لدى الفلاسفة

ثمة اتجاهان متضادان يتبنهما فلاسفة الحقوق والاخلاق ،

وجميع من توغل في مبحث القيم :

الاول : القيمة التي تبلورها الرغبات والاذواق الفردية والجماعية .

الثاني : القيمة الحقيقية للشيء نفسه .

فقد ناقش الفلاسفة منذ القدم هذا الموضوع ، واجابوا كل حسب متبنياته

على السؤالين التاليين : هل الخير هو ما ينسجم مع ذوق الانسان ، أم إن

الانسان يستحسن من الشيء ما كان خيراً ؟ بعبارة اخرى : هل تؤدي من

العمل ما كان خيراً ، أم إن الخير هو ما نختاره نحن ونستحسنه ؟ .

يقول البعض إن الخير هو ما يستحسنه الانسان ، ويقول آخرون : للخير

حقيقة ذاتية ، سواء رضينا بذلك ام لا ، علمنا به أو جهلناه ؛ ولهذا يجب

اكتشاف الخير والعمل بمقتضاه .

وهنا لا نريد التوغل اكثر من هذا في بحث فلسفي معمق يبعدنا عن اصل

الموضوع ، ولهذا نكتفي بسرد رأينا في بحث القيم من خلال اختيار الاتجاه

الثاني ، والقول إن القيمة لها حقيقة ذاتية ، فالناس تدرك بعض الاشياء

وتستحسنها باعتبارها خيراً ، ولكنها تختلف في بعض الاشياء التي لا

يدرك خیرها الجميع ، فتتدخل عندئذ الاذواق والآراء الشخصية .

● القيم الإسلامية في الإدارة

حينما نطرق موضوع القيم الإسلامية وصلتها بالإدارة ، فإننا نقصد أن الإسلام طرح قيماً لأبد من اعتمادها ؛ لأنها قيم معتبرة شئنا أم أبينا ، وموجودة علمنا بها أم جهلناها ؛ ولهذا فالإسلام يرفض النظرية التي تقول بانقياد القيم للأذواق الفردية والجماعية . والقيم التي يطرحها الإسلام إما أن تتعلق بالفرد والحياة الفردية ، أو بالجمع والحياة الاجتماعية التي تشتمل على قيم ينبغي للجمع مراعاتها ، وهذه القيم إما أن تطرح في مداها الاجتماعي الواسع ، أو أن تطرح ضمن تجمعات خاصة مختارة ، وتفصيل كل هذه الأقسام يخرج عن مدى بحثنا الذي سيسلط الضوء على القيم الاجتماعية فقط .

● أساس القيم الاجتماعية

تستند القيم الاجتماعية على مرتكزين :

الاول : الرأي والعقيدة .

الثاني : الاتجاه والميل .

حيث تنشأ القيمة من خلال هذين المرتكزين ، وتصبح الوسطة بين رؤية الانسان واتجاهه وبين فعله .

إن الرؤية التي ينبغي أن ندركها ابتداءً هي رؤيتنا لسلسلة من حقائق عالم الوجود ، التي تثير فينا الاتجاهات والميول ، حيث يتبلور مفهوم القيم لدينا من خلال الرؤية والاتجاه الذي تولده . والقيم تسبب الفعل الإرادي في الانسان ، بمعنى أن القيم توجه المرء لاختيار السلوك الذي يوافقها أثناء إدارته لأي عمل ؛ وعليه فإن ما يكون أفعالنا ويوجهها هي القيم التي نؤمن بها ، والحاصلة من رؤيتنا تجاه الأشياء وميلنا إليها .

● اصول القيم الاجتماعية في الاسلام

تقوم القيم الاجتماعية في الاسلام على ثلاثة اصول :

الاصل الاول : الاعتقاد بأن جميع البشر هم عباد لله تعالى ، وهذه رؤية عقائدية تمثل قاعدة للقيم الاخرى التي تستند عليها .

فحينما يعتقد الانسان أنه وجميع بني البشر مخلوقون لله تعالى وعباد له ، وأنه عز اسمه ينظر إلى جميع مخلوقاته نظرة لطف ورحمة ، بل إنهم مخلوقون على اساس رحمته ؛ حينما يعتقد الانسان بهذا فإنه مثلما يتودد لخالقه ويرغب إليه فطرياً ، يتودد ايضاً لمخلوقاته التي تمثل اثراً من وجوده ورحمته .

فإذا احب الانسان شيئاً احب جميع ما يتعلق ويرتبط بذلك الشيء ؛ فكل البشر هم خلق الله ويرتبطون به ، ومن ثم فإن المؤمن الموحد تحصل لديه على هذا الاساس عاطفة خاصة تجاه كل الانسانية . وهذا أصل من اصول الرؤى التي يترتب عليها ميل للانسان تجاه تلك الرؤية ، فلقد اشرنا إلى أن القيم تستند على الرؤية ، والميل أو الرغبة الناجمة عن تلك الرؤية ، فحينما تكون الرؤية توحيدية ، فإن الميل الذي ينبثق عنها هو حب الخلق ، أو حب الانسان .

الاصل الثاني : الرؤى التي تؤسس للقيم . مثال ذلك الاعتقاد بأن جميع البشر ولدوا لاب واحد وام واحدة ، صفة الاخوة تكويناً ، بواسطة أو بدونها . فحينما يؤمن المرء بأن كل الناس يشكلون أسرة واحدة كبيرة ، تحصل لديه عاطفة اجتماعية أخرى ، ألا وهي العاطفة الأسرية ، أو الحس العائلي الذي يولد هو الآخر شعوراً ينبعث من الشعور بالقربى ، ألا وهو الاحساس بالحب والود تجاه كل البشر ، باعتبارهم يمثلون أسرة واحدة يتصل بهم بالقربى بشكل أو بآخر ، وهذه عاطفة غريزية أن يحب الانسان قريباه ، سواء بالنسب أو بالسبب ؛ وهذا الاصل بدوره يصبح اساساً ومصدراً لميل آخر في الانسان .

الاصل الثالث : الاخوة اليمانية ، وهو أصل اسلامي بحث ، بخلاف الاصليين السابقين اللذين تؤمن بهما الاديان الاخرى بنسبة وأخرى ؛ فالاسلام - فضلاً عن أنه يعتبر بني البشر كلهم من أم واحدة وأب واحد - يعتقد بوجود رابطة معنوية خاصة بين المسلمين ، توجب نوعاً من العلاقة بين ارواح مجموعة البشر الذين ينتمون إلى هذا الدين ، وهي علاقة معنوية وقلبية : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾^(١).

(١) الحجرات : ١٠ .

● القيم الاجتماعية العامة في الاسلام

تتحقق على اساس المعتقدات الثلاثة السالفة مجموعة قيم ، تقوم على قاعدة الحب والمودة المتبادلة بين البشرية ، وكلما أولى الانسان اهتماماً بهذه العلاقات ، وعمل بمقتضاها ، ترسخت الاحاسيس والعواطف ، وهذا في الحقيقة مبدأ من مبادئ علم النفس . ومن الممكن أن يأنس انسان بآخر منذ أن يلقاه أول وهلة ، ويشعر له بنوعاً من الحب ، ولكنه ينساه بعد حين من الزمن لعوامل معينة ، كعامل البعد ، أو ألا يستطيع احد الطرفين أن يعمل بما تمليه عليه ضرورات المودة القائمة ، فتضعف العلاقة وتزول تدريجياً ؛ أما إذا أعطيت لهذه العلاقة نصيبها من الاهتمام ، فإنها ستترسخ وتزداد دون شك ؛ ذلك أن المرء كلما أولى اهتماماً متزايداً بهذه الحقائق ، ولم ينلها النسيان بعد مرة واحدة من تصورها وتصديقها في ذهنه ، وفكر بها المرة تلو الأخرى ، وعمل بمقتضياتها ، اشتدت لديه الحالة بحيث يتصور كلما رأى شخصاً أنه أمام معشوقه ، يريد أن يحتضنه ويقدم له أية خدمة يقدر عليها .

إن مجموعة الرؤى والميول تولد مثل هذه القيم التي يستعد الانسان وفقها للتضحية من اجل عباد الله ، ويتضح مما مر أن الرؤى تطلق الميول ، لتظهر من مجموع ذلك هذه القيم التي تؤدي دوراً في سلوك الانسان .

● القيم الاجتماعية

تُقسم القيم الاجتماعية في الاسلام عموماً إلى قسمين ، أو بعبارة اخرى يحدد الاسلام مبدأين لعلاقات البشر المتبادلة وسلوكهم المتقابل ؛ والحق أن هناك عاملين مهمين يتحكمان بجميع علاقات الانسان ، هما عامل العدل والقسط ، وعامل الاحسان ؛ فأية علاقة أو تعاون يقوم بين البشر في حياتهم الاجتماعية ، إنما يقوم على اساس اداء ادوار متبادلة ، فحينما تؤدي الاعمال بشكل جماعي مشترك ، سواء كانت الجماعة صغيرة كالاسرة المكونة من الزوج والزوجة ، أو كبيرة مؤلفة من المجتمع البشري الهائل ؛ فإن اثر هذه الاعمال ونتائجها تعود على المجتمع نفسه ، أي إن كل فرد يجب أن يرى نتيجة عمله والاعتاب التي تحملها في سبيل ذلك ، ولكن كيف يتم توزيع عوائد العمل المشترك على مجموعة الاشخاص الذين شاركوا فيه ؟ هنا يجب أن يحكم مبدأ العدالة على هذه العلاقة ، فيعطى كل شخص ما يناسب النشاط الذي بذله في هذا العمل المشترك ، ومن الظلم أن يُعطى مَنْ بذل جهداً أكبر في هذا العمل نصيباً أدنى . هذا إذا كان الجميع يعمل بنشاط دائم ، ولكن لا يتحقق هذا الشرط في المجتمعات الانسانية المختلفة ، فلربما لا يستطيع بعض الافراد ممارسة النشاط المطلوب ضمن المجتمع . خذ على ذلك مثال الاسرة التي يشترك فيها الزوجان في ادارتها مدة من الزمن ، وتوزع النتائج المستحصلة بالتساوي والعدالة بين افرادها . ولكن يقع حادث لرب العائلة يمنعه من مواصلة عمله ، فما العمل هنا ؟ أيموت الرجل من الجوع ؟ وهل يجب أن يُحرم من المنافع التي كان يتمتع بها أثناء نشاطه وعمله ؛ لأنه أقعد عن العمل ولا يستطيع أن يقوم بنشاط اقتصادي ؟ هنا يتنحى مبدأ العدل جانباً ليحل محله الاحسان ؛ ولكن يجب أن يُطبق مبدأ العدالة مع من يتكاسل عن اداء عمله ، لأنه قادر على ذلك ويتقاعس عنه .

ويعتقد البعض بقاعدة لكل حسب عمله ؛ وهنا تقع الطامة الكبرى على رأس العاجزين في المجتمع ، مثل كبار السن الذين لا يستطيعون القيام

بنشاط اقتصادي يعود عليهم بالربح اللازم ، ومن ثم لابد من القضاء عليهم بمختلف الطرق ، فكانوا - على سبيل المثال - يُنقلون إلى منطقة سيبيريا للقضاء موتاً بين صقيعها ، ولولا بعض المشاكل والعقبات التي كانت تواجه المجتمع ومسؤوليه ، لقضي على جميع كبار السن بهذه الطريقة ، لأنهم - حسب المعتقد الذي ينطلقون منه - مستهلكون غير منتجين ، وعليه فإن غيابهم أفضل من وجودهم ؛ وهذه قاعدة يرفضها الدين الاسلامي رفضاً باتاً ، ويلقي على عاتق المجتمع مسؤولية الاحسان إلى كل القاصرين والعاجزين ، الذين لا يستطيعون اداء أي نشاط اقتصادي . قال تعالى : ﴿إن الله يامر بالعدل والإحسان﴾ (٢) ، فالله تبارك وتعالى أمر بالاحسان كما أمر بالعدل ، فلو كانت العدالة تدخل في اطار القيم دون الاحسان ، لوجب القضاء على الضعفاء والقاصرين ؛ لأنهم لا يؤدون عملاً لكي يستحقوا عليه جزاء . لا يعتقد الاسلام بهذه القاعدة أبداً ، بل يرى أن الاحسان له قيمته في موقعه المناسب ، وعلى الانسان أن يضحي من أجل أن يأخذ بيد العاجزين . إذن فهناك اثنتان من القيم العامة الحاكمة على السلوك الاجتماعي البشري ، وهما غير القيم الفردية ، ففي العلاقات الاجتماعية تنضوي كل القيم إما تحت لواء العدل ، أو تحت راية الاحسان سواء في المسائل الاقتصادية أو السياسية ، أو العلاقات العاطفية والانسانية .

(٢) النمل : ٩٠ .

● الهدف من الادارة في الغرب والشرق

ثمة قيم خاصة تطرح في أي محيط عمل تشكله مجموعة من الموظفين ومدير يرأسهم ، وتنبع مبادئ الادارة والقيم الحاكمة فيها من الرؤى والمعتقدات الخاصة السائدة في المجتمع نفسه . وإذا وقفنا على الكتب التي ألُفَت والبحوث التي طرحت في الادارة ، لا سيما في الفصول التي تتناول العلاقة بين علم النفس والادارة ، رأينا أن الهدف الذي يصبو إليه الجميع هو تحقيق المقاصد السياسية والاقتصادية للمجتمع بالشكل الافضل ، وتنشد

التعليمات التي تُعطى للمدراء والارشادات التي يزودون بها، الحصول على انتاج افضل واكثر، وتحقيق ارباح اكبر لاصحاب المصانع، سواء كانت تلك المصانع تعود إلى شخص واحد، أو يمتلكها جميع العمال، وسواء كان النظام الحاكم رأسمالياً أو اشتراكياً.

ومهما يكن من أمر فإن الهدف من الادارة الغربية هو تحقيق المزيد من الارباح، أي إن على المدير أن يتصرف مع موظفيه وعماله في المصنع بشكل يزيد من نسبة الارباح والعائدات، وينسحب هذا الامر على الجانب السياسي ايضاً، فالتوجيهات التي يسير عليها السياسيون، أو القيم التي يعملون بها ويخططون اعتماداً عليها، إنما تهدف في النهاية إلى اقرار حالة الامن في البلاد، واعطاء اكبر قدر ممكن من الراحة والرفاهية للشعب. وبعبارة ثانية: إن محور جميع القيم التي تُطرح ضمن مقولة الادارة هو المادة فقط، ولو كان الوصول إليها يتم بجلد العامل لما ترددوا في ذلك، كما لو تَسَنَّى ذلك بطريق تشجيع العامل أو احترامه أو مكافأته، فإنهم يطرقون الاسلوب المناسب في التعامل لأجل كسب المزيد من النفع، وبشكل عام فإن محور الهدف الغائي عند الغرب هو المادة.

● الهدف السامي في النظام الاسلامي

الدين الاسلامي لا ينتهي هدفه عند تحقيق الاستقرار والرفاه للمجتمع، وإنما يعتبر هذا الاستقرار مقدمة لهدف اسمى وارفع، فالاسلام يريد للمجتمع الراحة والرفاه والاستقرار والامن والعدالة والاحسان، لكنه يروم هدفاً آخر، فهو يريد للانسان أن يرقى في مدارج الكمال ليتربع على قمة الانسانية.

وهذه الانسانية لا ترتبط بجسمه وبطنه وفرجه، وإنما بروحه؛ فالهدف الذي ينشده النظام الاسلامي هو تكامل الروح الانسانية، وبطبيعة الحال فهناك علاقة وثيقة بين الروح والجسد، فمن اراد تربية الروح، فلا يستطيع

ذلك إذا تجاهل الجسد؛ لأن من غير الممكن تقوية الروح مع الجوع والمرض الذي يؤدي بحياة الانسان، ولا بد أولاً من تأمين الحاجة الاقتصادية للانسان من صحة ومسكن وأمن، لتمهّد الارض التي يقف عليها وينطلق منها نحو سموّ روحه: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾، لتأتي من ثم نتيجة هذه المقدمات: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾^(٣)، أي إن الله تبارك وتعالى وعد المؤمنين بالعز والامن في الدنيا لكي يعبدوه، وهذه العبادة تتضمن الكمال الانساني، اما إذا انعدم الامن وانتشر الجوع وساد الذل في المجتمع، فلن يستطيع الانسان أن يطوي مدارج كماله؛ لانعدام الارضية المناسبة لذلك، ففي ظل العدل والامن والاستقرار يتمكن المرء من التفكير بسموه الروحي والمعنوي.

إذن، يهدف الاسلام إلى تكامل الروح، ويلقي هذا الهدف بظلاله على جميع القيم التي تتحدد بدورها في هذا الاطار، بمعنى أن كل تلك الامور مطلوبة لأنها تعين على عبادة الله، وإذا تعدّت حدودها المرسومة فقدت اهميتها القيميّة، وأعطت نتائج لا تتسجم مع الهدف المنشود.

● الاتجاه الرئيسي للحركة في الادارة الاسلامية

في الاسلام توجد قيمة مطلقة واحدة هي عبادة الله، أو بعبارة أبسط هي التقوى، أما سائر القيم فهي قيم مُمهّدة واولية ونسبية، تكون وسيلة للوصول إلى تلك القيمة المطلقة؛ وحينما ننظر إلى القضايا الاجتماعية من هذه الرؤية الاسلامية، فعندئذ لا ترقى مسألة الربح والنفع الاقتصادي إلى مستوى الاعتبار والقيمة، إلا إذا جاءت هذه المسألة في سياق تحقيق العبادة لله، وتفقد أية قيمة لها إذا أدت إلى الطغيان ﴿إن الانسان ليطغى﴾ * أن رآه استغنى ﴿^(٤).

(٣) النور: ٥٥.

(٤) العلق: ٦ و ٧.

وما هو الموقف لو ارتفع انتاج المصنع وزادت ارباحه، في مقابل

انخفاض القوة الفكرية والمعنوية لدى العامل ؟ .

لا يرى الماديون في ذلك ضيراً ؛ لأنهم يطمحون إلى زيادة الربح باعتباره أصلاً ، وماعدا ذلك لا يهتمهم في شيء ، والمدير الجيد برأيهم هو الذي يستطيع أن يحقق منافع أكثر لمصنعه ، مهما كان سلوكه مع عماله ترهيباً أو ترغيباً ؛ ولكن هل يوافق الاسلام على هذه الطريقة من التعامل ؟ كلا ، فالاسلام يوظف كل شيء لعبادة الله ، وتهذيب الانسان ، ويرفض كل ما يبعد الانسان عن انسانيته ، حتى وإن كان الثمن تحقيق مصالح اجتماعية أو فردية ، ويدعو إلى حفظ الشخصية الانسانية حتى وإن كانت النتيجة هي انخفاض عائداته ، ويؤكد الاسلام على ضرورة احترام الحق المعنوي إلى جانب الحق المادي للعامل ، أي يجب أن يُعطى الوقت الكافي للمطالعة الدينية وتهذيب النفس والتربية الاخلاقية ؛ وليس من الصحيح أن يُستغل كل وقته للعمل ، دون أن تتوفر له فرصة مراجعة نفسه وتهذيبها ، حتى وإن كان ذلك برضاه ؛ لأن ذلك من شأنه أن يجعل منه آلة ليس غير .

● قيمة التقدم التقني لدى الاسلام والعالم الغربي

للعلم قيمته أينما كان ، بشرط ألا يؤدي إلى تدمير القيم الاخرى ، وتكتسب التقنية العلمية قيمتها إذا أصبحت وسيلة للتقدم والسمو الروحي ، ولكن ماهو الموقف إذا هبطت بالروح الانسانية ، وادت إلى السقوط المعنوي ؟

العالم الغربي لا يرى ضيراً في ذلك ؛ لأن التقنية الجديدة تنسجم مع تطلعاته في كسب المزيد من النفع ، وتحقيق الربح الوفير ، حتى وإن سبب في طرد العمال . اما الموقف الاسلامي فيختلف عن ذلك ، ولا يرى أن التقدم التكنولوجي ينطوي دائماً على قيمة ، وإنما يكتسب هذه القيمة إذا ساعد على التكامل الانساني ، وإلا فإن التخمّة من الطعام واشباع اللذات الجنسية لا يدلان على انسانية الانسان ؛ لأنه مهما استغرق فيهما فلن يصبح اقوى من الحيوانات .

● خطاب ود الناس بين النظام الاسلامي والانظمة الغربية

يتعين على المسؤولين في النظام الاسلامي العمل بما يرضي الناس ، ولكن ليس بشكل مطلق ، فعلى سبيل المثال هل يمكن للحاكم الاسلامي أن يقف مكتوف اليدين حيال تبرز المرأة في الملاء العام ، وعدم ارتدائها للحجاب الاسلامي ، وإن كان رضاها في هذا السلوك الذي تمارسه ؟

أو هل تستطيع الدولة الاسلامية أن تشرع قانون زواج الرجال من الرجال ، كما هو الحال في بعض دول العالم التي تبيح ذلك وتفتخر به ، فمن اراد مارسه عن رضا ، ومن عارضه لم يعمل به ؟

الفرق بين الانظمة الوضعية والنظام الاسلامي في هذه الفقرة ، يكمن في أن الغرب يعتبر رضا الشعب اصلاً لا محيد عنه ، في حين يأخذ الاسلام بعين الاعتبار اموراً أخرى .

● الفرق بين الادارة الاسلامية والادارة الغربية

إننا في الوقت الذي نؤكد حتمية تعلّم النظريات المتعلقة بالادارة وعلومها وما يرتبط بها ، ندعو إلى عدم الاكتفاء بها ؛ ذلك أن الادارة الاسلامية لا تنطلق من مبادئ مادية بحتة ، كما هو الحال في الادارة الغربية ؛ فإلى جانب نظريات الادارة المعروفة لابد أن تطبق القيم الاسلامية ، وتُدرس العلاقة بينها وبين هذه النظريات ، وبدون اعتماد هذه القيم في العملية الادارية تتخذ الادارة الاسلامية ايضاً شكل الادارة الغربية تدريجياً .

إننا في موقفنا هذا لا نعارض الغرب بصفته رقعة جغرافية من هذه الكرة الارضية ، ولا نعارض تلك الشريحة من البشر وما تفرزه عقولهم وافكارهم ، بل نحب كل بني البشر حسب ما يمليه علينا اسلامنا ، إلا أن من يسير بعكس تيار الانسانية والاسلام يصبح ممقوتاً بالعرض ، والاصل عندنا أننا نكنّ الحب لجميع البشر ، من الشرق كانوا أو من الغرب ، ومن

الشمال أو من الجنوب ، لأنهم كلهم عباد لله ، ونحترمهم ما لم يعارضوا الحق ويتجهوا بخلاف مسار الانسانية . وعليه فإن خلافتنا مع الغرب ليس بسبب ما يحمله من علم وثقافة ، وإنما بسبب بعض ابعاده السلبية ، وبسبب انحصاره في الماديات ونسيانه القيم المعنوية ؛ وانتقادنا للثقافة الغربية لا يطل الابعاد الايجابية فيها ، لأن العلم الذي يعتبر من الفضائل والعطايا الالهية ، جيد بحد ذاته وليس بعيب ، بل ننتقد الجوانب السلبية السائدة في ذلك المجتمع ؛ لأن الغرب نسي أن الانسان هو عبد لله ، وأن مآبه إليه .

إن هدفنا من الادارة لا ينحصر في تحقيق الرفاه المادي فقط ، بل إننا نطلبه لأنه يمهد للانطلاق نحو سبيل التكامل المعنوي ، ولهذا فإننا نأخذ بتلك النظريات والعلوم ما نفعتنا في تحقيق اهدافنا للسير في مدارج الكمال الروحي والمعنوي ، وحينما تتقاطع مع هذا الهدف نعمل لتحديدها وتطويقها .

بلحاظ الهدف الذي ذكرنا ، ماهي القيم التي يجب أن تؤخذ بالاعتبار في مجال الادارة الاسلامية ؟

● القيم المطلوبة في الادارة

يفترض بالمدير - وهو يضع نصب عينيه القيم الاسلامية - أن يسعى للارتقاء بمستوى المعنويات لدى العاملين تحت امرته ، وينتهاز أية فرصة مواتية لتعزيز هذه المعنويات بين زملائه ، كما يجب عليه أن يشيع في محيط عمله اجواء الصدق والاخلاص ، ويبدأ من نفسه فيكون صادقاً في كلامه ، مخلصاً في عمله وسلوكه ؛ باعتباره قدوة لبقية زملائه من العاملين معه ، وأن يربي الموظف على الصدق ، لا على الكذب والخوف والرياء والاحتيال ، وعليه أن يتعامل معه بمنطق سليم ، فإذا أخطأ الموظف صحح له خطأه بكل احترام .

ويجب أن يعتقد بمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكل القيم والمبادئ الاسلامية ، ويصر على تنفيذها بمتابعتها ، لا أن يكتفي باصدار البيانات والتعميمات والتوجيهات للعمل بهذه المبادئ في دائرة سلطته .

وهنا يطرح السؤال التالي : هل من الصحيح في بعض الحالات أن نضحي بالقيم الاسلامية من أجل التقدم بالعمل ؟

تتقاطع في هذه الحالة الثقافة الاسلامية للعمل مع الثقافة الغربية ، فهذه الاخيرة تطلب من المدير أن يركز على مستوى العمل ويرفعه مهما كان الاسلوب الذي يتبعه ، أما الاسلام فيحث المدير على احترام القيم حتى وإن أدى ذلك إلى التباطؤ في العمل ، لأن الانسان في الاسلام هو المهم ، وليس المطلوب اداء عمل افضل على حساب كرامة الانسان .

وعلى المدير - إن كان مسلماً أو غير مسلم - أن يعمل على خطب ود موظفيه ، فإذا كان مسلماً أصبح الدافع لديه اقوى ؛ لأنه سيحاول من خلال هذه الخصلة التأثير على الموظفين وتعزيز معنوياتهم ، فحب الله الذي يعتمل في نفس المدير يمهّد الطريق إلى حب عباد الله ، والعاملين تحت امرته هم من هؤلاء العباد ، فيستطيع من خلال هذا الحب الذي يضيفه على موظفه أن يكسبه إليه ، فحينما يرى الموظف أن مديره يحسن إليه ، ويتعامل معه بإيثار ، سوف يحبه من صميم قلبه ، وهذا المستوى من العلاقة العاطفية بين المدير والموظف يدفع العمل نحو الأمام بالاسلوب الصحيح ، وليس من طريق الاحتيال والخداع .

فما هو الطريق إلى تحقيق ذلك ؟

يحب أن يتصف المدير بصفة التضحية والاخلاص والتواضع ، فعلى سبيل المثال يستطيع من خلال متابعة امور الموظف ، بالسلام عليه ، والسؤال عن احواله ، أو عن حال زوجته المريضة ، أن يكسب حب هذا الموظف ، فمثل هذه الامور تطور العمل ؛ لأن الموظف انسان ولا بد أن تحترم شخصيته الانسانية قبل كل شيء ثم يُطلب منه أن يؤدي عمله ، فإذا عانى من امر ما وجب على المدير أن يسأله عن ذلك ، ويسعى لحل مشكلته ؛

عندئذ سيؤدي الموظف عمله على أحسن وجه ، حتى وإن لم يُطلب منه ؛ لأن :
الإنسان عبد الاحسان .

فالإيثار والتضحية والاحترام والاخلاص وحب الخير وامثال تلك
الصفات الحميدة ، هي الوسائل التي يعمل من خلالها المدير المسلم ،
ولا يسلك سبيل الاحتيال والخداع والتشجيع الاجوف ورسائل التقدير التي
لا قيمة لها ، فإذا استطاع المدير أن يستميل قلب موظفه بكلمتين ، فذلك
أفضل - من دون شك - من كتب التقدير التي يصدرها ، وإذا استطاع أن يوفر
له مبلغاً يساعده على أداء دينه ، أو أجره منزله ، أو تسديد علاج ولده ، فذلك
أفضل من الكلام الاجوف والوعود الفارغة .
إنّ فالعلاقة الحميمة بين المدير والموظف هي اهم مسألة يمكن من
خلالها تطوير العمل والتقدم به .

● خلاصة البحث

يعتبر الاسلام خصلتي العدل والاحسان من القيم التي يجب أن تتحكم
في العلاقات الاجتماعية ، ولا بد من أن تؤخذ بالاعتبار في الادارة ، ومن
مصاديق عدالة المدير في دائرة عمله أن يساوي بين جميع الموظفين ، ولا
يجعل العلاقات الشخصية تسود على الضوابط والقوانين الحاكمة .
ومن مصاديق الاحسان أن يساعد المدير موظفه حينما يمرض أو
يواجه أية مشكلة في حياته ، فإذا كانت المشكلة تُحل بالمال وقّره له ، أو
تُحل بالتوجيه - التوصية لم ييخل عليه ، أو على الأقل أن يواسيه في
مشكلته باللسان .

وثمة امور كثيرة أخرى تدخل في تفاصيل العملية الادارية ، لا يمكن أن
نتناولها في هذا المقال المختصر ؛ وتبقى كلمة اخيرة نقولها ، وهي أن هذه
الامور كلها مقدمة ووسيلة يتوجه من خلالها الانسان إلى ربه ، ويطلق
نفسه وروحه من قفص المادة والحياة الدنيوية الضيقة ، إلى رحاب العالم
المعنوي الواسعة .

حوار

السيد
كاظم المائري
ترجمة : عباس الاسدي

طرحت هذه الاسئلة عبر هذا الحوار على آية الله السيد كاظم الحائري احد
أساتذة للحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة ، فأجاب عليها مشكوراً .

● تعتبر الاحكام الامضائية والجدال الدائر حول اصل وجودها
من اقسام مسألة الثابت والمتغير في الدين ، فإذا اعترفنا
بتقسيم الاحكام إلى تأسيسية وإمضائية ، فإن اول سؤال يمكن أن يطرح
نفسه : ماهو المعيار في تأييد بعض انواع السيرة العرفية ؟ هل هو عقلانية
السيرة ؛ وإذا وُجد هذا المعيار في العلاقات الحقوقية والاجتماعية
في العرف المعاصر ، فهل يمكن أن يسري تأييد الشارع إلى هذه
الحالات أيضاً؟

وإذا رفضنا هذا التقسيم اصلاً ، فكيف يمكن تبين تأييد الشارع لبعض
الحالات العرفية في زمن نزول القرآن ، وصدور روايات المعصومين (عليه السلام) ؟
□ اعتقد أنه حصل خلط في هذا السؤال بين معنيين ، إذا فصلناهما عن
بعضهما ارتفع الاشكال . إننا نقول من جانب : إن الاحكام كلها تأسيسية ولا
يوجد حكم إمضائي ، وهذا يعني أننا جميعاً عباد الله ؛ صحيح أن الارادة
الالهية تنطبق احياناً على العرف ، إلا أننا لا نعمل بالحكم بسبب كونه مطابقاً

للعرف، بل لأن الله سبحانه أمر بذلك؛ من هنا فإن جميع الاحكام تأسيسية. على سبيل المثال لناخذ عملية البيع والشراء التي يوافق عليها الدين من جهة، وكونها عرفية إلى درجة كبيرة من الوضوح من جهة أخرى؛ فبغض النظر عن شروط هذه العملية فإن الله تعالى قد أحل البيع كما في الآية، ومن ثم فإن أكثر الاحكام عرفية وامضاء هي احكام تأسيسية بالمعنى الاول الذي اشرنا إليه؛ صحيح أن العقلاء يصفون الصحة على عقد البيع من قبل، ولكن لو لم يشرعه الله سبحانه لم نكن لنعمل بها حتى إذا قال بها الناس، لأننا عباد لله وليس للناس. بهذا المعنى تكون كل الاحكام تأسيسية، ولكن بالامكان تقسيم الاحكام - من بُعد آخر - إلى قسمين: تأسيسية وامضائية، ونعني بذلك أن هذه الاحكام التأسيسية في الاصل إما أن تنطبق مع ما قال به العقلاء، فهي احكام امضائية، او لا يقول بها العرف والعقلاء فهي احكام تأسيسية. اذن، فإن هوية الحكم وحقيقته هي شيء واحد في الاصل، وهو ما يجعله الله ويشرعه ويؤسسه، فإذا جَزَأنا المفهوم بهذا الشكل لم تبق أمامنا أية مشكلة.

● ماهو المعيار في التأسيس والإمضاء في رأيكم؟

□ المقياس في ذلك شيان :

١ - قد يعتمد العقلاء مبنىً خاصاً يؤدي إلى ظهور اطلاق خاص في لفظ الشارع، مثال ذلك أنه ربما يقول احد: لولا المبنى العقلاني لما ظهر اطلاق احل الله البيع، احل الله البيع في مقام التشريع، والاطلاق لا يستقر في مقام التشريع، ولكن بما أن حلية البيع هي مبنى عقلاني قبل تأسيس الشريعة، فإن هذا الارتكاز يمنع الدليل اللفظي الظهور، ولهذا فإن ظهور اللفظ ينصرف - في كل حالة تستند على قرار عقلاني سابق - إلى ما يطابق هذا القرار، وهذا الظهور حجة، أما القرار العقلاني المتأخر فلا فائدة منه، لأنه متأخر عن الظهور الاولي للفظ الشارع، بمعنى أن المقياس هو أن أي قرار يعتبر حجة لو كان موجوداً في زمن النص، وترك تأثيراً على الظهور

العرفي الذي يفهم من النص ، لأننا نؤمن بمبدأ حجية الظهور ؛ أما إذا كان القرار بعد النص تاريخياً ، أو كان في زمن النص ، لكن النص نفاه ، أو لم يكن قرار أصلاً ، فإن الحكم سيكون تأسيسياً في هذه الحالات الثلاثة .

٢ - قد لا نرى أن ارتكاز العقلاء هو الذي ترك تأثيره على ظهور اللفظ ، وإنما نوافق على ذلك من طريق آخر ، هو أن الشريعة التزمت الصمت إزاء القرار العقلاني الذي كان موجوداً في زمنها ولم ترفضه ، وهو إما دليل على الامضاء عقلاً بأن نقول : لو لم توافق عليه لوجب عليها أن ترفضه ، أو دليل على الامضاء عرفاً ، إذ إن سكوت الشارع ينطوي على ظهور بالموافقة ، لهذا الأمر نقول امضاء ، وإن كان تأسيساً بمعناه الأول ؛ وهنا نسأل : ماهو دور المباني العقلانية الجديدة التي لم يكن لها وجود حينذاك ؟ هل تصبح حجة أم لا ؟

هنا يتشعب البحث ، وأول ما يتبادر إلى الذهن هو انعدام اية قيمة للمباني الجديدة ؛ لأن حجية تلك المباني اكتسبت من خلال سكوت الشريعة ، أما المباني الجديدة فلم يكن لها وجود زمن الشريعة لتسكت عنها أو تدلي برأيها فيها ، ومن ثم فهي عديمة القيمة . ولكن الموضوع يتشعب إذا استندنا على سلسلة من الأسس ؛ فلربما يكون المبنى جديداً إلا أن جذره يمتد إلى السابق ، فالتأمين مثلاً عقد جديد لكن أصله قديم ، وهذا الأصل هو العقد بذاته الذي ينفذ الناس مصداقه في هذا العصر ، بينما لم يتوصلوا إليه حينذاك ، أو لم تكن به حاجة . ومهما يكن فإن العمل بهذا القرار يستند على ارتكاز قديم ؛ وهنا تلج بحثاً يدور حوله خلاف حول كفاية الأصل المركزي القديم لمبنى معين ، للقول بأن سكوت الشريعة دليل على الامضاء ، فهو إما أن يصبح حجة لمن يقول بالكفاية ، أو ليس بحجة لمن يقول بعكس ذلك ، أما المثال الذي شقته هنا فلا يولد اية مشكلة رغم كونه قراراً جديداً ، وذلك انطلاقاً من الآية الكريمة : ﴿ اوفوا بالعقود ﴾ .

وثمة مبانٍ عديدة أخرى لمن أراد أن يستفيد من سكوت الشريعة ،

فمنهم من يقول إن دلالة سكوت الشريعة عقلية ، - وقد اشرت إلى كونها عقلية ام عرفية - ، وإذا كان كذلك فليس ثمة فرق بين المباني العقلائية القديمة والمباني العقلائية الجديدة التي تتقابل مع الشريعة ؛ فإذا كانت تعلم بأننا نخطأ وجب عليها أن تقومنا وتمنعنا من الخطأ ؛ صحيح أن التأمين عقد لم يكن له وجود حينذاك ، لكن الهداية ليست مختصة بالضالين في زمن الشريعة ؛ فحينما لا نعلم أننا على خطأ ، فعلى الشريعة أن تهدينا إلى الطريق الصحيح ، فإذا التزمت الصمت حيال قضية معينة ، فسكوته دليل على امضائها للمباني المعاصرة ايضاً . أما لو قلنا بأن دلالة سكوت الشريعة عرفية وليست عقلية ، فمن الممكن ألا يعضي الشرع على ما هو جديد وأصله قديم . وقد يقال إن الحالات الجديدة هي فروع ، وإن المهم هو امضاء الشرع للأصل القديم ؛ أو قد يقال كما رأى الشيخ الكمباني أن الشارع هو سيد العقلاء ، ولا يمكن له أن يرفض شيئاً يوافقه العقلاء . هذه هي البحوث المتشعبة عن الموضوع ، والتي يمكن مناقشتها لمعرفة الصحيح والخاطئ منها .

● الا تعتقدون بأن رأي المرحوم الكمباني يحل الكثير من المشكلات ؟
□ نعم لو تم ذلك لحل الكثير من المشكلات ، ولكنه غير مقبول ، لأن سيد العقلاء يعارض احياناً الآخرين ، بمعنى أنهم يفهمون شيئاً ، بينما يفهمه سيد العقلاء فهماً معاكساً .

● ماهي حاجتنا إلى حكم الشارع بشأن الواجبات العقلائية والامور التي يحتاجها المجتمع ويدركها العرف ؟

□ لا تتصورا - لأننا عباد للشارع - أننا تابعون له في العبادات فقط ، بل علينا أن ندرك بأن التوصليات هي جزء من الشريعة ايضاً ، للسببين التاليين :

١ - في مخالفتها العقاب - إن لم تكن في موافقتها الثواب - على الاقل .

٢ - يتأب المرء إذا ادعى هذه التوصليات بنية موافقة الشريعة .

● كيف نفهم أن العقلاء اخطأوا في الحكم أو لم يخطئوا ، ونحن نعيش زمن الغيبة حيث لا يمكن أن نحصل على الحكم الحقيقي للشارع ؟ وماهو دليلكم على أن تبعية الشارع تؤدي إلى الثواب والعقاب ؟ - وإن كانت هذه مسألة كلامية تبعدنا عن موضوع البحث -

□ أن مراجعة الفقيه الواعي للقواعد الفقهية والنصوص العامة والخاصة والقواعد الاصولية ، تحل لنا المشكلة : أما الدليل على وجوب متابعة الشارع ، فهو يختزل في دليل مولوية الله تعالى ، وهذا دليل كلامي ، لأن اصول وجوب متابعة الشارع مسألة كلامية : اما الثواب والعقاب فهما من توابع مولوية المولى ووجوب طاعته ، وليس دليلاً على وجوب الطاعة والتابعة .

● معروف أن الاسلام امضى بوجه أو بآخر بعض الاحكام العبادية الاجتماعية ، مثل حكم القصاص الذي كان موجوداً في اليهودية ايضاً ، أو أنه أيد بعض الاحكام العرفية ، مثل حرمة الاشهر الحرم ، وتجويز انواع المعاملات والعلاقات الحقوقية كضمان العاقلة لدية القتل الخطأ ، فما هو المعيار في ذلك ؟ ألا يمكن أن نعتبر عمل الشارع هنا دليلاً على أنه لم ينقض احكام العقلاء ولم يمسخها بشيء ؟

□ أمامنا حالات اخرى لم يؤيدها النبي ﷺ ، كما لم يؤيدها الائمة عليهم السلام من بعده ، مثال ذلك أن العقلاء كانوا يبيحون شرب الخمر أو شرب القليل من الخمر ، بينما جاءت الشريعة ونقضت ذلك ، أو حرمة الربا ، وغيرها من الحالات وهي كثيرة . ولهذا فإننا لا نستطيع أن نكتفي بهذا الدليل ونقول بأن الشارع يؤيد معظم الاحكام العقلانية حالياً لأنه أيدها سابقاً ، فهذا منطق مغالط : إذ إننا نواجه حالات كثيرة مخالفة لهذا الاستدلال ، وعليه فإننا لا نستطيع أن نتشبث بهذا الاستدلال ، استناداً على قاعدة : إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال .

● ماهو وجه الضرورة في أن نعتقد بأن الشريعة تتدخل في جميع الشؤون البشرية ؟

□ بدليل أن معنى الشريعة الكاملة أنها تتدخل في كل شيء ؛ فالدين يوجد فينا الحالة العرفانية والاخلاقية ، لكنه لم يأت ليمنحنا هذه الحالة وحسب ، بل جاء ليقربنا إلى الله تعالى ولينظم مسائل دنيانا . فالهدف المنشود هو سعادة الدنيا والآخرة . والشريعة تطرح الكبريات من مثل : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ . اما قول الكمباني ﷺ بأن الشارع هو سيد العقلاء ، ويجب أن يتفق مع العقلاء ، فهو قول خاطيء ، رفضه المتقدمون والمتأخرون ، والخطأ يكمن في أنه خلط بين العقل والعقلاء ، ذلك أن للعقلاء احكاماً مصدرها ليس العقل فقط ، وإنما يمثل العقل احد اركانها والتقاليد ركن آخر فيها ، والعواطف ركن ثالث ، والفرق بين الاحكام العقلانية مع الاحكام العقلية ، هو أن الاحكام العقلية مصدرها العقل فقط ، اما الاحكام العقلانية فهي - كما ذكرت - خليط من التقاليد والعقل .

● من المعتقد أنه يجب أن نجد معياراً خاصاً لتأييد الشارع ؛ لأن المشكلة ستبقى قائمة لو اردنا نحن أن نطرح حالات ينقضها جنابكم بطرح حالات مخالفة للعرف والعقل ، فضلاً عن ذلك فإن تحصيل اليقين في اكثر الاحكام أمر بعيد . فما هو هذا المعيار ؟

□ في الجواب على الاسئلة السابقة ذكرنا عدة أقسام :

القسم الاول : أن مباني العقلاء تعطي الظهور لالفاظ الشريعة ، وهذا لا يشمل المباني المعاصرة .

القسم الثاني : مبني العقلاء يوجب كون سكوت الشريعة دليلاً على الامضاء .

القسم الثالث : يمكن القول احياناً بأن مبني العقلاء يكون مصاديق لكبريات كانت قد اقرتها الشريعة سابقاً ، من قبيل ﴿ اوفوا بالعقود ﴾ ومصادق هذه الكبرى عقد التأمين الذي اكتشفه العقلاء ، ومن الواضح أن

اي عقد جديد هو واجب الوفاء ، لا فرق في ذلك بين العقود القديمة والعقود الجديدة ، مادام مصداقاً لتلك الكبريات .

القسم الرابع : وهي الامور التي لا يمكن تطبيقها تماماً على كبريات كلية ، لذلك اوكلت إلى ولي الامر الذي يأمر بها بما يحقق المصلحة العامة ، وهذا يرتبط بالزمان والمكان وخصوصيات المجتمع ، مثال ذلك أن حق الطباغة لم يكن يعرف في السابق كما يعرف حالياً لعدم تداول الطبع وقتئذ ، وحينما يقول السيد الامام عليه السلام بأننا لا نمتلك دليلاً من الكتاب والسنة على صحة مثل هذا الحق ، فإننا نستنتج بأن ولي الامر يستطيع التدخل في هذا الامر ، لأن مثل هذا الحق ليس مفهوماً من صلب الكتاب والسنة ، وقد أصبح شيئاً واسعاً ، ولو تركنا الباب مفتوحاً دون أن نقيده بهذا الحق ، لنشأت مفاسد من ذلك ، ولهذا يستطيع ولي الامر أن يأمر بهذا الحق ويحفظه . والاحتكار ايضاً ، فإنه كان في زمن الشريعة محصوراً ببعض السلع ، أما اليوم فإنه يُمنع احتكار جميع السلع أو معظمها ، أو الزكاة ، فإن من الحق برأيي (ولست في مقام الافتاء هنا) أن يتدخل ولي الامر ويغير بما ينسجم مع العصر .

والخلاصة أن القسم الرابع يتضمن تلك المصالح والمفاسد ، أو المباني العقلانية التي لا نستطيع أن نطبق عليها احد الوجوه السابقة ، حيث يتدخل ولي الامر ويحسم الامر فيها ، لأن المجتمع لا يستطيع أن يجد حياته الحقيقية بدون ولي الامر ، فالشريعة قدمت لنا كبرى ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾ ، فيأمر الشارع باعطاء الزكاة ، ويبقى مصداق الزكاة ، ومهما كان فإنه يصبح من مصاديق الطاعة والعبادة ، فهذه كلها عبادات بمعناها العام ، وحتى المباحات يمكن أن تحوّل إلى العبادة . ينقل عن المولى الاردبيلي أنه مضى على عمره اربعون عاماً دون أن يقدم على مباح ، فقد كان يتناول الطعام والشراب دون أن يقدم على مباح ، ولكن كيف؟ إنه كان ينوي القرية في جميع المباحات ، فيرقد بنية الاستعداد لصلاة الليل

مثلاً، فالعبادات من السعة بمكان، بحيث يستطيع العارف بالله أن يدعي أنه لم يقدم على أي مباح .

● هل الاحكام الصادرة عن ولي الامر هي احكام دين ، ام مجرد أعمال ولاية ؟ فإذا كان الثاني ، فإننا لا نحتاج إلى كل هذا التفسير ؛ لأن عقلاء العالم يمتلكون ذلك ايضاً ؛ وإذا كان ديناً فإن الأديان ستتعدد بتعدد ولاية الامور على مر الزمن ؛ لأن مصالح المجتمع تتغير في كل زمن . ماهو رأيكم في ذلك ؟

□ حكم الدين هو : ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾ ، حيث اوجب إطاعة ولي الامر ، والاحكام الصادرة عن ولي الامر هي مصاديق لهذه الكبرى .

● اسمحوا لنا أن نعود إلى سؤالنا الاول ونقول : كيف ترفع مشكلة الاحكام الامضائية بالمعنيين التأسيسيين للذين ذكرتموهما ؟ هل تنطبق في حقنا جميع الحالات التي أيدها الشارع في زمانه ؟ وكيف يكون التعامل مع القرارات والعقود العقلائية الجديدة ؟

□ نعم ، كل ما أيدّه الشارع في زمانه يجري علينا حالياً ، إلا أن يغيره ولي الامر بالحكم الولائي ، أو يتغير موضوع الحكم بسبب تبدل المصداق . أما العقود العقلائية فما كان منها مصداقاً للآيات والروايات ، كالعقود الجديدة التي تعتبر مصداقاً لـ ﴿ اوفوا بالعقود ﴾ ؛ فإنها شرعية ومؤيدة من قبل الشارع ، وإن لم تكن كذلك لكن في اجرائها مصلحة ، فإن ولي الامر سيمضيها ، وفي غير ذلك تصبح عديمة الاعتبار .
والحمد لله رب العالمين .

فنون وآداب

خاطبة مراد سبب الخصب

مصطفى حسن
(العراق)

تستأنسُ جدرانُ الغارِ بهِمَساتِ المُتألهِ السَّاحِجِ في عِمَارِ
الْعُبُودِيَّةِ لِلوَاحِدِ الْعَقِيِّ ، فَيَلْتَصِفُ سَكُونُهُ الْبَارِدُ بِحَرَارَةِ أَنْفَاسِهِ
الْوَادِعَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ ، وَتَسَابُ أَمْصُفُ النُّورِ فِي ثَنَائِهَا أَصْغَارَهُ ، لَتَتَفَرَّقَ فِي
سَبِيلِهَا إِلَى وَجْهِهِ الْمَعْشُوقِ الْقَرْدُ كُلُّ مَوَاجِرِ الْمَكَانِ وَالْزَّمَانِ ، مَصْبُوعَةً
بَطَرَاوَةِ التَّمَجِّجِ الشَّغُوفِ بُرُوقِ الْمَلَكُوتِ ، وَتَجَلِّيَاتِ الْيَقِينِ ، وَتَرَاكُمُ
تَبَضُّاتِ الْقَلْبِ الْمَفْعَمِ بِتَوْصِيدِ الْوَاكِجِ عَلَى أَعْيَابِ الشُّهُودِ ، لَتَتَرَقَّى
فِي مَعَارِجِ الْقُرْبِ الصَّغْدِيِّ ، وَتَجُوبَ عَوَالِمَ الْقُدْسِ ، وَالسَّكِينَةِ ،
وَالْكَمَالِ .

.. يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ..

كَلِمَاتٌ مُضِيئَةٌ زَلَزَلَتْ أَرْبَاعَ حِرَاءِ ، وَامْتَلَأَ بِهَا سَمْعُ ذَلِكَ الْمُتَضَعِّ
الْوَالِهِ ، فَتَغَلَّغَتْ فِي أَعْمَاقِ رُوحِهِ الْمُتَسَرِّلَةِ بِالنُّشُوعِ ، وَأَلْبَسَتْ
وُجُوهَ الْمُسْتَكِينِ لِلَّهِ هَيْزَةَ الْمُنْعَطَفِ الْمُقْتَدِرِ .

.. يَا مُحَمَّدُ ، أَنَا قَبِيرُكَ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ..

تنبلي روعة المفاجأة - في مرة أخرى - عن ملامح الوعد الإلهي
المترقب ، وتنسأل من بين ركائنها خطوط الحقيقة الكبرى ، لتتسج في
وجه الزمن العاري تقاسيمه القبيحة ، وتعيد إلى عروقه القاطنة دفقها
وتغاتها .

- « اقرأ » .

- « ما اقرأ ؟ » .

لم يكن قلده ليتمثل أنها بداية رحلة السماء في أرضه هنيه
الأرضي ، وبأكورة الشرى الواعد بالرشيد في مهاوخي ذلك التيقن النافذ
في عمق الأوطار .

- « اقرأ باسم ربك الذي خلق » .

إنها جذوة التبدد بمناجزة القوار في بقايا الفطرة ، عاثتها شفقاه
الملتهيبتان بالرفض لتقدر الطين الشارب في أوردتها ، نائرة في
غيش المدى رؤى يافعة ، وصاهرة صباب الموت المركوة في
هشيم الأملاق .

جرائه ، ماكان الزمن ليتنصناك بين أضلاعه لولا أنك قبلت تلك
الطوى الهابطة من رحم السماء ، ولم يكن لعديلك صدق في أغوار
النفس إلا أنه امتلح بهدير ذلك اللحن المفضل بعبير هداها .

*

* * *

* * * *

* * *

*

دراسات

الحياة وموقف التبليغ النسوي

* أم صادق الهزاري

نظرة عامة عن التبليغ النسوي :

إن التبليغ النسوي لا يخرج عن الإطار العام للتبليغ الذي هو في حقيقته تبليان دين الله ، وإيصال الحقائق للناس بأسلوب واضح وميسر ، لكي يتحركوا في كل المواقع من أجل أن ينطلق الاسلام إلى الحياة فكرياً يوجّه ، وشعوراً يوحى ، وقانوناً ينظم ، وحكماً يفرض السيادة الالهية الكاملة على كل مراكز الحياة ، في إطار تشريعي شامل يتحرك من القرآن والسنة لنشر الخصب والنماء في كل مواقع الحياة .

امتاز الانسان بأنه كائن عاقل ناطق يستطيع أن يُعبّر عمّا في نفسه ، ويبيّن للآخرين ما يريد ببيانه بدقة وتأثير فعال في نفوسهم وعقولهم وكسب العواطف والمشاعر ، وتوجيه الرأي العام والإرادة البشرية عن طريق المخاطبة والتحدث ، وتصوير الحقائق ، والتعامل مع مشاعر الناس وعواطفهم وأحاسيسهم الوجدانية ومخاطبة عقولهم .

إن معرفة الانسان لهذا العالم هي عبارة عن مجموعة من صور الحقائق التي تحصل لديه عن طريق الادراك له ، وما فيه من حقائق الطبيعة والانسان والحيوان والنبات ، وما يشير إليه هذا العالم الرحب الكبير ، وما ينطق به هذا الوجود من عظمة خالقه وقدره صانعه وجمال مبدعه .

وحين تعجز الحواس عن ادراك تلك الحقائق واكتشاف وجودها تقوم

الأخت المبلغة بدور الوسيط الذي ينقل الافكار والمعاني والمعارف لهذا الانسان .

لقد ساهمت المبلغة في تطوّر الانسان المدني والحضاري ، ونمو معارفه ورقي حياته وبناء مجتمعه ، وتعريفه بخالقه ويعوالم الغيب والحقائق غير المحسوسة لديه .

الهدف الأساسي للمبلغة المؤمنة :

التبليغ هو إحدى البركات الإلهية للانسان ، فإذا تمكن البعض من تبليغ دين الله وتوجيه حياة الناس بشكل صحيح يُعدّ ذلك حتماً من البركات الإلهية ، والهدف الاساسي من التبليغ هو معرفة دين الله من خلال الخطاب الالهي ، وهو القرآن الكريم باعتباره المصدر الاسلامي الاصيل لفكر الاسلام وشريعته ، فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الكلمة الفاصلة في كل ما يريده الله وما لا يريده ، وهو الحقيقة الفاصلة الحاسمة التي لا يرقى إليها الشك : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾^(١) ، فعلى الأخت المبلغة أن تجعل القرآن الكريم الاساس المطلق ، والمصدر الأول لمهمتها التبليغية ، وتقوم بدراسته دراسة واعية لمعرفة كل القضايا ، ابتداءً من فكر وجود الله ، ووجدانيته ، إلى الاحكام الشرعية . وقد كان القرآن الكريم في حياة الاسلام والمسلمين يمثل المدرسة التي انطلق منها النبي ﷺ وأصحابه في اسلوب التبليغ ، وإيصال الدعوة الاسلامية إلى هدفها الطبيعي في حركة الحياة والايمان .

(١) البقرة : ٢ .

شرائح المخاطبات بالتبليغ :

إن أساس العمل التبليغي هو إيصال حقائق الدين ، ومن الطبيعي أن يكون لهذا العمل مستويات مختلفة :

١ - الشريعة الأولى : عامة النساء ، وهي الشريعة الواسعة من المجتمع

النسوي .

٢ - الشريعة الثانية : هي التي تتمتع بشيء من الوعي والمعرفة .

٣ - الشريحة الثالثة : هي التي تمثلها المستفوقات في المجتمع ، وهن اللواتي وإن لم يكنَّ على معرفة وإحاطة بالعلوم والمعارف الاسلامية ، لهن باع طويل في العلوم والفنون المختلفة ، ويتمتعن بذهن وقاد وذكاء كبير ، ووعي ومعرفة ، فهن أيضاً من جملة مخاطبات داعيات ومبلغات الاسلام ، وهن أيضاً بحاجة إلى أن يُبين لهن الاسلام .

وبشكل عام تواجه المبلغة الاسلامية مختلف الطبقات ، ولا يقتصر على ما يصطلح عليهم بالعوام فقط ، بل تواجه حتى هؤلاء الذين يتمتعون بقسط وافر من المعرفة والعلم والتجربة ، وهذا مطلب يستحق الالتفات ، ويكون أساساً وملاكاً لرسم سياسة التبليغ ، ووضع خطط الدعوة والإرشاد الاسلامي .

مواصفات المبلغة الرسالية :

إن التبليغ هو من وظائف ومسؤولية العلماء وطلاب وطالبات العلم ، فعلى اللاتي يرمن ممارسة التبليغ يجب أن تتوفر فيهن صفات من أهمها :

١ - الايمان والاخلاص وصفاء الفكر والصدق والثقة .

٢ - أن تكون ملزمة بالمعارف والعلوم الاسلامية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .

٣ - أن تكون لها القدرة والقابلية الفنية والبيانية على تطوير ورفع مستوى المخاطبين والمخاطبات ، باتجاه الدعوة التي تروم إيصالها لهم .

إنَّ على الأخت المبلغة ألا تكتفي بالخطاب والكلمة ، وإنما عليها أيضاً أن تثبت وتوضح هذه الحقيقة للمخاطبة من خلال ايمانها وإخلاصها المتجسد بأفعالها ومواقفها ، وأن تُثبت ذلك للناس عملياً ، ليقترن قولها بعملها ويتفاعل خطابها بواقعها .

وعندما ينجح الدعاة والداعيات والمبليغين والمبلغات للاسلام في

عملهم ، ويحققون هدفهم الرسالي ، ويسلك الناس طريق الله ، عندها يتحقق النصر الاكبر ، وتنزل الالطاف الالهية ، وهو أمر لا يدركه إلا أهله مقن محض الايمان وتذوق حلاوة وهداية الناس إلى طريق الله ، وهذا كله منوط بالعمل وصدق الكلمة ، وكذلك الأمر في الأثر الخارجي للأعمال والسلوك الرسالي الصادق ، فإذا كانت الأخت المبلغة صادقة ، فسيكون كلامها وعملها واساليبها منتجة في عالم الواقع والخارج ، ويتحقق الهدف المطلوب من التبليغ بأفضل صورة ، ويكون النجاح والنصر حليفها في شتى الميادين . قال امير المؤمنين عليه السلام : « ... فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكتب وأنزل علينا النصر » (٢) .

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥٦.

كما أن التبليغ فن وأسلوب ، وهو بحاجة إلى تعليم ودراسة ، وكذلك بحاجة إلى استعراض ضروريات التبليغ ومستلزماته وفنونه واساليبه ، ولا بد من تهيئة ما يحتاجه التبليغ ، والاحاطة بما يستجد يوماً بعد يوم ، والسعي لامتلاكه وتوظيفه لصالح المهمة التبليغية ، فبعض المسائل الدينية عامة وينبغي ذكرها للجميع وفي المستوى العام ، كالأخلاقيات ومعارف الدين والسياسة التي يحتاج إليها الجميع ، أو المسائل المتعلقة بالنظام والدولة ، أو المسائل الموسمية من قبيل المناسبات ، فعلى الأخت المبلغة ألا تنحصر بزمان أو مكان ، بل ترشد الناس أينما وجدوا في كل فرصة تسنح لها ، وهذا أمر واجب وضروري وملازم لمهمتها التبليغية .

كما أن هذه المسألة لا تختص بصنف من المبلغات ، بل تعم جميع المبلغات في أي موطن وموقع ، كما لا تختص بطبقة أو مكان معين ، إلا أن بعض واساليب التبليغ تتنوع وتتعلق ببعض المواطن دون غيرها ، كالوسط المثقف من المؤمنات وقطاع الشباب والجامعيات ، إذ إن هذه الاوساط لها مفرداتها وخطابها التبليغي الذي قد لا يكون إليه حاجة في أوساط وأماكن أخرى .

تربية وإعداد المبلغات :

إن الخطورة التي تكمن في مهمة التبليغ والدعوة الإسلامية ، تقتضي بذل الجهد والسعي المتواصل لتربية وإعداد المبلغات بمستوى الرسالة ، وحاجات الواقع المعاصر بكل تعقيداته وتطوراته ، فلا بد من بناء أعداد الأخت المبلغة بمستوى يتناسب وأداء مهماتها الرسالية الخطيرة ، وإنجاز واجباتها التبليغية بنجاح وكفاءة ، وعليه لابد من تحقيق ذلك من خلال الوسائل التالية :

١ - مراكز لإعداد وتعليم أساليب التبليغ والعلوم والمعارف الضرورية لدعوة مختلف الشرائح والطبقات إلى الاسلام ، والقدرة على رد الشبهات والجواب على كل التساؤلات التي تطرح ، وهذا العمل منوط بالحوزات الإسلامية العلمية .

٢ - مراكز تدون فيها المواضيع العامة والخاصة ، لتتعلم كل أخت مبلغة على الأقل مادة الخطابة والدعوة التي يجب أن تخاطب بها كل شريحة من شرائح المجتمع والامة .

٣ - بنك للمعلومات عن واقع الشعوب والامم ، وخصوصاً الإسلامية منها ، من النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية وأمثالها ، تكون تحت متناول الدعاة والاخوات المبلغات ، ليتعرفن من خلاله على مستوى وطبيعة المجتمعات التي تستهدفها بالدعوة والتبليغ .

٤ - إصدار صحيفة أو أكثر متخصصة بشؤون وفنون الدعوة والتبليغ ، تقوم بمهمة تحريرها مجموعة من الاخوات الرساليات المؤمنات ، ليتم من خلالها توعية المبلغات ، والدعاة لمهامهم ، والاحاطة بالمستجدات الثقافية والفنية والسياسية والاجتماعية ، للعمل التبليغي في واقع الامم والشعوب المستهدفة بالتبليغ .

عقبات وموانع في طريق التبليغ:

إنّ واقع المرأة المسلمة متخلف عن النظرة الاسلامية ، والواقع الحالي لها ليس نتاج تلك النظرة ، باعتبار أنّ كل الواقع الاجتماعي المعاصر (سياسياً ، واقتصادياً وثقافياً) متخلف عن الاسلام ، وهو ليس نتاج الاسلام ، إضافة إلى عوامل أخرى .

ونحن إذ ندعو المرأة الرسالية إلى ممارسة دورها التبليغي ، كذلك ندعو الرجل إلى اتاحة المجال للمرأة والتعاون معها على هذا الصعيد بما يعود بالفائدة للمجتمع الاسلامي ، إلاّ إن هناك عقبات تعيق المرأة عن اداء دورها التبليغي ، ومن هذه العقبات :

١ - الفهم السلبي للدين ، الذي لا يرى في الاسلام مشروعاً حضارياً كاملاً ، بل مجموعة من العبادات والطقوس تُنظم علاقة الانسان الروحية بالله ، أو في أحسن الحالات تحقق الخلاص الفردي للانسان ، وليس الخلاص الاجتماعي للجماعة البشرية ، وطبيعي أنّ الفهم السلبي للدين هو انعكاس لحالة التخلف التي يعيشها الانسان ، وبخاصة إذا تذكرنا الحقيقة القائلة إن « المدرك لنا من المعاني إنما يُدرك بفهم مكتسب من الحياة الاجتماعية »^(٣) .

(٣) الميزان ٥ : ٣٨٠ .

٢ - التقاليد الاجتماعية البالية ، التي ورثنا بعضها من عصور الجاهلية الاولى ، وورثنا البعض الآخر من عصور التخلف اللاحق ، وهي «الأعراف والأوضاع الاجتماعية التي سببت هذا التخلف للمرأة»^(٤) ، ومشكلة هذه التقاليد أنها مازالت في أحسن حالاتها ، فيما يتعلق بالمرأة ، رغم أنها - أي هذه التقاليد - ضعفت ، وربما اندثرت في مجالات أخرى كثيرة .

(٤) الاسلام يقود الحياة : ٢٢٥ .

٣ - الرجل المتخلف :

ونعني بذلك أن الرجل مازال ممسكاً بزمام الأمور وآليات القرار ، لا في البيت فقط وإنما في باقي مرافق ومفاصل المجتمع ، والرجل المتخلف ينظر - عادةً - إلى المرأة نظرة سلبية ممزوجة باعتبار المرأة موضوعاً

(٥) مسألة المرأة في نصابها
الاسلامي: ١٢١.

للمتاع الجنسي ، ولذا فهو يجد صعوبة في خروج المرأة من تحت سلطته ، وصعوبة في تقبل الحقيقة الاسلامية القائلة بأنه «ليس للرجل سيطرة على المرأة بشكل مطلق»^(٥).

٤ - المرأة المتخلفة :

ولعل هذا العامل أشد العوامل إعاقة لإداء المرأة دورها التبليغي ، إذ كيف تستطيع امرأة متخلفة في الوعي والثقافة والسلوك أن تمارس دورها؟ المرأة المتخلفة هي أفضل وسط لممارسة الرجل سلطته المطلقة وانفراده في القرار الاجتماعي ، وأفضل وسط لتوريث التخلف .

٥ - الحضارة المادية المعاصرة :

ذلك أن هذه الحضارة ، بشقيها الماركسي والرأسمالي ، تحمل تصورات وممارسات خاطئة بل مدمرة بالنسبة للمرأة . والمؤسف أن قطاعات كثيرة من بناتنا ونسائنا وقعن في أسر هذه الحضارة ، الأمر الذي يعيق ممارستهن لدورهن الانساني ، ويقف عقبة في طريق دعوتهن وارشادهن للاسلام ، وتقبلهن للتبليغ الرسالي الهادف .

٦ - النظرة الضيقة للمرأة :

إن هناك مشكلة معقدة في ذهنية الكثيرين من الناس من اسلاميين وغيرهم ، تشكل إحدى العقبات البارزة في طريق التبليغ النسوي ، وهي أنهم ينظرون إلى المرأة كما لو كانت كائنًا جنسيًا ينفث على الحياة من موقع الانفعال الجنسي في طبيعته الغريزية ، وبذلك تختصر حياتها في هذه الدائرة ، على مستوى الالتزامات الاخلاقية والعلاقات الاجتماعية والنوازع الذاتية ، فلا مجال عندهم لأي تصور ينطلق بالمرأة نحو الابعاد الانسانية الواسعة ، باعتبارها إنساناً يمتلك طاقات فاعلة يمكن أن تمنح الحياة فكراً وحركة وانطلاقاً في عملية الابداع . وربما نجد البعض يسخر من هذه الفكرة ويعتبرها نوعاً من أنواع المزاح ، أو التفكير الخيالي الذي لا يملك أي امكانات واقعية للحياة .

ويتفق الكثيرون الآن على أن أوضاع المرأة الثقافية والقانونية والسياسية ، في أقاليم العالم الاسلامي اجمالاً ، هي دون المستوى المطلوب ، بل دون مستوى الرجل بدرجة كبيرة ، وكأن في الأمر نوعاً من التمييز على اساس الجنس ، بل إن اضطهاد المرأة صار أحد معالم الحياة العامة في أغلب أوساط مجتمعاتنا ، إلا أن الثورة الاسلامية الكبرى في ايران أحدثت منعطفاً كبيراً ، وأوجدت صحوة واسعة أعادت فيها للمرأة المسلمة موقعها الرفيع الذي وضعها الاسلام فيه .

موقع المرأة في المهمة التبليغية :

إن للمرأة موقعاً مهماً ومتميزاً يمكن ملاحظته من خلال دائرتين :

أولاً : الدائرة العامة .

قال الله تعالى في محكم كتابه : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (٦) .

(٦) التوبة : ٧١ .

إن الاسلام يعتبر تحصيل العلم واكتساب المعرفة فريضة من الفرائض ، وواجباً من الواجبات المؤكدة ، وهذه التأكيدات تشمل المرأة والرجل معاً ، والأدلة مطلقة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدفاع عن الاسلام وعن مقدسات الدين ، والدعوة إلى الاسلام والعمل لنشره ، ومكافحة الظلم والعدوان والدفاع عن المحرومين والمظلومين ، والتعاون في أعمال البر والاحسان ومساعدة الضعفاء والمساكين ، ومكافحة الفساد الاخلاقي والدفاع عن القيم الاسلامية ، وتقوية ودعم الحكومة الاسلامية العادلة ، فكما أن هذه تكاليف موجهة للرجل ، هي أيضاً تكاليف موجهة للمرأة .

ثانياً : الدائرة الخاصة .

هذه الدائرة تلاحظ المرأة لما تملكه من خصوصيات لا توجد في الرجل ،

ومن أهمها :

١ - خصوصية المرأة في إثارة عواطف المجتمع ، فبإمكان المرأة إثارة الجو السياسي في المجتمع بطريقة خاصة وغير مباشرة ، وذلك ببث الوعي والحركة في النساء لخلق أجواء تعبوية تستنهض الرجال ، وتسد حركتهم الرسالية ، مما يخلق في المجتمع مناخاً مسهلاً لعملية التغيير ، والأمر نفسه يمكن ممارسته على مستوى الثقيف الديني والسياسي ، حيث يجب عليها تعلم الاصول والاحكام المبثلى بها ، ويحسن اطلاعها على ما يزيد عن ذلك ، بل يستحب نشر وتعليم ما اكتسبت من علوم وفكر وثقافة ، ومن المسائل المتسالم عليها أن تصل المرأة إلى مرحلة الاجتهاد ، والعمل باجتهادها الخاص .

وهناك مصداق عملي يجسد دور المرأة في تقرير مصيرها السياسي ، وعلان التزامها بقرارات القيادة الاسلامية ، وهو ما يروى عن مبايعة النساء للرسول ﷺ تاريخياً ، فضلاً عما ذكره القرآن الكريم من حقهن في اعلان البيعة والالتزام بمبادئ الاسلام الاخلاقية والعقائدية ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا یشرکن بالله شیئاً ولا یسرقن ولا یزنین ولا یقتلن أولادهن ولا یأتین ببہتان یفتريه بین أيديهن وأرجلھن ولا یعصینک فی معروف فبایعنھن واستغفر لھن اللہ إن اللہ غفور رحیم﴾ (٧).

(٧) الممتحنة : ١٢ .

٢ - خصوصياتها زوجة وأماً ، فهي القلب العطوف الذي يفيض بمشاعر الودّ والرحمة والسكينة . ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (٨).

(٨) الروم : ٢١ .

فهي مصدر السكينة والطمأنينة والاستقرار النفسي بالنسبة للرجل ، وهي مركز الاجتماع والالتقاء الذي يحمي الابناء من الضياع والتشريد ، وهي منبع الودّ والرحمة لكل من الزوج والابناء ، فهي مسؤولة عن رعاية ابنائها وتربيتهم تربية توجيهية صالحة ، فدورها في البيت هو دور المعلم والمربي والموجه .

أما تطوعها في الخدمة والحضانة والرضاعة فذاك عمل يحبه الله سبحانه ويؤجرها عليه ، بل يحثها الاسلام على التطوع بمثل هذه الاعمال

ويدعوها إليها ، من غير إلزام ولا إكراه ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ينبغي عليها المساهمة في تنقية وتطوير الرجل على المستويين الفكري والعملية ، فلا تصنع المعوقات بتحويل الجو المنزلي إلى جو غير ملائم ، أو إغراقه بالتفاصيل والاحتياجات الكمالية ، لأن ذلك يؤدي في نهاية المطاف إلى الخلل الكامل في البناء الأسري وحياة الطرفين ، ومن ثم انهيار بناء المجتمع ، فالعائلة هي خلية البناء الأساسية في هيكل المجتمع ، وهي تقوم على أسس فطرية تكوينية ونظام متقن ، فهي حاجة لا يستغني الفرد والمجتمع عنها ، وإن هدم العائلة معناه هدم القانون الطبيعي للحياة الاجتماعية ، فالإنسان بطبيعته يحتاج إلى الأُنس بالآخرين والاجتماع معهم ، وإن بين الرجل والمرأة عملية تكامل نفسي ، هي غير الاشباع الغريزي ، يسبب فقدانها الشعور بالوحشة ، والاحساس بالقلق والتوتر ، والالام النفسي ، عند كل واحد منهما ، ولا يمكن التعبير عن هذه المشاعر ، مشاعر الحب والشوق إلى الجنس الآخر ، والتخلص من الآثار النفسية المؤلمة عن طريق الاشباع الغريزي وحده ، كما تصوّر المفاهيم المادية والنظريات الإباحية ذلك .

وقد صوّر القرآن الكريم هذه الاسس النفسية ، والدواعي الفطرية لبناء العائلة بقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ (٩) .

(٩) الاعراف : ١٨٩ .

٣ - دورها التربوي الخاص في التعليم المدرسي ، فالمدرسة هي الجو العائلي الكبير بعد الاسرة ، وقد ناقست الأسرة في كثرة الارتباط بها والتماس معها ، إلا أن للمدرسة وظيفة تعليمية وتربوية أكثر عمومية من الوظيفة التربوية للعائلة ، فهي تؤثر على الطفل وتساهم في شيء من بنائه التربوي ، ولو بوصفها جزءاً من المحيط الذي لا بد أن يتأثر به الإنسان مهما كان سنه ، إلا أنها تحتاج إلى تعاضد وتظافر مجموعة من المتخصصات بالتربية والتعليم لتحقيق وتكامل العملية التربوية ، ولتكمل المدرسة دور

العائلة في بناء النشء الاسلامي الرسالي ، ولا يمكن تصور أن المدرسة هي البديل عن الأسرة ، ولا الاكتفاء بالأسرة وإهمال المدرسة بحجة اقتصار وظيفتها على التعليم ، فهما معاً تتكامل مهمة التربية والارشاد والتعليم الاسلامي .

٤ - دور المرأة في التعبئة والبناء السياسي والاجتماعي النسوي ، فلا شك أن للمرأة دوراً رئيسياً واساسياً في إنشاء التجمعات النسوية ، والسير بها نحو أهدافها الرسالية ، ولا نرى عائقاً أمام قيام المرأة بدورها في هذا السبيل ، وممارسة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار مجتمع المرأة ، ويتأكد هذا الأمر إذا أدركنا أن عالم المرأة عالم واسع يحتاج إلى من يقوم بتبعاته ، خصوصاً وأن بعض الجوانب هي من اختصاص المرأة ، ولا يمكن أن تقتصر فيها على دور الرجل فقط ، بل لابد من دور للمرأة حتى لو استوجب ذلك خروجها متظاهرة رافعة صوتها بنداء الحق والعدل ، وخير دليل على ذلك الاسلوب الذي استخدمته الزهراء (عليها السلام) بعد السقيفة ، حيث يروى أنه اجتمع عندها نساء المهاجرين والانصار ، فقلن لها : « يا بنت رسول الله كيف أصبحت عن عتق ؟ » (١٠) ، فقلت لهن خطبتها المشهورة التي أثارت فيها موقفها السياسي والشرعي (١١) ، الأمر الذي دفع بالنساء إلى إعادة قولها على رجالهن : « فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والانصار معتذرين ، وقالوا : يا سيدة النساء ، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ، ونحكم بالعقد ، لما عدلنا عنه إلى غيره ، فقالت (عليها السلام) : إيكم عني ، فلا عذر بعد تعذيركم ، ولا أمر بعد تقصيركم » (١٢) .

والأمر نفسه يمكن ممارسته على مستوى التقفيف الديني والسياسي ، وقد روي أن امرأة جاءت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت : « يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً تأتلك فيه تعلمنا مما علمك الله ؟ قال : اجتمعن يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا ، فاجتمعن فأتاهن النبي (صلى الله عليه وآله) ، فعلمهن مما علمه الله » (١٣) .

(١٠) البحار ٤٣ : ١٥٧ - ١٥٨ .

(١١) م . ن : ١٥٨ .

(١٢) م . ن : ١٦١ .

(١٣) ميزان الحكمة ٩ : ٩٧ . عن

الترغيب ٢ : ٧٦ .

٥ - دور المرأة في مواجهة الانحرافات والتشويه الهادف لوضع المرأة في غير موضعها الرسالي .

يحدثنا التاريخ عن صور مأساوية ، وطبيعة وحشية أساءت لقانون الحياة ، وحادت عن نظام الطبيعة والفطرة البشرية ، ووضعت المرأة في مواضع لا تتناسب ووضعها الانساني في بيئة الحياة ، فاضطربت نتيجة لهذا الفهم الخاطئ موازنة الحياة الاجتماعية ، واختلت معادلة العلاقة الانسانية بين الرجل والمرأة ، وصارت المرأة تعاني من شقاء المجتمع وسوء معاملة الرجل لها ، ووحشية القانون أشد المعاناة بدءاً بأقدم العصور وانتهاءً بالحضارة المادية الحديثة ، فكل تلك الحضارات والقوانين - إلا ما ندر - تعتبر المرأة سلعة من سلع الحياة ، وأداة من أدوات المتعة ، وأسيرة لا تملك من أمرها شيئاً ، ومخلوقاً لا يتمتع بالخصائص الانسانية التي يتمتع بها الرجل ، بل اعتبرت المرأة مصدراً للشرور في هذا العالم ، وسبباً للخطيئة ، ورجساً يجب التطهر منه . أما صورة الانحراف والتشويه التي يُنظر إلى المرأة من خلالها في واقع الحضارة المادية الزائفة هذه ، فهي استخدام المرأة في مجال المنافع المادية الرخيصة ، وخصوصاً في المجتمع العلماني اللاديني ، حيث ينظر إليها من :

أ - زاوية المنافع والذائدات المادية ، وهذا الاتجاه يعبر عن طبيعة المفهوم الأخلاقي المادي للذة والجنس والاستمتاع والتعامل الغريزي ، الذي رفعته الحضارة الاوربية المادية ضد أوضاع المرأة ، ومفهوم الجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة ، في مجتمعنا التي خُطط للحياة والعلاقات الاجتماعية فيها بوحى من افكار الكنيسة المتحجرة وبقايا الفكر اليهودي المنحرف ، فقد أبيحت كل الممارسات ، وصور التعبير الجنسي مهما توغلت في الشذوذ والانحراف ، حتى إن بعض القوانين الاوربية إباحت الشذوذ الجنسي ، ولم تعتبره مخالفة أو جريمة يعاقب فاعلها ، وهكذا انتهت أوربا بفلسفتها ونظرياتها وممارساتها في شأن المرأة والجنس إلى كارثة تهدد

كيان حضارتها ونظام الحياة فيها .

ب - استخدامها في مجال الدعاية الاقتصادية والتجارية الرخيصة ، ففي أوائل القرن التاسع عشر ، عندما تقدموا صناعياً ، وفتح الرأسماليون الغربيون مصانع كثيرة ، كانوا بحاجة إلى عمال بأجور زهيدة لا يثيرون العناء ، ولذا رفعوا ضجة حول المرأة من أجل سحبها من الأسرة إلى المصانع ، والاستفادة منها باعتبارها عاملاً زهيد الأجر ، وبذلك أسقطوا كرامتها ومنزلتها ، وأصبحت سلعة مثل السلع المعروضة في السوق ، دون النظر إلى عفتها ونزاهتها وحيائها وكرامتها ؛ بل جعلوها سلعة لكي يستثمروا انوثتها في الاثارة والدعاية التجارية الرخيصة ، وهذا الأمر أدّى إلى أن يهمل دورها التربوي في بناء جيل رسالي مثقف ونظيف ، يعي مسؤوليته ومشكلته الانسانية ، وقد أكد ذلك الكاتب الانكليزي جورج اسكات في كتابه الشهير تاريخ الفحشاء : «إن من الاسباب التي قوّضت الخلق والادب في انكلترا ، هو تدهور المرأة واشتغالها بالفسق والفجور والعهر» .

في حين نجد أن الدين الاسلامي يأبى ذلك ؛ لان العفة والطهر اللذين أوجبهما ديننا يُنزهانا من السقوط في مستنقع الفسق والفجور ، ولهذا حرّم الاسلام كل عمل يقتدرن بهدر الكرامة والشرف والعفة الاسلامية .

وهذه المسألة تشكل زاوية مهمة يجب أن تأخذها الاخت المبلغة بعين الاعتبار ، وتؤكد عليها ؛ لأن الاسلام بحاجة إلى إنشاء مجتمع فاضل بعيد عن كل الاهواء والميول الفاسدة ، والانحطاط الخلقي والنفسي ، لتستعيد الحضارة الاسلامية تراثها المجيد .

٦ - دورها الانساني الذاتي في مجالاتها الخاصة بها ، يجب أن نفكر بضرورة تنمية هذا العمق الانساني الذاتي في المرأة ، وذلك بالتخطيط لبناء شخصيتها على اساس تقوية الطاقة العقلية لديها بالتجربة الحية ، والمعرفة الواسعة ، والعمل لبث طاقاتها في القضايا الانسانية الكبرى ، في

إطار المسؤولية الشاملة لمجمل قضايا الحياة ، لتؤكد نجاحها في هذه الدائرة ، فإن مسألة النمو العقلي والعلمي والحركي في شخصيتها الانسانية ، ليست شيئاً بعيداً عن طبيعة الاشياء في وجودها ، فيما لاحظناه من النتائج الايجابية الكبرى في أكثر من صعيد ، وفي أكثر من أفق ، مما يوحي بأن ما تعيشه المرأة من ضعف وما تعانيه من تخلف ليس هو القضاء والقدر الذي لا بد منه في حياتها ، بل هو نتيجة الاهمال الكبير لعناصر القوة والوعي في تربية شخصيتها وبناء وجودها ، كما في الرجل الضعيف في فكره والمتخلف في وعيه وحركة حياته ، فإن ذلك ليس ناشئاً عن طبيعته في الذات في هذه المنطقة أو تلك ، بل هو ناشئ من تقصير في تهيئة عوامل التقدم والقوة في الظروف المحيطة به .

المرأة في الواجهة الاعلامية من الصراع الحضاري :

تحتل المرأة اليوم موقعاً محورياً من مواقع الصراع الحضاري بين الاسلام والمادية العلمانية بكل صورها وتشكيلاتها ، خصوصاً بعد أن اكتسحت الصحوة الاسلامية أغلب شعوب العالم وبقاعه ، ببركات الثورة الاسلامية الرائدة التي قادها الامام الراحل الخميني الكبير رحمه الله ، بل أصبحت المرأة وقضاياها مفردة اساسية من مفردات الهجمة الثقافية المضادة التي يقودها المعسكر المادي العلماني لمواجهة المد الاسلامي ، الذي توغل إلى عقر دار الكفر ، وأخذ يهدد ثقافته وحضارته المزعومة بالانهيار . وفي مقدمة هذه القضايا :

أولاً: الحجاب الاسلامي

من متبنيات الرسالة الاسلامية في قضية المرأة ، مسألة الحجاب التي يعني العمل بمقتضاها صيانة المرأة ، فكساء المرأة من وجهة النظر الاسلامية يجب أن يشمل تمام جسمها دون الكفين والوجه ، وهذه المسألة لم ترد اعتباطاً ، وإنما اعتمدتها الصيغة الاسلامية لدنيا المرأة في كافة

مرتكزاتها وأطرها الفكرية ، فالحجاب أمر مفروغ عنه بالنسبة للمرأة المسلمة ، إذ إن مسألة الحجاب قد وردت طرْحاً قرآنياً محكماً لا يسمح لما يتمتع به من قوة ووضوح ، بصرفه عن مقاصده وأبعاده .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدین زينتهن إلا لبعولتهن أو آباءهن أو أبناءهن أو أخواتهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن لئعلم ما یخفین من زینتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿ (١٤) .

(١٤) النور : ٣٠ - ٣١ .

هذا النص القرآني يُجسد بشكل قاطع أن إبداء مواضع زينة المرأة لا يصح إلا لمحارمها الذين اشارت الآية الكريمة لهم .

إن العفة والشرف والخلق المستقيم صفات يجب أن يتصف بها المجتمع الاسلامي ، كاجراء تنظيمي ذي طابع استراتيجي لا بد منه في نظر الرسالة الاسلامية ، وإن أي تعارض مع هذه الاستراتيجية يعتبر أمراً مرفوضاً .

وعلى ضوء هذا المرتكز الحي راحت الشريعة الاسلامية تضع الاجراءات الكفيلة لاستمرارية هذه الروح ، وسرياتها وديمومتها في دنيا الانسان المسلم .

ومن هنا كان الزام الرجل أن يغض بصره عن النساء من غير المحارم ، والزام المرأة بالحجاب ، خلفية اساسية لبناء المجتمع السعيد المؤطر بالةفة والنبل والطهر ، إلا أن المرأة المسلمة تواجه تحديات ثقافية وسياسية واجتماعية في اطار التزامها بالحجاب الاسلامي ، ففي الغرب يُدعى أن الحجاب الشرعي لا يعتبر رمزاً للإيمان ، بل رمز أصولي يتحدث

الثقافة الغربية ، ويدّعي المسؤولون هناك أن التراث الديني لا يعرف هذا الحجاب في شكله القسري الحالي ، بل هو مستورد من إيران .
إن هذه المقولات المسعورة التي لا تتسم بأدنى منطق علمي وأخلاقي ، لا تُفسر بغير الحقد المتعاضم على الاسلام .

وإذا اردنا أن نسلط المزيد من الضوء على صور الحقد الغربي على الاسلام ، وخصوصاً في مواجهة الحجاب الاسلامي باعتباره شعار تحدّ لثقافتهم الإباحية الرخيصة ، فلنتناول ما حدث في فرنسا مثلاً ، فبعد مضايقات وصخب وضجيج إعلامي ضد الحجاب الاسلامي الذي التزمت به الفتيات المسلمات في المدارس الفرنسية ، أصدرت وزارة التربية الفرنسية قراراً بمنع الطالبات المحجبات من الدراسة في المدارس الثانوية ، وأمر مديري المدارس بالالتزام به ، مما ترتب عليه حرمان المئات من الفتيات المسلمات من دخول المدارس لالتزامهن بالزي الاسلامي الشرعي ، رغم علم السلطات الفرنسية أنه أمر تعبدي ديني تحتمه الشريعة الاسلامية وتأمر به ، وأن منع المسلمات المحجبات من دخول المدارس وحرمانهن من حق التعليم ، يعنيان إلغاء حرية المسلمين في الالتزام بدينهم داخل هذا البلد ، والتضييق على المسلمين الموجودين هناك ، والبالغ عددهم حوالي اربعة ملايين مسلم . ولم تقتصر هذه المواجهة العلمانية للحجاب الاسلامي على الغرب ، بل عمل بها بعض دول الشرق الاسلامي السائرة في ركاب الثقافة الغربية ، ومنها القرار الذي أصدرته الحكومة المصرية بمنع الحجاب في المدارس ، ومعاقبة مرتدياته بالحرمان من دخول المدارس ومواصلة التعليم ، إلا أن رد الفعل الاسلامي الصارم تجاه هذا القرار اضطر وزارة التعليم المصرية للتراجع عن قرارها هذا .

هذه الوقائع وأمثالها تبرز لنا حقيقة هي أن الحجاب الاسلامي أصبح شعاراً بليغاً يرافق مهمة المرأة الداعية ، ويشكل جزءاً موضوعياً من مهمة التبليغ النسوي ، لا على مستوى الطرح الثقافي العلمي فقط بل على مستوى

الرمز والحكاية والشعار، وهذا ما يجعل للمرأة المسلمة دوراً أوسع، وأكبر في المهمة التبليغية للإسلام.

ثانياً: المساواة بين المرأة والرجل

تطرح هذه المسألة عادةً في مجالين رئيسيين ، هما الإرث وقيام الرجل على المرأة ، ولابد لنا هنا من الإشارة إلى المضمون الشرعي لهاتين المسألتين :

أ - فيما يتعلق بالإرث قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَىٰ﴾ (١٥).

وهذا لا يعني الدونية في انسانية المرأة من حيث المستوى ، بل كل ما تدل عليه هو طبيعة حركة توزيع الثروة تبعاً للمسؤوليات التي يتحملها الورثة في الوضع الاقتصادي في التشريع الاسلامي ، حيث حمّل الرجل مسؤولية الانفاق على البيت الزوجي ، بالاضافة إلى المهر ، بما لم يُحمّله المرأة ، مما اقتضى نوعاً من التوازن في تحديد حصة الرجل ، وهذا ما نلاحظه في مفردات الحصص التي قد تعلق فيها حصة الابناء على الآباء ، مما لا نستطيع مطلقاً اعتباره تفضيلاً للأبناء على الآباء في القيمة الانسانية في التشريع .

وهنا يتساءل البعض لماذا لا تعامل المرأة في مسألة الإرث كما يعامل الرجل؟

والجواب أن الشريعة الإسلامية تتبنى خطأ عاماً في قانون الميراث ، وهي إنما تنطلق من اعتبارات فنية ليس غير ، تقتضيها مصلحة المجتمع الإسلامي الكبير ، فالرجل في منطق الرسالة الإسلامية ملزم بتوفير متطلبات العيش للمرأة ، سواء كانت المرأة أماً أو أختاً أو زوجة ؛ لأن المرأة مكلفة بالأخذ لا العطاء ، فليس من مهمتها من الوجهة الإسلامية أن تنفق على الرجل ، وإنما الاتفاق يخص الرجل دونها ، ولتحقيق بعض التسهيلات للرجل في مهمته الانفاقية على المرأة ومطالبها الحيوية ، مُنح تفضيلاً عليها

في هذا المجال بحكم تلك المهمة .

ب - وفيما يتعلق بقيام الرجل على المرأة قال الله تعالى : ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ (١٦).

(١٦) النساء : ٣٤ .

فهذا النص القرآني يشير بقوة ووضوح إلى أن الاجراء الذي يتخذه الاسلام في إطار الاسرة ، إنما يجري لاعتبارات بيولوجية أو فنية أو كليهما معاً ، تفسر قيام الرجل على المرأة في إطار الاسرة .

١ - الجانب التكويني :

وقد عبّر عنه القرآن الكريم بقوله : ﴿بما فضل الله﴾ ، فالرجل بناء على تركيبه البيولوجي اتسم بالخشونة والشدة والتأثير وحسن الادارة ، مما لم يعهد في العنصر النسوي الذي تطبعه الرقة والعطف وسرعة الانفعال واللين ، وهذا لا يدل على قصور المرأة ، ولكي تنهض بدورها الطبيعي في تربية الاطفال ورعايتهم ، لابد من تمتعها بصفات بيولوجية وعاطفية خاصة .

٢ - مسألة الاتفاق :

﴿وبما أنفقوا من اموالهم﴾ (١٧) جانب آخر في بيان التفسير الحيوي السليم لمبدأ قيام الرجل .

(١٧) النساء : ٣٤ .

وإذا كان بعض الناس يرى أن القيام في الآية عام لجميع الامور ، فإننا لا نرى ذلك مفهوماً من الآية التي يوحي نفسها العام بالحديث عن البيت الزوجي ، وذلك من خلال التفريع الذي لا يعتبر مجرد تفريع جزئي لأمر عام شامل ، بل يمثل - بحسب الظهور العرفي - تفريعاً ذا دلالة على نطاق الشمول في الحكم ، ولولا ذلك لكان الحديث عن القضاء والحكم والجهاد ، أولى من الحديث عن فرض النظام في البيت .

لقد تمثل التنظيم للحياة الزوجية نوعاً من أنواع التنظيم الذي جعل الرجل قائماً على شؤون المرأة ، من خلال مسؤوليته المالية عن البيت

الزوجي ، ومن خلال بعض الخصائص الذاتية التي يتميز بها الرجل ، بالمستوى الذي قد يجعل قدرته على مواجهة الموقف أكثر من قدرة المرأة في خصوصيات الحياة الزوجية ، أو الحاجات الذاتية الخاصة ، وليس من الضروري أن تكون المسألة اختلافاً في مستوى انسانية المرأة بالقياس إلى انسانية الرجل في إطار العقل والحكم والبصيرة ووعي الامور ، ومن خلال العناصر الطبيعية للشخصية في امكاناتها الخاصة .

وهذه المسألة هي الأخرى جعل منها الغرب واتباعه حربه لمواجهة الدعوة الاسلامية وثقافتها ، إذ ضرب على وترها الحساس ، مما يعطي للمرأة الداعية والمبجلة خصوصية وامتيازاً عن الرجل في المواجهة الحضارية من خلال هذه المسألة ، والدليل على هذه الخصوصية هو الأثر الكبير الذي أحدثته المرأة المسلمة في مهمتها التبليغية في الاوساط الأوروبية ، فقد كشف النقاب أخيراً عن اعتناق آلاف البريطانيات للإسلام وحدد الرقم بعشرة آلاف امرأة خلال العقد الأخير ، الأمر الذي أثار دعاة ما يسمى بتحرر المرأة والجمعيات النسائية في بريطانيا ، علماً أن أغلب النسوة اللاتي اعتنقن الاسلام هنّ من صفوة المجتمع البريطاني بالمعنى الأكاديمي ، فهن نساء متعلّمات وعلى درجة كبيرة من الوعي ، أغلبهن طبيبات ومحاميات ومحاضرات في الجامعات .

وقد أجمعت آراء اللاتي اعتنقن الاسلام على أن المكانة المحترمة للمرأة في الاسلام ، بالإضافة إلى عدالته وتحديده الواضح للحقوق والواجبات ، وتحديد العلاقة بين الرجل والمرأة ، من أهم العوامل التي جذبتهم إلى الاسلام . هذا في الوقت الذي تظهر فيه بريطانيا عداها للإسلام صريحاً على مستوى سياستها الداخلية والخارجية ، وتدعم الحكومات الأخرى سياسياً وإعلامياً واقتصادياً لمواجهة عوامل الصحوة الاسلامية العالمية ، وتركز دعمها للأصوات النسائية المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء ، وتذهب إلى أبعد من هذه الحدود فتطالب بحق المرأة في تعدد

الازواج، إلا أن الانحطاط المريع أفقد هذه الدعوات مصداقيتها، وخصوصاً في قضية الأخلاق وآداب التعامل التي باتت من أهم المشاكل والقضايا للمجتمع الغربي عموماً، والبريطاني على وجه الخصوص، وذلك بعد تزايد أعداد الأطفال غير الشرعيين الذين تجاوزت أرقامهم في بريطانيا وحدها حافة المليونين، وكذلك جرائم الاغتصاب واعتبار المرأة سلعة كمالية دون مشاعر انسانية حين التعامل معها. وليس دول الغرب وخصوصاً أميركا بأفضل حالاً من بريطانيا.

المرأة والتجربة الاسلامية في ايران:

إن المرأة في بلد الثورة الاسلامية الرائدة في ايران، تُمثل اليوم موقعها في هذه التجربة المباركة، وتؤدي دورها بشكل يؤثر الاعجاب، ويُقرب صورة دور المرأة الحقيقي في التجربة الاسلامية لذهنية الانسان المعاصر في المنطقة وفي العالم أجمع، فمشاركة المرأة في أحداث الثورة الاسلامية وفي الكفاح من أجل الانعتاق الذي لم يشهد له التاريخ المعاصر مثيلاً، كان دوراً لا يختلف عن دور الرجل مساحة وحجماً وفاعلية.

نزلت المرأة إلى الساحة بحرية وعزم ونشاط وسعادة، فأصبحت معلمة، وطبيبة، ومهندسة، ومستشارة، ومتخصصة، وفلاحة، مع كونها أمّاً وزوجة، في الوقت الذي حافظت فيه على طهرها وحجابها وشخصيتها. فالمرأة المسلمة في ايران منحت حق انتخاب رئيس الجمهورية، وممثل المجلس، والمشاركة في ترشيح نفسها لتمثيل الرجال والنساء من أبناء مدينتها في مجلس الشورى الاسلامي، حتى قال عنها مؤسس الجمهورية الاسلامية الامام الخميني (عليه السلام): «إن للنساء حق التدخل في السياسة، وهذا هو واجبهن».

سمعت المرأة صوت هذا القائد العظيم، فانبرت تهتم بالسياسة وشؤون الحكومة، فدخلت مجلس الشورى الاسلامي نساء عديدات (تسع نساء في الدورة الاولى)، واصبح لرئيس الجمهورية، ولكبار قادة البلاد،

مستشارات في شؤون النساء ، ورياضة النساء ، وشاركت في المؤتمرات المحلية والاقليمية والعالمية فيما يتعلق بشؤون المرأة وفي مختلف الاختصاصات الأخرى ، كما دخلت المرأة المسلمة بشكل واسع في المؤسسة العلمية في البلاد ، فأصبحت طبيبة ، وممرضة ، ومعاونة طبيب ، وجراحة ، ومتخصصة في مختلف المجالات العلمية ، وكذلك ملأت المرأة المسلمة في ايران قاعات وصفوف الدراسة في الجامعات ، أو في المراحل الدراسية الأخرى طالبة ومدرسة ، وفتحت لها الباب واسعاً ، لكنها لم تترك مجالها الأول وهو البيت ، بل وفقت بينه وبين نشاطها خارج البيت ، فكانت أما رؤفاً في داخله ، وعضواً فعالاً في خارجه ، تساهم في تثبيت أسس وقواعد هذا المجتمع الاسلامي الفتى ، الذي سوف يحتضن اولادها في المستقبل .

إن المرأة المسلمة في المجتمع الاسلامي الحديث في الجمهورية الاسلامية في ايران ، تتمتع بحقوقها كاملة وبصورة متوازنة لا نظير لها ، كما تعامل بعناية واهتمام خاصين من قبل المسؤولين ، ويتم تشجيعها على دخول كل حقول الحياة العلمية والعملية .

خاتمة :

لقد كانت قضية المرأة وتعامل المجتمعات معها مطروحة منذ العهود القديمة ، بين المجتمعات والحضارات المختلفة ، وبين المفكرين وفي أخلاق وتقاليد الامم والشعوب المختلفة ، فنصف سكان العالم هم من النساء ، وقوام الحياة مرتبط بالنساء بالقدر الذي يرتبط بالرجال ، والنساء يتحملن أعظم أعمال الخلق ، كالانجاب وتربية الاطفال وأعمال رئيسية أخرى ، فقضية المرأة قضية مهمة جداً ، وقد اتخذ الاسلام موقفاً بارزاً منها ، وتصدياً للافراط والتفريط ، ووجه تحذيراً إلى جميع الناس ، وتصدياً للرجال والافكار والعادات التي كانت تستغل المرأة وتعرضها للأذى أو التحقير ، فجعل المرأة في موضعها الحقيقي ، بل جعلها في بعض الموارد

اهل البيت في روايات الصواب



ناصر الباقري



قال أبو عبد الرحمن السلمي: «أتيت الحسن بن علي عليه السلام في دار أبيه، وكان يقرأ عليّ، وذلك في اليوم الذي قتل فيه علي عليه السلام، فقال لي إنه سمع أباه في تلك السحر يقول له: يا بني، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الليلة في نومة نمتها، فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيت من أمك من الأود واللد؟^(١) فقال: ادع الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني، ثم انتبه وجاء مؤذنه يؤذنه بالصلاة، فخرج فاعتوره الرجلان، فأما أحدهما فوقع ضربته في الطاق، وأما الآخر فضربه في رأسه، وذلك في صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان صبيحة بدر»^(٢).

وذكره المحب الطبري أيضاً في الرياض النضرة (ج ٢ ص ٢٤٥) عن الحسن البصري، وقال: «أخرجه أبو عمرو والقلي».

عن عاصم بن ضمرة قال: «خطب الحسن بن علي عليه السلام حين قتل علي عليه السلام، فقال: يا أهل العراق، لقد كان فيكم بين أظهركم رجل قتل الليلة وأصيب اليوم لم يسبقه الأولون يعلم، ولا يدركه الآخرون. كان النبي صلى الله عليه وآله إذا بعثه في سرية كان جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه»^(٣).

عن هبيرة بن يريم قال: «سمعت الحسن عليه السلام قام خطيباً فخطب الناس

(١) الأود التعب والمشقة،
واللد الخصومة الشديدة.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر
٤٧٠:٢.

(٣) كنز العمال ٤١٢:٦. وقال:
«أخرجه ابن أبي شيبه».

فقال : يا أيها الناس ، لقد فارقم امس رجل ما سبقه الاولون ، ولا يدركه الآخرون ، ولقد كان رسول الله ﷺ يبعثه البعث فيعطيه الراية ، فما يرجع حتى يفتح الله عليه ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبعمئة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً ،^(٤) .

عن أبي الطفيل قال : « خطبنا الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر أمير المؤمنين عليه السلام خاتم الارصياء ، ووصي الانبياء ، وأمين الصديقين والشهداء ، ثم قال : يا أيها الناس ، لقد فارقم رجل ما سبقه الاولون ، ولا يدركه الآخرون . لقد كان رسول الله ﷺ يبعثه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، فما يرجع حتى يفتح الله عليه ، ولقد قبضه الله في الليلة التي قبض فيها وصي موسى ، وعرج بروحه في الليلة التي عرج فيها بروح عيسى بن مريم عليه السلام ، وفي الليلة التي أنزل الله عز وجل فيها الفرقان . والله ما ترك ذهباً ولا فضة ، وما في بيت ماله إلا سبعمئة وخمسون درهماً فضلت من عطائه ، وأراد أن يشتري بها خادماً لأم كلثوم » (الحديث)^(٥) .

عن زيد بن الحسن عليه السلام قال : « خطب الحسن عليه السلام الناس حين قتل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون ولا يدركه الآخرون ، وقد كان رسول الله ﷺ يبعثه رايته فيقاتل جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، فما يرجع حتى يفتح الله عليه ، ولا ترك على وجه الارض صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله » (الحديث)^(٦) .

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : « قال رسول الله ﷺ : من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله أدخله الله نار جهنم خالداً فيها وله عذاب مقيم »^(٧) . عن الحسن بن علي رضي الله عنهما : « أقسم بالله لو أن الناس سمعوا قول الله وقول رسوله لأعطتهم السماء قطرها ، والارض بركتها ، ولما اختلف في هذه الأمة سيفان ، وما طمعت فيها يا معاوية : ولكن لما أخرجت سالفاً عن معدنها ، وزحزحت عن قواعدها ، تنازعها قريش بينها ، وترامت اكرامي الكرة (إلى أن قال) وقد سمعت هذه الأمة قول

(٤) كنز العمال ٤١٢:٦ . وقال : « أخرجه ابن أبي شيبه ، وأحمد بن حنبل في مسنده ، وأبو نعيم ، وابن عساکر ، قال وأورده ابن جرير من طريق الحسن والحسين (عليهما السلام) » .

(٥) مجمع الزوائد للهيتمي ١٤٦:٩ . وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ، وأبو يعلى باختصار ، والبيهقي بنحوه ، ورواه أحمد باختصار كثيره . وقال : « واسناد أحمد ، وبعض طرق البيهقي والطبراني في الكبير حسان » .

(٦) نضائر العقبي ١٣٨ . وقال : « أخرجه الدوالي » .

(٧) الاحتجاج ١ : ٤٢٠ .

(٨) بهج الصبغة في شرح نهج البلاغة ٤٤٨:٣. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

(٩) الاوسط للطبراني. ملحقات الاحقاق ٣٢٩:٢٠. جامع الاحاديث ٣٤:٩ ط دمشق. مجمع الزائد ١٢٤:٩.

(١٠) كمال الدين ٣١٥:١، وروي بعينه سنداً وممتاً ايضاً في كفاية الأثر ٣١٧. ونقل في البصار ٢٧٩:٥٢ عن الاحتجاج.

(١١) راجع القدير ١:١٩٤.

النبي ﷺ لأبي: إنه منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (الحديث) (٨).
عن الحسن بن علي قال: «كان رسول الله ﷺ لا يبعث علينا مبعثاً إلا أعطاه الزاوية» (٩).

عن المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي السمرقندي قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسعود عن أبيه قال: حدثنا جبرئيل بن أحمد عن موسى بن جعفر البغدادي قال: حدثني الحسن بن محمد الصيرفي عن حنان بن سدير عن أبيه سدير بن حكيم عن أبيه أبي جعفر عقيصا قال: «لما صالح الحسن بن علي ﷺ معاوية بن أبي سفيان، دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال ﷺ: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت. ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله ﷺ علي؟ قالوا: بلى. قال: أما علمتم أن الخضر ﷺ لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنه ما منّا أحد إلا ويقع في عنقهبيعة لطاغية زمانه؟ إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم ﷺ خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقهبيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة النساء، يعلي الله عمره في غيبته ثم يظهر بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، وذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير» (١٠).

أخرج الحافظ الكبير أبو العباس ابن عقدة أنّ الحسن بن علي ﷺ لمّا اجمع على صلح معاوية قام خطيباً، وحمد الله وأثنى عليه وذكر جدّه المصطفى بالرسالة والنبوة، ثم قال: «إنّا أهل بيت أكرمنا الله بالاسلام، واختارنا واصطفانا، وأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيراً» إلى أن قال: «وقد رأوه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خم، وقال لهم: من كنت مولاة فعلي مولاة، اللهم وال الله، وعاد من عاداه، ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب» (١١).

عن أبي جميلة أنّ الحسن بن علي ﷺ حين قتل علي ﷺ استخلف، فبينما هو يصلي بالناس إذ وثب إليه رجل قطعنه بخنجر في وركه، فتمرض منها

أشهرأ ، ثم قام فخطب على المنبر فقال : « يا اهل العراق ، اتقوا الله فينا ؛ فينا
أمرؤكم وضيقاتكم ، ونحن اهل البيت الذين قال الله عزوجل : ﴿ إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ . فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى
في المسجد إلّا باكياً » (١٢) .

قال الحسن عليه السلام : « ما كان في الدنيا عبد من فاطمة عليها السلام ، كانت تقوم حتى تتورم
قدمها » (١٣) .

عن الامام الحسن عليه السلام : « ألا أنبئكم ببعض أخبارنا ؟ قالوا : بلى يا بن أمير
المؤمنين ، قال : إن رسول الله ﷺ لما بنى مسجده بالمدينة واشرع فيه بابه واشرع
المهاجرون والانصار (أبوابهم) ، أراد الله عزوجل إبانة محمد وآله الفضلين
بالفضيلة ، فنزل جبرئيل عليه السلام عن الله تعالى بأن سدوا الابواب عن مسجد رسول
الله ﷺ قبل أن ينزل بكم العذاب ، فأول من بعث إليه رسول الله ﷺ يأمره بسد
الابواب العباس بن عبد المطلب ، فقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله ، وكان الرسول معاذ
ابن جبل ، ثم مر العباس بفاطمة عليها السلام فرأها قاعدة على بابها وقد أقعدت الحسن
والحسين عليهما السلام ، فقال لها : ما بالك قاعدة ؟ انظروا إليها كأنها لبوة بين يديها
جرواها ، تظن أن رسول الله ﷺ يخرج عنه ويدخل ابن عمه ؟ فمر بهم رسول الله ﷺ
فقال لها : ما بالك قاعدة ؟ قالت : أنتظر أمر رسول الله ﷺ بسد الابواب ، فقال لها : إن
الله تعالى أمرهم بسد الابواب واستثنى منهم رسوله ، و(إنما) أنتم نفس
رسول الله ﷺ... » (١٤) .

قال المسعودي : « قد كان علي عليه السلام وكرم الله وجهه اعتل ، فأمر ابنه
الحسن عليه السلام أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، واثنى
عليه ، ثم قال : إن الله لم يبعث نبياً إلّا اختار له نقيباً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث
محمداً بالحق نبياً لا ينقص من حقنا اهل البيت احد إلّا نقصه الله من عمله مثله ، ولا
تكون علينا دولة إلّا وتكون لنا العاقبة ، ولتعلمن نبأه بعد حين » (١٥) .

عن الحسن بن علي أنه قال : « يا معاوية بن خديج ، إنك وبغضنا ؛ فإن رسول
الله ﷺ قال : لا يبغضنا ولا يحسدنا احد إلّا نزيد عن الحوض يوم القيامة بسياط
من نار » (١٦) .

(١٢) مجمع الزوائد
للهيتمي ١٧٢: ٩ ، وقال : « رواه
الطبراني ، ورجاله ثقات » ،
وراجع أيضاً ملحقات احقاق
الحق ٢٩: ٢٤ ، واستجلاب
ارتقاء الغرف بحب اقرباء
الرسول ٢٧ .

(١٣) البحار ٤٢ : ٧٦ .

(١٤) تفسير الامام : ١٧ .

(١٥) مروج الذهب ٩: ٣ .

(١٦) مجمع الزوائد ٩ : ١٧٢ .

الاسلام والمسلمون

في روسيا *

عبد الكريم رزق

من هم المسلمون الروس :

المسلمون الروس جزء من المسلمين السوفييتيين ، الذين يمثلون أكثر من مجموعة متجانسة ، فهم يختلفون كل الاختلاف عرقياً ولغوياً وثقافياً ، كما تختلف تجربتهم بالنسبة للإسلام . وهذا التراث العرقي الشديد التباين والثراء التراثي يرافقه تنوع لغوي ، ولكل لغة لهجات عديدة . وكانت اللغة العربية تدرس في الكتاتيب والمدارس ، وكان الغرض الاساسي من ذلك هو قراءة القرآن وفهم معانيه ، ولم يتمكن من كتابة اللغة العربية والتحدث بها إلا الذين نالوا قسطاً كبيراً من التعليم ، والوضع مماثل بالنسبة للغة الفارسية ، وهي اللغة الرئيسية الأخرى لتحصيل العلوم الاسلامية . وفي أوائل هذا القرن أصبحت اللغة الروسية تتخذ طابع «لغة التفاهم» بين عموم شعوب الاتحاد السوفييتي السابق .

وتم افتراض شائع أن المسلمين في الاتحاد السوفييتي السابق يتركزون أساساً وإن لم يكن بصورة شاملة في آسيا الوسطى أي في المنطقة التي يحدها بحر قزوين غرباً ، والصين شرقاً ، وتركيا وإيران وأفغانستان جنوباً ، وتجاورها كل من الباكستان والهند ، ولكن هذا ليس حقيقة واقعية ، فإن أكثر من نصف المسلمين في الاتحاد السوفييتي السابق يعيشون بالفعل في مناطق آسيا الوسطى . أما البقية الباقية من المسلمين فيعيشون في بقية مناطق الاتحاد السوفييتي السابق ، التي تؤلف روسيا

الجزء الأكبر منها . وفي روسيا توجد خمس جمهوريات ذات حكم ذاتي يشكل المسلمون أغلب سكانها ، وهي جمهورية تتارستان ، وجمهورية داغستان ، وجمهورية بشكيريا ، وجمهورية كباديا بالكاريا ، وجمهورية الشيشان ، بالإضافة إلى وجود جمهوريات أخرى ذات أغلبية مسيحية من السكان ، مثل جمهورية أوسيتيا الشمالية ، وجمهورية مارييس ، وجمهورية اودمورسيا ، وجمهورية أخرى ينتشر فيها المسلمون مواطنين أو على شكل جاليات اسلامية .

انتشار الاسلام في روسيا :

لقد وصل الاسلام إلى روسيا بواسطة التجار المسلمين العرب انطلاقاً من منطقة القفقاس ، ووصل إلى موسكو من الشمال لا من الجنوب كما يتصور البعض ، حيث إن بعض المصادر يؤرخ لدخول الاسلام إلى موسكو أنه كان من الجنوب ، باعتباره الطريق الأيسر والاسهل لحركة التجار ، والسبب في ذلك هو أن قبائل القوزاق الروسية المدربة على الغارات والحروب ، قد وقفت سداً منيعاً في وجه انتشار الدعوة الاسلامية والمد الاسلامي الزاحف باتجاه قلب روسيا ، مما اضطر التجار المسلمون والدعاة إلى عبور سهوب آسيا الوسطى باتجاه سيبيريا ، بمساعدة التتار الذين اعتنقوا الاسلام واهتدوا إلى الدين الحق منذ القرن التاسع الميلادي في مملكتهم مملكة بلغار الفولغا الاوسط ، التي هي اليوم اقليمهم وموطنهم . وكانت هذه المنطقة في معظمها قد اعتنقت الاسلام في القرن العاشر ، ثم انتشر الاسلام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر في روسيا في منطقة الاورال ، التي تشكل جمهورية بشكيريا اليوم . وبفضل التجار المسلمين من عرب وايرانيين واتراك انتشر الاسلام إلى بقية اجزاء الاراضي الروسية .

فالمسلمون اليوم يضربون طوقاً بشرياً حول روسيا من سيبيريا في

الشمال والشمال الشرقي إلى الجنوب .

وصل الاسلام إلى موسكو سنة ١٢٠٠ م تقريباً ، وكانت عاصمة ملك المسلمين مدينة قازان آنذاك ، فكانت موسكو تدفع الضرائب إلى قازان بصفتها هذه . وبقيت قازان عاصمة المسلمين حتى سنة ١٥٥٢ م ، عندما تمكن القيصر الروسي ايفان الرهيب من احتلالها وتدميرها ، فأحرق مساجدها ، ونقل قبابها الرائعة إلى كرملين موسكو ، وإلى الساحة الحمراء حيث لا تزال موجودة إلى يومنا هذا ، ثم احتل مدينة أستراخان عام ١٥٥٦ م ، وسيبيريا الغربية عام ١٥٩٨ م ، ووصل في نهاية القرن السادس عشر إلى المناطق الاسلامية في كباديا وبلاد الشيشان . وبعد هذا التاريخ بدأ الروس حربهم للمسلمين ، فمنعواهم من ممارسة الشعائر الدينية ، وفرضوا عليهم التزام العادات والتقاليد الروسية ، وذلك بهدف ترويس المسلمين إن لم نقل تنصيرهم ، فعاملوهم بقسوة بالغة ، وساموهم اشد انواع العذاب ، فصادروا الممتلكات ، وأدخلوا تشريعات عقابية مختلفة لارغام السكان المحليين على نبذ الدين الاسلامي ، لكنهم لم يحققوا نجاحاً كبيراً في مساعهم هذا ، فظل أغلب المسلمين متمسكين بدينهم ، ولم يوقف البطش الروسي انتشار الاسلام ، فكان ذلك مفارقة غريبة ، بل كان العكس ، فقد حقق الاسلام تقدماً جديداً في المنتصف الثاني من القرن الثامن عشر ، أيام حكم القيصرية الروسية كاترين الثانية ، حيث تغيرت السياسة الروسية تجاه المسلمين الذين يعيشون داخل حدودها مرة اخرى ، واصبحت تتسم بشيء من الحرية ، فبدأت عام ١٧٦٤ م بانتهاج سياسة التسامح الديني إلى حد كبير ، ورفعت عام ١٧٦٧ م حظر سكنى التتريين لعاصمتهم قازان ، وخطت الامبراطورة مرحلة جديدة عام ١٧٧٣ م فمنحت تتر الفولغا حريتهم الدينية ، وحققهم ببناء الجوامع والمدارس القرآنية ، واصبح تجار الفولغا وسطاء ممتازين بين روسيا القيصرية وآسيا الوسطى . وكانوا يتصرفون أيضاً دعاة ومبلغين ، يبنون الجوامع والمدارس ، ويحملون الاسلام إلى

الشعوب التي مازالت شبه وثنية في بشكيريا وسيبيريا الغربية .

إن سياسة القيصرية الروسية هذه لم تكن حبا للمسلمين بالدرجة الاولى ، بل كانت هذه السياسة تصب في مصلحة روسيا لمد نفوذها وبسط سيطرتها على المناطق المجاورة ؛ وذلك لأنها ادركت إمكانية الاستعانة بالشعب المسلم السجين داخل روسيا ؛ كي يبدو امتداد وجود الروس في آسيا الوسطى مقبولا بل مرغوبا به ، مما دعا الحكام الروس لأن ينتهبوا إلى القوة السياسية المحتملة للمسلمين الذين كانوا يعيشون في روسيا القيصرية آنذاك ، فراحوا يسعون لكسب تأييدهم ، فأُنشئت دار للافتاء في اورنبورگ (انتقلت فيما بعد إلى اوفّا) في سنة ١٧٨٨ م ، وبعد ذلك أنشئت ثلاث دور أخرى للافتاء في غضون القرن التالي ، إحداها في عام ١٨٣١ م والاثنان الأخريان في عام ١٨٧٢ م . وكانت تلك المؤسسات شبيهة (بمؤسسات العلماء) التي كانت موجودة لدى العثمانيين ، وكان لها سلطات فيما يختص ببعض جوانب القانون المدني ، كما كانت تضطلع بمسؤولية اعداد رجال الدين ، وصيانة الاوقاف ، ونشر المطبوعات الدينية التي لم يسمح بنشرها قبل عام ١٨٠٠ م . وبعد مضي خمسة اعوام ، أي في سنة ١٨٠٦ م وحدها ، طبع ما يقارب ٢٦٠٠٠ كتاب ، بما في ذلك ١٥٠٠ نسخة من المصحف الشريف ، وقد زاد حجم هذه المطبوعات عندما سُمح بتشغيل آلات الطباعة الخاصة بالمسلمين ابتداء من منتصف ذلك القرن . وكان لزاماً على العلماء ورجال الدين أن يسجلوا ويُعَيّنوا رسمياً ؛ حتى يكونوا من وجهة نظر الحكومة ممثلين لواجهة الاسلام الرسمي المتعارف عليها ، والخاضعة لرقابة الامبراطورية الروسية ، وفي مقابل ذلك كانوا يتمتعون بميزات كثيرة بما في ذلك الاعفاء من الضرائب ومن الخدمة العسكرية ، كما كان يتمتع أبناؤهم بالحقوق التي يتمتع بها ابناء النبلاء ، وفي المقابل كان هؤلاء مخلصين في ولائهم للحكومة ولو من الناحية الشكلية . هكذا كانت طبيعة الاسلام وأثره بين المسلمين في عهد القيصرية ، حتى أُعلنت الحرية

الدينية في روسيا عام ١٩٠٥ م ، فكانت فرصة للإسلام لكي ينصرف فوراً إلى مرحلة انتشار جديدة ، واستمرت هذه الحالة زهاء عشرين سنة تقريباً .
و خلاصة القول أن المسلم حتى عام ١٩٢٧ م كان يستطيع أن يعيش حياته دون مشقة كبيرة .

الاسلام في ظل الحكم الشيوعي :

عند اندلاع الحرب العالمية الاولى حقق المسلمون في الامبراطورية الروسية لأنفسهم مكانة مرموقة و متميزة ، كما أصبحوا من اصحاب النفوذ لما قدموه في الحرب لصالح وطنهم ، ولكن سرعان ما تغير الأمر بعد الانقلاب الشيوعي والحكم السوفيياتي ، فاختلف وضع الاسلام كثيراً عما كان عليه في نهاية عصر الامبراطورية الروسية ، و اختلف موقف السوفيياتيين الشيوعيين اختلافاً جذرياً ؛ لأن هدفهم الاساسي كان يتمثل باستئصال الدين بكافة اشكاله ، وذلك بوصفه «أفيون الشعوب» حسب تعبير أحد قادتهم ، فبدأت سلسلة طويلة من الاضطهاد الديني ، وتطبيق اجراءات معادية للإسلام ، ويمكن القول : إنه خلال هذه الحقبة السوفيياتية نال الاسلام نصيبه من عداوة الشيوعية للدين بشكل عام ، فتحولت المساجد إلى مخازن ومقاهٍ ودور لتعليم الرقص وعرض الافلام السينمائية ، حيث كان لدى المسلمين عام ١٩١٢ م أكثر من (٢٦٠٠٠) مسجد جامع في روسيا فقط ، لم يبق منها عام ١٩٤١ م غير قرابة ١٠٠٠ جامع ، وقد أغلقت المحاكم الشرعية تماماً في عام ١٩٢٧ م ، وألغي نظام الأوقاف في عام ١٩٣٠ م ، وألغيت الكتابة بالأحرف العربية في نفس السنة ، وأغلقت المدارس الدينية ، وحُلَّت هيئة العلماء وأُعدم الكثير منهم ، ولم يسمح بتأدية فريضة الحج ، وبدأ نظام تربية الخنازير في المزارع الجماعية التي يعمل فيها المسلمون ، وأوقف نشر المطبوعات الدينية ، وأصبح الصيام شبه مستحيل ، ومنعت الاحتفالات الدينية وإحياء المناسبات

الاسلامية وإقامة الشعائر بأي شكل من الاشكال . لقد كان الحزب الشيوعي في روسيا ينظر إلى الإيمان بالدين قوة معادية ، وعائقاً في الطريق المؤدية إلى الشيوعية ، فكان عليه أن يسارع للعمل من أجل محقه وهدمه بالدعاية والاعلام المضادين ، وإن لزم الأمر فبتدابير إدارية وبوليسية . على ذلك النحو كان موقف القادة البلاشفة منذ بداية تسلطهم ، هذا الموقف الذي حثهم عليه لينين ، الخصم المتزمت للدين . وامتد هجوم السلطة الشيوعية المباشر على الدين الاسلامي منذ عام ١٩٢٨ م حتى اعلان الحرب العالمية الثانية . وقد رافق هذا الهجوم حملات دعائية شعواء على الدين الاسلامي ، كانت تُنسق بحيث تحقق أقصى ما يمكن من تأثير ، وكان يشنها اتحاد المناضلين في سبيل الكفر بالله [Sans - Dieu] الذي تأسس عام ١٩٢٥ م ، وبقيّة وسائل الاعلام ومنظمات الدولة ومؤسسات الحكومة الشيوعية .

ومن المناسب أن نذكر هنا بعض المقتطفات مما نُشر في الموسوعة السوفياتية الصغيرة في المجلد الرابع الصفحة (٨٧٩ - ٨٨٠) حول موضوع (الاسلام) ، الذي حُدّد فيه موقف الحكومة الروسية الرسمي من الدين الاسلامي ، على هذا النحو : « كان الاسلام في روسيا القيصرية دعامة الحكومة وسندها ... ويُستخدم أداة تستغل بها الجماهير الكادحة على يد رأسمالييها واقطاعييها . ثم أصبح الاسلام بعد ثورة اكتوبر راية العناصر المناهضة للثورة ... بيد أنه كان من نتائج نجاح بناء الاشتراكية ، ونتيجته الطبيعية التي تمخض عنها نمو الاتحاد ، أن تحررت الجماهير الكادحة من ظلم الاسلام المزمن ، الذي ظل اليوم ايدولوجية الاغنياء وأعداء الثورة » .

وجاء أيضاً في الموسوعة السوفياتية الكبرى الرسمية (بولشايّا سوفيتسكايا إنسكلوبيديا) في الطبعة الثانية المجلد الثامن عشر الصفحة (٥١٦ - ٥١٩) ، في موضوع (الاسلام) : « إن الاسلام كجميع الاديان الأخرى قد قام دوماً بدور رجعي ؛ لأنه أداة تُضطهد بها روحياً الطبقات الطفيلية

المحلية العمال ، ويستغل بها المستعمرون الاجانب شعوب الشرق ... وقد استغل اعداء الثورة الداخليون والامبرياليون الاجانب الاسلام في قتال الدولة الروسية السوفياتية بعد انتصار ثورة اكتوبر الكبرى ، وطول فترة الحرب الاهلية والتدخل الاجنبي ... وسعت بقية الطبقات المستغلة أن تستفيد من الاسلام ، فكافحت الاشتراكية طوال حقبة بنائها في روسيا ، وقاد رجال الدين المسلمون عملاء تلك الطبقات الكفاح ضد التشريع السوفياتي حول العائلة والزواج ، وقاوموا تحرير النساء ، ودافعوا عن لبس الحجاب ، وارتكب رجال الدين اعمالاً ارامية ، وتذرعوا بالقرآن والشريعة لمقاومة التصنيع والجماعية ... أما اليوم ، فلا يعيش الاسلام في الاتحاد السوفياتي إلا بصفته أحد مخلفات ايدولوجيا مجتمع المستغلين ... » .

كذلك استخدمت جميع وسائل الاعلام في الدعاية ضد الدين الاسلامي ، من نشرات خاصة تبث في الاذاعة ، وافلام معادية للدين ، ومنها افلام عديدة تسخر بالمسلمين في روسيا ، وتستهنئ بدينهم ، وتظهره على أنه هو الذي كان سبب تحجر عقولهم وتخلفهم الشديد وبؤسهم المؤلم ، وتظهر الشعائر والفروض الدينية الاسلامية بشكل هستيري يدعو إلى الضحك والسخرية الشديدة ، مثل كيفية الوضوء والصلاة والحج وغيرها . وقد استمر هذا الوضع ، وتحمل المسلمون كافة انواع الارهاب والملاحقة والتضييق بكل انواعه ، حتى كانت الحرب العالمية الثانية حيث حدث انفراج نسبي بين الحكومة الروسية والمؤسسة الاسلامية ، واستمر اثناء الحقبة الستالينية بعد الحرب ، ففي تموز عام ١٩٤٢ م أخذ زمام المبادرة مفتي روسيا الاوربية عبد الرحمن رسولاييف ، فراح يتصل بستانلين ويوثق علاقاته به ، ووعده بأن يدعم المسلمون مجهود الحرب وكان ذلك ، ولذا فقد توقفت الدعاية المعادية للاسلام نسبياً ، وهذأت وخفت قليلاً وطأة المعاناة والارهاب ، وتطبعت العلاقات بين الدولة وبين الاسلام الرسمي الذي هو تحت اشراف الدولة ، وبخاصة بعد إحداث العديد من الادارات الروحية

الاسلامية ، واستمرت هذه الحالة حتى موت ستالين ، وكانت هذه الفترة ذات فائدة كبيرة للمسلمين الروس .

ثم طبق في عهد خروشوف مبدأ (العودة إلى اللينينية) التي أنهت حقبة الانفراج ، فقد شُنّت حملة جديدة شرسة على الدين الاسلامي ، استمرت من عام ١٩٥٤ م حتى عام ١٩٦٤ م ، أُغلقت اثناءها معظم الجوامع المفتوحة للعبادة وأماكن الحج والزيارة ، وأطلقت الصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح حملات دعائية شديدة ومكثفة على الدين من جديد .

وبعد عهد خروشوف وسقوطه دخلت العلاقة بين الحكومة والمسلمين مرحلة جديدة ، حيث خف الهجوم العنيف على الدين الاسلامي ، وأخذت الدعاية المعادية للاسلام طابعاً جديداً تميز بـ (العلمية) ، فقد اقتنعت الحكومة أن الهجمات على أصحاب الشأن المتدينين ورجال الدين غير مثمرة ولا مجدية ، فأهملتها وتوجهت إلى محاربة الاسلام على الصعيد الايديولوجي ؛ لأنه وفق الايديولوجية الماركسية - اللينينية المعادية للدين في الاساس ، لا يمكن للحزب الشيوعي الروسي أن يظل متفجعاً تجاه الاسلام أو محايداً أمامه ، والفارق بين العهدين اللينيني والستاليني والعهود الأخرى التي تلت ، هو الطريقة التي تلجأ إليها السلطات الروسية للاسراع بالقضاء على الدين وإفناؤه وابادته . بيد أنه بالرغم من تلك الجهود التي بذلتها وسائل الدعاية والاعلام والضغط والارهاب ، تُجمع المصادر الروسية على عدم ارتياحها للنتائج المرجوة من هذه الحملات والجهود ، وتعلن عن تدميرها من عجز الدعاية والاعلام الموجهين ضد الاسلام عن تحقيق اهدافه ، بل على العكس من ذلك فقد تجلت في الجانب الآخر معاداة المسلمين ونفورهم الشديد من كل هجوم موجه ضد الاسلام ، ومثالاً على ذلك يمكننا أن نورد تحقيقاً أُجري عام ١٩٧٨ م في جمهورية الشيشان في روسيا ، كشف عن أن ٢٠٪ من الشيشانيين فقط كانوا قد وقعوا تحت تأثير الدعاية والاعلام المعادي للاسلام ، في حين أن ٨٠٪ ممن بقي من السكان كانوا إما معادين للدعاية ضد الدين ، أو غير مباليين ولا متأثرين بها .

المراكز الاسلامية والادارات الدينية في روسيا في تلك الفترة :

إلى ما قبل انهيار الاتحاد السوفياتي كانت توجد أربع ادارات دينية (روحية) ، أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية خلفاً لدور الافتاء التي ذكرناها سابقاً ، والتي كانت موجودة في عصر الامبراطورية الروسية اثنتان من هذه الادارات تقع ضمن روسيا ، أما الأخريان فواحدة في اوزبكستان والأخرى في أذربيجان .

وما يهمنا هنا هما الادارتان الدينيتان الموجودتان في روسيا ، حيث تعدان بمثابة اطار لتوجيه امور المسلمين وفق السياسة السوفياتية ، وليست لهما مهمة غير مراقبة اوضاع المسلمين وتحركاتهم ، وتنظيم شؤونهم وفق خطة حكومة الاتحاد السوفياتي المركزية سابقاً . أما نشر الفكر والثقافة الاسلاميين ، وتمتين اواصر العقيدة بين المسلمين ، فهما مما لم يخبر عنه مخبر . والادارتان الدينيتان عبارة عن :

١ - الادارة الروحية الدينية لمسلمي روسيا الاوربية وسيبيريا : ويقع مقر هذه الادارة في اوفكا (عاصمة جمهورية بشكيريا الروسية) ، واللغة التترية هي لغة العمل فيها ، وتشمل صلاحيات هذه الادارة جمهوريتي تترستان وبشكيريا الاسلاميتين ، كما تشمل الجاليات الاسلامية في بقية المستعمرات الاسلامية ومستعمرات سيبيريا وروسيا الشرقية التابعة للاتحاد السوفياتي السابق .

ومن الجديد بالذكر أن هذه الادارة كانت داراً للافتاء في عصر الامبراطورية الروسية ، وكانت اوفكا مركزاً لهذه الدار . وعلى الرغم من أن نشاط هذه الدار قد توقف بعد الثورة الشيوعية ، إلا أنها باشرت عملها على عهد ستالين ، وكان رئيسها عبد الرحمن رسولاييف الذي عمل لإقناع ستالين بضرورة تخفيف حدة الضغط على المسلمين آنذاك .

٢ - الادارة الروحية الدينية لمسلمي القوقاز الشمالي وداغستان : يقع مقر هذه الادارة في مختش قلعة عاصمة جمهورية داغستان ، واللغة

العربية هي لغة العمل فيها ، حيث ظلت اللغة العربية هي اللغة الادبية لهذه المنطقة منذ فتحها العرب في القرن الثامن الهجري . وتمتد سلطة هذه الادارة إلى جميع المناطق في شمال القوقاز ، وجمهوريات داغستان وكبارديا بالكاريا والشيشان والانغوش الاسلامية المستقلة ذاتياً ، والمسلمين في جمهورية اوسيتيا الشمالية والمناطق المستقلة داخلياً من بلاد أديج وكاراتشاي والشركس .

المسلمون في روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي :

اليوم وبعد انهيار الشيوعية وتحرر شعوب الاتحاد السوفياتي السابق من ربقة الاتحاد والسياسات اللادينية ، يعيش المسلمون في روسيا حنين الايام الماضية ، وحنين العودة إلى الاصول الاسلامية ، وإلى التاريخ المشرق لانتشار الاسلام قبل سقوط (قازان) قلعة الاسلام في روسيا بيد ايفان الرهيب .

بعد ٥٠٠ عام من الظلم والقهر والتنصير والتكفير يتحرر المسلمون ، ويرغبون في بناء مستقبلهم على اسس اسلامية صحيحة بعيداً عن حكم القياصرة والملحدين ، ويؤكدون حقيقة مهمة وهي أنهم مسلمون يعتزون باسلامهم ، ولهم الحق في تقرير مصيرهم وتمتعهم بحقوقهم على ارضهم الاسلامية .

عشرون مليون مسلم في روسيا يستقبلون بكل شوق ورغبة عودة الاسلام اليهم ، بالرغم من أنه لم يخرج يوماً أبداً من قلوبهم ، رغم المحاولات الشيوعية لقتل الاسلام في العقول والنفوس ومظاهر الحياة . وهذا الوضع الجديد يحتاج إلى مؤسسات ومراكز قادرة على حل المشكلات ، وتلبية حاجات المسلمين ، والنظر في ما يستجد من الاحداث في روسيا ، وابداء وجهات النظر في القضايا المهمة للمسلمين ؛ فالمشكلات كثيرة وكبيرة بالنسبة لمسلمي روسيا عموماً ، وتتطلب تعاوناً

ودعماً تقع مسؤوليتهما على كل مسلم ، وخصوصاً الدول الاسلامية .

ويعتقد المسلمون في روسيا أن نشر التعاليم الاسلامية مهمة اسلامية عامة ، وتحتاج إلى الدعم المادي والمعنوي من جميع المسلمين في العالم ، وهي تحتاج إلى تنظيم وترتيب حسب الأولويات التي تفرضها الظروف الجديدة ، مما دعا المسلمين الروس لإنشاء مركز اسلامي جديد ، باسم مركز التنسيق الأعلى للإدارات الدينية . والحقيقة أن هذا المركز حل محل الإدارات الروحية السابقة التي انهارت واحدة تلو أخرى ، حيث إنها لم تستطع مواكبة الاحداث ، وعجزت عن قيادة النهضة الاسلامية التي برزت بعد الصحوة الاسلامية المعاصرة ؛ وذلك بسبب تمسكها بالعقلية السابقة للحقبة المشؤومة من حياة المسلمين الروس ، حيث كانت تمارس دور الرئيس الأمر الناهي ، فتعيّن وتعزل أئمة المساجد والمسؤولين عن المؤسسات التي تدير امور المسلمين كما تشاء ، فضلاً عن كونها تابعة مباشرة للدولة ، وتنفذ سياستها بغض النظر عن مصلحة المسلمين .

لقد كانت الخطوات الأولى إثر انبعاث الصحوة الاسلامية للم شمل المسلمين ، وترتيب شؤونهم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي السابق ، عبارة عن ممارسات مبعثرة ومتباعدة لا يمكن أن تؤدي الدور المطلوب في هذه المرحلة ، كان منها اجتماع ما يقارب مئة وعشرين من ممثلي المساجد في جمهورية بشكيرستان مقر الادارة الروحية المركزية السابقة ، اتفقوا على تأسيس إدارة دينية جديدة لتنظيم امور مسلمي هذه الجمهورية ، من دون الرجوع إلى الادارة الدينية المركزية باعتبارها من تركة الاتحاد السوفياتي السابق ، وانتخب المجتمعون مجلس ادارة مستقلاً عن التبعية لأي جهة ، وسجلت هذه الإدارة لاحقاً عند الحكومة . مما منحها الشرعية القانونية ، وعقدت إثر ذلك اجتماعات مماثلة في كل من جمهورية تتارستان الروسية ومنطقة حوض الفولغا ، وتنازلت هذه الاجتماعات التأسيسية في مختلف مناطق المسلمين ، وقامت إدارات دينية جديدة . وتفادياً لأية آثار سيئة

يمكن أن تحصل ، ونتيجة لجهود المخلصين من ابناء الاسلام في روسيا ، تم الاتفاق مع رؤساء الادارات الحديثة العهد على لزوم جمع هذه الادارات تحت نظر مجلس شورى يشرف على عملها ، ويقوم بالتنسيق بين هذه الادارات لافادة بعضها البعض الآخر في المجالات المختلفة ، وليكون بعضها مكملاً للبعض الآخر لتصبح الفائدة أعم وأشمل . وفعلاً تكللت الجهود بإنشاء «مركز التنسيق الاعلى للادارات الدينية لمسلمي روسيا» ؛ ليكون ناطقاً رسمياً باسم الادارات تجاه الدولة والخارج . وقد حصل هذا المركز على ترخيص من وزارة العدل الفيدرالية الروسية في عام ١٩٩٤ م ، وقد باشر عمله بانتخاب رئيس تنفيذي له من قبل الشورى المؤلفة من رؤساء الادارات الفرعية الأخرى .

نشاطات مركز التنسيق الاعلى للإدارات الدينية لمسلمي روسيا :

يشرف على مركز التنسيق الاعلى للادارات الدينية ، شورى تتألف من المراجع الروحية للادارات المتعددة الموجودة في روسيا ، وقد قام المركز بتوحيد جهود المنظمات الاسلامية والتجمعات الدينية وتنسيق انشطتها في جميع المناطق الخاضعة للفيدرالية الروسية ، وساعد المركز منذ تأسيسه على عقد الندوات والمؤتمرات الشعبية لمسلمي المنطقة سعياً إلى تنظيم اوضاعهم . ويبلغ عدد المساجد التي يشرف المركز على إدارتها نحو ٣٠٠ مسجد . ولا بد من الاشارة إلى أن المركز يولي اهتماماً كبيراً للمدارس الاسلامية ، ويعمل على تنميتها ورفع مستواها ، وقد قام بإعداد دراسة لمشروع منهج دراسي موحد لجميع المدارس التابعة له والبالغة ١٠٠ مدرسة ذات مراحل دراسية متفاوتة ؛ وذلك لتحسين مستواها الثقافي ، وبالإضافة إلى هذه المدارس توجد معاهد متخصصة لإعداد كادر من الدعاة وأئمة المساجد والمعلمين . وهناك مشروع قيد الإعداد لإنشاء (كلية) المدرسة المركزية التي ستستقبل خريجي المدارس الذين ينهون دراستهم

المتوسطة بتفوق ، فقد أمر مجلس شورى المركز بإنشاء الكلية الإسلامية المركزية الموحدة ، لتدريس وتخريج الاساتذة والكوادر ذات الخبرة والتخصص في مجال التدريس ؛ ليقوموا بدورهم لاحقاً في تولي إدارة شؤون المدارس المتزايدة ، والمنتشرة في مختلف المناطق لتربية جيل اسلامي واع ومثقف ، ووقع اختيار مكان هذه الكلية في مدينة موسكو ؛ لأهمية العاصمة من حيث سهولة التنظيم والاتصالات ، بالإضافة إلى أن الادارة المركزية لمركز التنسيق تتخذ من موسكو مقراً لها .

من جانب آخر - نتيجة للجهود المبذولة لتوسعة نطاق الدراسات والبحوث الإسلامية - أعلن في موسكو عن بدء العام الدراسي ١٩٩٦ م - ١٩٩٧ م في مركز اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، في معهد بلدان آسيا وإفريقيا في جامعة موسكو ، وكذلك في معهد الحضارات الإسلامية التابع لجامعة الثقافة الإسلامية الذي يُدرس علوم القرآن ، والسنة ، والحديث ، ومقارنة الأديان ، وأسس العلوم الإسلامية ، بالإضافة إلى تدريس اللغات العربية والتركية والتتارية .

أما عن الموقف إزاء القضايا السياسية المعاصرة التي تهم المسلمين في الداخل والخارج ، فيؤكد المركز أن مسلمي روسيا يجب أن يتمتعوا بدور سياسي ، ويجب أن يكون للإسلام والمسلمين في روسيا وزن آخر ووضعية أخرى . إن روسيا ذات قوميات متعددة ولغات متعددة وأديان مختلفة ، ولكن عند السياسيين الروس مفهوم خاطئ يقضي بأن روسيا للروس فقط ، وأنها دولة مسيحية أرثوذكسية ، ويتناسون أن في روسيا قرابة عشرين مليون مسلم لم يأتوا حديثاً إلى هذه البلاد ، بل هم من أبنائها الاصليين ، سكنوا هذه الارض منذ القدم ولا يزالون ، فيجب أن يتمتعوا بحقوقهم في تقرير المصير . وقد باشر المركز العمل السياسي بتأسيس تجمع سياسي اجتماعي بعنوان «اتحاد مسلمي روسيا» ؛ للدفاع عن مصالح المسلمين وقضاياهم ، وللمساعدة على أخذ مواقعهم الطبيعي في البلاد .

وكان للمركز موقف متميز بالنسبة للأزمة الشيشانية ، وقد أعلن المسؤولون في المركز بصراحة في مؤتمر صحفي في موسكو سابقاً أنهم يدينون سياسة الحكومة الروسية في الشيشان ، وأصدر المركز فتوى تقضي بتحريم قتال المسلمين في الشيشان ، وتحريم الوقوف بجانب الجيش ضد اخوانهم الشيشانيين ، وكذلك اتخذ المركز قراراً بعدم الصلاة على جثث الجنود المسلمين الذين يقتلون مع الجيش الفيدرالي الروسي ، وهدد الحكومة بأنه في حال الاستمرار بتصعيد الوضع العسكري ضد المسلمين ، فإنه سيصدر فتوى بتحريم الانتساب إلى القوات المسلحة الروسية الفيدرالية ، وهذه القرارات والمواقف أخذت أصداً واسعة في روسيا .

من خلال هذه القرارات السياسية نلاحظ الفرق الشاسع بين هذه المواقف والممارسات ، وبين مواقف الإدارات السابقة في العهد الشيوعي ، فبالإضافة إلى أنها كانت غير قادرة على إدارة شؤون المسلمين ، فإنها كانت تابعة مباشرة للدولة ، والعاملون فيها من رجال الدين كانوا موظفين عند الحكومة عبر لجنة الشؤون الدينية آنذاك ، لذلك فليس من الغريب أن تصدر تلك الإدارات بيانات إبان الحرب السوفياتية الأفغانية ، تعتبر الجندي الروسي المسلم الذي يقتل في هذه الحرب ضد المجاهدين المسلمين الأفغانين شهيداً ، قام بواجبه الاسلامي في قتال الاعداء .

تحديات الحاضر والمستقبل :

يواجه المسلمون في روسيا حملة إعلامية شرسة وغير عادلة ، عبر وسائل الاعلام الرسمية العاملة في البلاد التي تدار بأيدي مشكوك فيها ، بالإضافة إلى الايدي الغربية التي تتآمر على الاسلام لتضعف دوره في روسيا خصوصاً وفي بقية الدول المستقلة حديثاً . وباستمرار تطالعنا الصحف والمجلات بمقالات يبتون عن طريقها الدعايات المفرضة

والمزيفة عن الاسلام ، ويصفون المسلمين بنعوت الارهاب والميل إلى الحرب والاعمال الإجرامية ، حتى إن هناك برامج واقلماً تبث عبر الراديو والتلفزيون ، تدعو بصراحة إلى التعصب ضد المسلمين عن طريق إثارة الشبهات والاتهامات الباطلة والمجحفة بحقهم ، متناسين أن الاسلام دين السلام والثقافة والمعرفة ، وأنه بفضل علماء الاسلام حصل الغرب والشرق على ما حصل من علوم ومعارف في مختلف المجالات والفنون ، وكذلك هناك حملات معادية لإبعاد المسلمين عن دينهم تعمل بقوة في اوساط المسلمين وبشكل منظم وخطر ، باللغات القومية والمحلية للمسلمين كالداغستانية والتتارية والباشكيرية . فمثلاً يأتي المبشرون النصارى إلى المصانع ، حيث يطرحون افكارهم وينشرون ثقافتهم بين العمال المسلمين ، ويعملون على حرفهم عن دينهم وابعادهم عن معتقداتهم الاصلية ، لا سيما وأن عودة المسلمين الروس إلى دينهم كانت عودة سريعة بعد انقراط عقد الاتحاد السوفياتي السابق ، وانهيار النظام الشيوعي ، حيث قامت حركة دينية عارمة متحمسة للعودة إلى الدين وممارسة الشعائر الدينية ، وهذه العودة تحتاج إلى تنسيق وتربية واعداد ، ويجب العمل لوضع خطة لحماية المسلمين ضد الحملات المعادية المختلفة ، ولنشر الثقافة الاسلامية وتعريف الناس بها . ويبدل المسؤولون والمتصدون من علماء الاسلام والمثقفين الاسلاميين جهوداً كبيرة ، رغم ضعف الامكانيات وبساطتها ، وذلك عن طريق طباعة بعض الكتب بين الحين والآخر ، وترجمة عدد من الكتب الاسلامية إلى اللغات المحلية ، وفتح المراكز التعليمية في المدن والارياف ، والتأكيد على دور المسجد في بناء وتربية وتثقيف المسلمين ، وعن طريق صحيفة الايمان الناطقة بلسان مركز التنسيق الاعلى التي تصدر شهرياً .

إن الاسلام في روسيا بدأ يتقدم ليأخذ موقعه المناسب كما في بقية البلدان ، وبدأت الحياة الاسلامية تدب في الكثير من المرافق الحيوية للشعب

الروسي ، وبعد أن كانت المساجد مهجورة في الحقبة السابقة دبت فيها الحياة ، وارتفع الأذان من على مآذنها الشامخة مبشراً بميلاد فجر جديد للإسلام في روسيا .

المصادر :

- ١ - المسنون المنسيون في الاتحاد السوفياتي . تأليف الكسندر بينيفسن وشانتال لوميريه ، ترجمة عبد القادر ظللي .
- ٢ - المسلمون في الاتحاد السوفياتي . تعريب الدكتور إحسان حقي .
- ٣ - الاسلام والمسلمون في البلاد السوفياتية . ضياء الدين باباخان .
- ٤ - مجلة البلاد اللبنانية ، العدد ٣١٣ .
- ٥ - مجلة البلاد اللبنانية ، العدد ٣٢١ .
- ٦ - مجلة التوحيد العدد ١٢ ، مسلمو الاتحاد السوفياتي ، السيد هاني فحص .
- ٧ - القوميات والدولة السوفياتية ، تأليف دونكوس .

قال رسول الله الكريم (ص) :

لَكُمْ سُلُوكٌ فِي خَوَاتِمِ
لَا فَضْلَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ
إِلَّا بِالْتَّقْوَى

من عزركم
أهل البيت



عبد الصام خير الله

في رحاب الإمامة الواردة نفياً للقلوب العسيفة بأضواء الرضا، وتنتشق أنفاس الهدى والسكينة، وتكفي ربيع وجوبها، وأنس وحشيتها وضيقها، فإذا هي رياء بعد ظمأ، وخضراء بعد إقفار، ومطمئنة بعد إصهار.

وفي هذا الباب نستشرف في تلك الرحاب من أضوائها ما يهدي سبيلنا، ويكفر خطرات نفوسنا، ويثبت على مسالك الحق والحقيقة خطانا، حيث ﴿يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِدَ لَهُ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرِيدًا﴾.

وقد كانت مناهل قبساتنا هذه كل من كتب بحار الأنوار، والكافي، ونهج البلاغة وميزان الحكمة، وغرر الحكم.

«التحرير»

طهارة القلب :

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام : « طهروا قلوبكم من درن السيئات ، تضاعف لكم الحسنات » .



٢- وعنه عليه السلام : « طهروا قلوبكم من الحقد فإنه داء موبئ » .

٣- وعنه عليه السلام : « قلوب العباد الطاهرة مواضع تنظر الله ، فمن طهر قلبه نظر إليه » .

٤- قال الامام السجاد عليه السلام : « قال موسى بن عمران عليه السلام : يا رب من أهلك الذين

تظلمهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ؟ ... فأوحى إليه : الطاهرة قلوبهم ... » .

٥- عن الامام الكاظم عليه السلام : أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : « ... بحق اقول لكم :

لا يفتني عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً . كذلك لا تغني

أجسادكم التي قد اعجبكم وقد فسدت قلوبكم ، وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم ، وقلوبكم دنسة . لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب . ويمسك النخالة ، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم ... » .

انفراح القلب :

١ - قال رسول الله ﷺ : - وقد قرأ ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ - : « إن النور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح . قالوا : يا رسول الله ، فهل لذلك علامة يعرف بها ؟ قال : التجافي عن دار الغرور ، والإجابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت » .

٢ - وعنه ﷺ : « إذا أراد بعبد خيراً فتح له قفل قلبه ، وجعل فيه اليقين والصدق ، وجعل قلبه واعياً لما سلك فيه ، وجعل قلبه سليماً ، ولسانه صادقاً ، وخليقته مستقيمة . وجعل أذنه سمیعة . وعينه بصيرة » .

٣ - قال الصادق عليه السلام : « إذا أراد الله بعبد خيراً شرح صدره للإسلام ، فإذا أعطاه ذلك نطق لسانه بالحق ، وعقد قلبه عليه فعمل به ، فإذا جمع الله له ذلك تم له إسلامه » .

عمى القلب وحجابه :

١ - قال رسول الله ﷺ : « أعمى العمنى عمى الضلالة بعد الهدى ، وشر العمنى عمى القلب » .

٢ - وعنه ﷺ : « إذا أذنّب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا تاب صُقل منها ، فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه » .

٣ - قال الباقر عليه السلام : « إنما الأعمى عمى القلب ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

٤ - وعنه عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ﴾ : « فمن لم يبدئه خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، ودوران الفلك بالشمس »

والقمر ، والآيات العجيبات على أن وراء ذلك أمراً هو أعظم منه فهو في الآخرة أعمى ، فهو عمال يعمى وأظلم سبيلاً » .

٥ - وعن الامام الرضا عليه السلام : في هذه الآية قال : « يعني أعمى عن الحقائق

الموجودة » .

قسوة القلب ولينه :

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير

ذكر الله يقسي القلب ، وإن أبعد الناس من الله القاسي القلب » .

٢ - وعنه عليه السلام : « ترك العبادة يقسي القلب » .

٣ - وشكا رجل إليه عليه السلام قسوة قلبه فقال : « إذا أردت أن يلين قلبك فأطعم

المسكين وامسح رأس اليتيم » .

٤ - وعنه عليه السلام : « عودوا قلوبكم الرقة ، وأكثرُوا من التفكر والبكاء من خشية الله » .

٥ - وعنه عليه السلام : « ثلاثة يقسين القلب : استماع اللهو ، وطلب الصيد ، وإتيان باب

السلطان » .

٦ - من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام : « فالقلوب قاسية عن حظها ، لاهية عن

رشدِها ، سالكة في غير مضمارها ، كأن المعنى سواها ، وكأن الرشد في إحراز دينها » .

٧ - وعنه عليه السلام : « ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب ، وما قست القلوب إلا لكثرة

الذنوب » .

٨ - وعنه عليه السلام : « كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلب » .

٩ - قال الامام الباقر عليه السلام : « إن لله عقوبات في القلوب والأبدان ، ضحك في

المعيشة ، ووهن في العبادة ، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب » .

١٠ - وعنه عليه السلام : « تعرض لرقعة القلب بكثرة الذكر في الخلوات » .

١١ - قال الصادق عليه السلام في حديث له : « ومن قسا قلبه بعد من ربه عز وجل » .

١٢ - وعنه عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من علامات الشقاء جمود العين ، وقسوة

القلب ، وحشة الحرص في طلب الرزق ، والإصرار على الذنب » .

موت القلب وحياته :

١ - قال رسول الله ﷺ : « أربع يُمتن القلب : الذنب على الذنب ، وكثرة مناقشة النساء ، يعني محادثتهن ، وممارسة الأحق ، تقول ويقول ولا يرجع إلى خير ، ومجالسة الموتى . فقيل : يا رسول الله ، وما الموتى ؟ قال : كل غني مترف » .

٢ - وعنه ﷺ : « إياك وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب » .

٣ - وعنه ﷺ : « إن الله عز وجل يقول : تذاكر العلم بين عبادي مما تحيا عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري » .

٤ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : في حديث له : « ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار » .

٥ - وعنه عليه السلام : « معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب » .

٦ - وعنه عليه السلام من خطبة له : « واعلموا أنه ليس من شيء إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويملّه ، إلا الحياة فإنه لا يجد في الموت راحة ، وإنما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت ، وبصر للعين العمياء ، وسمع للأذن الصماء » .

٧ - وعنه عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام : « أخي قلبك بالموعظة ، وأمتة بالزهادة » .

٨ - قال الامام الحسن عليه السلام : « عليكم بالفكر فإنه حياة قلب البصير ، ومفاتيح أبواب الحكمة » .

٩ - قال الامام زين العابدين عليه السلام في مناجاة له : « وأما قلبي عظيم جنايتي ، فأحبه بتوبة منك يا أُملي وبغيتي » .

١٠ - عن الامام الكاظم عليه السلام أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : « يا بني اسرائيل ، زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوا على الركب ، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء » .

مرض القلب وشفاءه :

١ - قال رسول الله ﷺ : « ذكر الله شفاء القلوب » .

٢- وعنه عليه السلام : « إياكم والعراء والخصومة ؛ فإنهما يعرضان القلوب على الإخوان ، وينبت عليهما النفاق » .

٣- قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن من البلاء الفاقة ، وأشد من ذلك مرض البدن ، وأشد من ذلك مرض القلب ، وإن من النعم سعة المال ، وأفضل من ذلك صحة البدن ، وأفضل من ذلك تقوى القلوب » .

٤- وعنه عليه السلام في خطبة له : « فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم ، وبصر عمى أفندتكم ، وشفاء مرض أجسادكم ، وصلاح فساد صدوركم ، وطهور دنس أنفسكم ، وجلاء عشا أبصاركم ، وأمن فزع جأشكم ، وضياء سواد ظلمتكم » .

٥- وعنه عليه السلام : « لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب » .

٦- قال الامام الصادق عليه السلام : « ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته . إن القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله » .

ربيع القلب وجلاؤه :

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء . قيل : وما جلاؤها ؟ قال : كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن » .

٢- وعنه عليه السلام : « إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس فاجلوه بالاستغفار » .

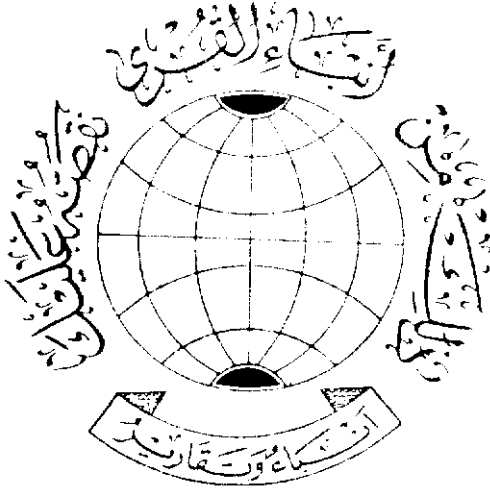
٣- وعنه عليه السلام : « جلاء هذه القلوب ذكر الله وتلاوة القرآن » .

٤- قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له : « وإن الله سبحانه لم يعف أحداً بمثل هذا القرآن ، فإنه حبل الله المتين ، وسببه الأمين ، وفيه ربيع القلب ، وينابيع العلم ، وما للقلب جلاء غيره » .

٥- وعنه عليه السلام : « إن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب ، تسمع به بعد الوقرة ، وتبصر به بعد العشوة ، وتنقاد به بعد المعاندة » .

٦- ومن خطبة له عليه السلام : « وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث ، وتقفوها فيه فإنه

ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور » .



من ألباء الصرعى

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليه السلام) في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

■ الجمهورية الإسلامية الإيرانية

كشف ونسف المبررات

الواهمية للوجود الأميركي



في المنطقة

إن السياسة الحكيمة للجمهورية الإسلامية الإيرانية حققت إنجازات باهرة على صعيد تحريكها إزاء دول الخليج الفارسي العربية خاصة ، والعالم العربي بشكل عام ، مما دعا إلى نجاحها في تصحيح المفهوم الخاطئ الذي روجته الإدارة

الأميركية، وهو ادعاء أن الجمهورية الإسلامية تهدد المنطقة ، والواقع أن سر نجاح الدبلوماسية الإسلامية الإيرانية في هذا المجال - إضافة إلى مصداقية سياسة إيران الإسلامية ، والالتزام بالثوابت المبدئية المتمثلة بحرص القيادة الإسلامية على مصلحة الإسلام والشعوب الإسلامية ودول المنطقة - يكمن في أن تداعيات وتردي أوضاع المنطقة ، وممارسات الإدارة الأميركية والكيان الصهيوني

التفوق النوعي والكمي العسكري للكيان الصهيوني على كل الدول العربية ، بينما لا تسمح اميركا للدول العربية باستيراد الأسلحة حتى التقليدية ، كما فعلت ذلك مع سوريا ومصر ، حيث شنت حرباً شعواء ضد جنوب افريقيا عندما اتضح أن هذه الاخيرة تريد تزويد سوريا بأسلحة ، وهددت بقطع المساعدات المالية عن مصر لمجرد شياع أنها تريد استيراد صواريخ كورية . أما فرق التفتيش في العراق فهي تصول وتجول ، وأما ما يسوّق لدول الخليج الفارسي العربية من اسلحة ، فهي اسلحة قديمة تهدف إلى تصريفها من المخازن وامتصاص اموال تلك الدول، ثم إن هذه الدول تعلم جيداً أن هذه الاسلحة لا تستخدم إلا بأشراف اميركي ، كما لا تستخدم في حرب العدو الصهيوني مطلقاً .

وقد جاء الموقف الاميركي من مذبحة قانا والاستيطان الاسرائيلي ، ليؤكد للعرب الانحياز الاميركي للعدو الصهيوني في قضية الحق العربي المغتصب ، بل ليشكل تهديداً للامن

د عززت موقف ايران الاسلامي ، شكلت مصاديق ميدانية يومية على ضج ومصادقية السياسة الاسلامية ليرانية والرؤية الثاقبة التي تنظر بها قيادة الاسلامية لمستقبل المنطقة لتحركات القوى المعادية .

إن الجمهورية الاسلامية أعلنت وقفها من التسوية بكل وضوح ، قالت كلمتها لكل العالم ، أن التسوية م تكن سوى محاولة لاختضاع العرب . هدر القضية الفلسطينية إلى الأبد ، فتح الآفاق امام العدو الغاصب يفرض وصاياته السياسية العسكرية والاقتصادية على الدول عربية ، وجاءت فصول التسوية كما تحدث هي الآن عن نفسها من خلال وقائع ، لتدعم الرؤية الاسلامية ، لتؤكد نضج الموقف الاسلامي ، ايضاً جاءت السياسة الاميركية تؤكد هذا الموقف ، حيث إن اميركا سملت طيلة تلك الفترة لزعة تهديد الامن العربي من خلال تقوية نوكة العدو بالاسلحة ، وعلن وليم كوهيم وقبله وليم بري وزيراً دفاع ميركا ، أنهما سيعملان لإحراز

العربي .

إن الجمهورية الاسلامية تدرك هذا الواقع الجديد ، وأنه لعب دوراً في تعزيز فرص التعاون التجاري والاقتصادي والتواصل الدبلوماسي مع بعض دول الخليج الفارسي العربية ، وأكثر الدول العربية ، لكنها ترى أن هذا التعاون يجب أن يترجم إلى خطوات عملية ميدانية تعود فائدتهما على كل دول المنطقة ، وقد دعت الجمهورية الاسلامية دول الخليج الفارسي إلى عقد معاهدة امسية معها ، تلتزم بموجبها الجمهورية الاسلامية بالدفاع عن الدول العربية وعن شعوبها بوجه أي تهديد خارجي ، وقد حظيت هذه الدعوة باهتمام كبير من قبل الاوساط الاعلامية الغربية ، ومن قبل الاوساط الصحفية في دول الخليج الفارسي العربي .

إن التعاون الامني لحماية سيادة وثروات وممرات هذه الدول ، هي من صميم مسؤوليتها ، لا سيما والمنطقة توصف بأنها أكثر بقاع العالم اهمية استراتيجية وجذباً للدول الكبرى ؛

بسبب غناها بالنفط ، وموقعه الجغرافي الذي يربط بين ثلاث قارات هي آسيا وافريقيا واوربا . وإن أي تهديد للجمهورية الاسلامية يعد تهديداً لدول المنطقة ، والعكس صحيح ، مما يفرض ايجاد صيغة محددة للتعاون الامني بين اطراف المنطقة ، لتحسينها من أي تهديد لاستقرارها أو محاولات تدخل اجنبيا تضرب سيادتها واستقلالها ، ولعل شعوب المنطقة وحكوماتها بدأت تدرك جيداً بعد حرب الكويت وافرازاتها ، ما يسببه الوجود الاجنبي على اراضيها من انتهاك واستهتار ليس لتقاليد وعقائد شعوب المنطقة وحسب ، وإنما لاستقلالها وكرامتها . وهو ما حدا تلك الشعوب إلى تصعيد مطالبها باخراج هذه القوات ، التي باتت تشكل تدنيساً للمقدسات الاسلامية ، ولعل انفجار الخبر - الذي تحاول اميركا الصاقه بالجمهورية الاسلامية بطريقة أو اخرى - خير دليل على تبرم ورفض الشعوب العربية للوجود العسكري الاميركي على اراضيها .

العسكري الأميركي .

إن التحديات الخطيرة بدأت تزداد خطراً بالنسبة للعرب وامنهم في الآونة الاخيرة ، في ضوء ما تتعرض له سوريا ولبنان من تهديدات صهيونية جدية ، ومن التلويح باستخدام القوة ، وفي ضوء ما يتعرض له الاسلام والمقدسات الاسلامية ، ولا سيما القدس ، من مخططات اميركية صهيونية جدية ، كما تمثل في الاستيطان في القدس ، وفي قرار الكونغرس الاميركي بالاعتراف بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني ، ومن ثم في الملصقات الجدارية التي تسيء إلى قدسية وحرمة نبينا نبي البشرية محمد ﷺ ، وفي محاولات اثارة الفتن بين الدول العربية والاسلامية ، كما تمثل ذلك في اثارة الفتن بين تركيا والجمهورية الاسلامية ، وتركيا والدول العربية ، وبين الدول العربية نفسها ، فكل هذه التحديات تتطلب تحصين المواقع العربية بالتعاون مع العمق الاسلامي، سواء الجمهورية الاسلامية أو باقي الدول الاسلامية .

إن الادارة الاميركية تحاول جاهدة تطويق العالمين العربي والاسلامي بحزام عسكري صهيوني تركي ، اوغندي ، اريتري ، يهدف إلى تحقيق عدة طموحات ، منها تهيئة الاوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية في المنطقة لاختضاعها للهيمنة الصهيونية ، وتحويل المنطقة إلى سوق استهلاكية للمنتجات الاميركية الصهيونية ، ومن ثم فرض وصاية اميركية صهيونية على دول المنطقة ، بحيث إن اميركا تصبح هي التي تتحكم في شؤونها ومقدراتها ومسيرتها وكل شيء فيها ، ولعل في تصريحات وزير الدفاع الاميركي اليهودي في زيارته لدول الخليج الفارسي العربية خير مؤشر ، فبدلاً من أن يقول إن قواتهم باقية في تلك الدول بسبب ما يسمونه بالخطر من ايران والعراق كما كان يردد سابقاً ، نلاحظه يقول إن قواتهم باقية مادامت لديهم مصالح في تلك المنطقة ، وهذه المصالح لا تنتهي إلا بانتهاء النفط ، مما يعني ذلك تهديداً لسيادة وامن هذه الدول ، وكشفاً لأهداف الوجود

إن المبادرة الجديدة للجمهورية
الاسلامية جديرة بالاهتمام ، وتشكل
خطوة مهمة في استقرار المنطقة ،
وبعقد المعاهدة الامنية سوف تنسف
كل المبررات الواهية للوجود
الاميركي في المنطقة .

الانتخابات الاسلامية نموذجا يقتدى به

إن مسألة نجاح الانتخابات في بلد
تعكس بجلاء حقيقة العلاقة والرابطة
بين القيادة والشعب ، وفي ايران
الاسلام اثبتت الانتخابات عمق
الترابط الروحي بين الشعب الايراني
وقيادته ، باعتبار أن الانتخابات
انموذج بارز لشعبية النظام
الاسلامي ، ومظهر للثقة المتبادلة بين
الأمة والحكومة ، كما أثبتت الحكومة
الاسلامية صدقها ووفاءها للشعب
الايراني المسلم ، وعليه فإن الحرية
في انتخاب الحكومات التي يدعيها
الكثير من الدول وترفعها شعاراً لها ،
لم تجد نفسها في أي بلد من بلدان
العالم كما وجدت في الجمهورية
الاسلامية .

إن الديمقراطية الغربية تعيش

تعاكساً وازدواجياً واختلافاً واضحاً
بين افكارها وحقيقتها ، وبين الواقعية
التي تعيشها ، سواء بالنسبة لبداية
الانتخابات أو ما تتبناه الحكومة
المنتخبة عملياً بعد ذلك ، فإن حشد
اصوات الناخبين يتم هناك من خلال
الدعايات الكبيرة التي تصرف فيها
ملايين الدولارات ، تتوزع على
الحفلات الماجنة وتسخير الابواق
للتأثير عاطفياً على الجماهير ، من
خلال الوعود الكاذبة والشعارات
البراقة والرفاه الموعود . ولكن بعد أن
تضع الانتخابات اوزارها ، ويعتلي
الرئيس المنتخب كرسي الحكم ، يدير
ظهره للجماهير ويبدأ بتحقيق
اغراضه الفردية ، وهذا ما لم نر له أثراً
في ايران الاسلامية في الدورات
الانتخابية السابقة ، اضافة إلى
الانتخابات الاخيرة التي جرت ، حيث
إن أي مرشح لا يمكن أن يُقبل دون
مصادقة مجلس الخبراء الذي يعتمد
في المرشح صفات الايمان والعدل
والاستقامة والنزاهة والشجاعة
والكفاءة ، وغيرها من الصفات
الضرورية والحميدة ، ولذا فإن

المنطقة الاسلامية عموماً ، بل يكاد أن يكون اهم احداث هذا العالم ، حيث شهد الاعداء قبل الاصدقاء على نزاهة هذه الانتخابات ونظافتها ، واعترف الكثير من الاوساط السياسية في العالم أنها لم تشهد أي تزوير . كما في دول العالم الثالث عموماً ، حتى إن الولايات المتحدة الاميركية العدو الأول لايران الاسلامية اعترفت بنزاهة هذه الانتخابات ، وشهدت بروعتها ، وأنها كانت نموذجية ، والفضل ما شهدت به الاعداء .

لقد افرزت الانتخابات الرئاسية جملة من النتائج والمؤشرات ، سواء على المستوى الداخلي للبلاد ، حيث ردود الفعل الداخلية لصالح النظام ، وادارة الجمهورية الاسلامية النابعة من التعاليم الاسلامية ، وتحقق مصداقية الخطاب الاسلامي لدى الشعب الايراني المسلم ، أو على المستوى الخارجي من خلال ردود الفعل الايجابية من قبل الدول والمنظمات والاحزاب الاسلامية ، وانعكاس ذلك على الوضع الاسلامي العام .

المرشحين سواء بالنسبة للشعب في النتيجة ، ولا فرق بينهم إلا في الرؤية والاجتهاد ، ثم إن كرسي الرئاسة في الجمهورية الاسلامية الايرانية ليس مكاناً للراحة والبذخ والملذات ، بل هو للكد والنصب والجهاد والخدمة ، حيث إن رئيس الجمهورية يتصرف باعتباره خادماً للشعب كما يصفه الامام الخميني (ع) ، ويبقى خادماً للشعب حتى حين انتهاء فترة رئاسته ، وهذا إنما يكشف عن صدق الانتماء للشعب ، وصدق العمل بالمبادئ الاسلامية العالية .

نصر جديد يضاف إلى قائمة انتصارات

الشعب الايراني المسلم

سجل الشعب الايراني المسلم مؤخراً انتصاراً كبيراً أضيف إلى قائمة انتصاراته المستمرة على طريق تحكيم الاسلام ، وتثبيت قواعد الجمهورية الاسلامية ، وذلك في المشاركة التي قل نظيرها في الانتخابات التي جرت لاختيار رئيس جديد للجمهورية الاسلامية . وقد شكلت هذه الانتخابات حدثاً هاماً في

ومن المسائل المهمة على المستوى الداخلي والتي يمكن الإشارة إليها هنا ، أن تجربة الانتخابات الاخيرة قد جرت في ظل اجواء سليمة ، وهو ما يعبر عنه بالأجواء الديمقراطية ، بالرغم من الحملات الاعلامية والدعائية التي مارستها كافة الاطراف المشاركة بما تمتلك من وسائل خاصة ، ومما عزز الاعتقاد لدى مئات المراسلين الاجانب الذين عايشوا الاجواء السياسية في العاصمة طهران ، بنزاهة الانتخابات وعدم حصول أية حالات تزوير مهما كانت بسيطة ، هو وقوف قائد الثورة الاسلامية آية الله العظمى السيد الخامنئي ، ورئيس الجمهورية الهاشمي الرفسنجاني ، موقفاً محايداً من الاطراف المشاركة دون الاعلان عن رأيهما صريحاً ، اضافة إلى أن الشيخ ناطق النوري الذي يمسك انصاره ومؤيدوه بالعديد من مؤسسات الحكم بقوة ، لم يحصل إلا على سبعة ملايين صوت ، في حين أن منافسه السيد الخاتمي الذي لا يحتل مؤيدوه أي موقع هام

في السلطة ، استطاع أن يحصل على تأييد أكثر من عشرين مليون ناخب ، ولهذه المسألة دلالات هامة . والمسألة المهمة الثانية التي دلّت عليها الانتخابات الرئاسية الاخيرة ، هي أن مبدأ ولاية الفقيه التي يستند إليه النظام الاسلامي ، قد أثبت جدارته في الممارسة السياسية وتداول السلطة ، بعيداً عن أي احتكار للمسؤوليات أو استئثار بالمناصب ، وهذا ما اراد أن يربّي عليه الاسلام المسلمين في كيفية تعاملهم مع الحكم الاسلامي وادارة الدولة الاسلامية .

المسألة المهمة الاخرى هي أن مشاركة ابناء الشعب الايراني المسلم ، الذين بلغ عددهم قرابة الثلاثين مليون ناخب ، قد جاءت بعد مرور أكثر من ثمانية عشر عاماً على تأسيس الجمهورية الاسلامية ، بكل ما حملته تلك الاعوام من تحديات خارجية ، ومصاعب داخلية ، وازهاق اقتصادي نتيجة للحصار الذي يفرضه الاستكبار العالمي على الجمهورية الاسلامية ، لتعكس ثقة

الشعب المسلم بقيادته الاسلامية ،
وبحكومته ونظامه الاسلاميين ،
ولتعزيز مشروعية النظام الاسلامي ،
وقيادة العلماء الربانيين وتصديهم
لخدمة المبادئ والامة الاسلامية .

أما على المستوى الخارجي فقد
تركت هذه الانتخابات دلالات هامة
منها :

١ - أن النظام الاسلامي الايراني
استطاع أن يثبت للغرب أن استقراره
يتم في ضوء الشرعية الدستورية ،
والانتخابات العادلة والسليمة التي
تجري بكل حرية وفقاً لاسس
موضوعية معروفة ، وأنها من ثم لم
تكن شكلية كما زعم الاعلام الغربي ،
أو أنها عملية ثورية مضادة وانقلابية
كما يزعم المعادون للجمهورية
الاسلامية .

٢ - أن النظام الاسلامي استطاع أن
يبرهن عملياً أيضاً أنه يعطي الاختيار
للشعب عبر انتخابات نظيفة ، قل أن
نجد مثلاً حتى في الدول الديمقراطية
الغربية ، وأن نسبة المشاركة التي
بلغت ٩١٪ دليل على وجود قناعة
شعبية بوجود انتخابات حقيقية حرة ،

وهي نسبة مرتفعة جداً تفوق ما
يحدث في الديمقراطيات الغربية
أيضاً ؛ ودليل على أن تداول السلطة
يتم بشكل سلمي طبيعي ، مما يؤكد
نجاح هذه التجربة الاسلامية .

٣ - أن المشاركة الجماهيرية
الواسعة دحضت في الواقع ما يقال
ويثار من تحليلات وتصورات غربية
عن تراجع شعبية الثورة الاسلامية ،
واستطاع المسلمون الايرانيون أن
يؤكدوا للرأي العام العالمي أن ما
تردده وسائل الاعلام الغربية
والاميركية والصهيونية من تقارير
واخبار ، عن انحسار شعبية
وجماهيرية الحكومة الاسلامية في
ايران ، لم تكن صحيحة ، وأن هذا
النجاح والانتصار كان بمثابة ضربة
قوية لاعداء الاسلام أينما كانوا . ومن
المناسب أن ننقل هنا ما صرح به
رئيس تحرير صحيفة الشعب
المصرية المؤيدة للتيار الاسلامي
حيث قال : «إن الانتخابات مثلت قنبلة
أو زلزالاً في وجه الغرب والمعادين
للالسلام والمستبدين» .

٤ - أن نجاح التجربة الانتخابية في

ايران الاسلامية سيكون له اثره على المحيط العربي والاسلامي ، لكونها تجربة اسلامية وليست غربية ، مما سيزيح الالتباس في الرؤية وعدم الوضوح لدى البعض من الدول الاسلامية في أن الايديولوجية الاسلامية المعتمدة في ايران ، والمستمدة من الاسلام الاصيل القائم على اصول مدرسة اهل البيت عليه السلام ، قد أثبتت تفوقها على الديمقراطية الغربية .

من جانب آخر استبشر الكثير من المنظمات والاحزاب الاسلامية بنجاح هذه التجربة ، ولم يخف الكثير من الاوساط الاسلامية سرورها وفرحها بهذا الانتصار ، واعتبرته نصراً كبيراً للاسلام وللإيديولوجية الاسلامية وللنظام الاسلامي ، ووصفت ما جرى في ايران الاسلامية عبر وسائل اعلامها وصحفها ، بأنه شاهد على عدل الاسلام وديمومته . ومن الحركات الاسلامية المعروفة التي اشادت بما جرى اخيراً في الجمهورية الاسلامية الايرانية ، حركة الاخوان المسلمين عبر اعلامها

وصحفها ، ومن جملة ما اشارت إليه أن الممارسة الانتخابية للناخبين الذين شاركوا في التصويت ، أثبتت أن نسبة كبيرة منهم هم من جيل الشباب الذين ولدوا بعد الثورة ، ومع ذلك لوحظ أنهم متمسكون بالقيم الاسلامية الثورية ، وحريصون على دعم ومساندة ثورتهم ودولتهم في مواجهة التحديات الدولية . وعُست أيضاً في اعلامها موضوعاً مهماً للغاية ، وهو أن علماء الدين كانوا هم القيادة المؤثرة في هذه الانتخابات ، وهو دور طبيعي للعلماء في ظل أي حكم اسلامي ، وكذلك أكدت على مصداقية النظام الاسلامي في ايران ، وأنه لا يجامل شخصاً مهما ارتفع قدره ، حيث لم تقم القيادة الاسلامية الايرانية بتغيير الدستور ليمسح للرئيس الحالي ، وهو في اوج عطائه السياسي وقدراته وامكاناته المتميزة ، أن يرشح نفسه لمدة ثالثة ، وقد كان بالامكان فعل ذلك ، ولا سيما أن الأوضاع الإقليمية والدولية الضاغطة على ايران ستبرر ذلك التغيير .

الحسين عليه السلام وثورته الرائدة ، فقد شددت السلطة اجراءاتها الوحشية لمنع اقامة الشعائر الحسينية الدينية ، وحشدت لذلك عشرات الآلاف من قوات الجيش والشرطة والامن وقوات القمع الخاصة ، التي احاطت بالمدينة المقدسة كربلاء من جميع الجهات ، حيث حضر لزيارة المرقد الطاهر لسيد الشهداء اكثر من مليوني زائر من العراق وبقية البلاد الاسلامية .

ولم يكتف النظام بكل هذا الارهاب والقسوة ، حتى قام بتخطيط مسبق بعدوان آثم وصارخ على الحرم الحسيني وزواره ، فقامت المجموعات المسلحة الخاصة التي شكلها النظام لهذه العملية القمعية بمهاجمة الحرم من خمس جهات ، وقاموا بالاعتداء على الزائرين من الرجال والنساء والشيوخ والاطفال بالضرب المبرح بالهراوات واخراجهم وركلهم بالارجل .

إن الجريمة الوحشية بهتك الحرم الحسيني المقدس لدى المسلمين عموماً ، واتباع اهل البيت عليهم السلام ومحبيهم خصوصاً ، لا مبرر لها

واخيراً أثبت الشعب المسلم في ايران أنه حاضر بكل اندفاع وقوة للاستمرار في بناء الجمهورية الاسلامية ، وأنه سيبقى وفياً للاسلام ولمؤسس الدولة الاسلامية المعاصرة الامام الراحل الخميني الكبير عليه السلام ، ولخلفه ولي امر المسلمين سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي دام ظله .

« العراق »

« هيهات منا الذلة »

في بلد المقدسات الاسلامية

إن الشيء المثير للعجب والاستغراب والحزن ، هو أن النظام العراقي لا زال يمارس كل يوم الواناً من القمع والارهاب والاستهتار بحرمان الشعب وكرامته ومقدساته ، دون حياء وخجل أمام مسع ومرأى من ادعاء الحرية وحقوق الانسان والشعوب . لقد عاودت السلطات اسلوبها القمعي في منع ابناء الشعب المسلم من ممارسة ايسر حقوقهم الدينية ، والتي منها اقامة الشعائر الدينية المرتبطة باحياء نهضة الامام

سوى الاستفزاز والاعتداء على الزوار الذين جاءوا للزيارة والدعاء والبكاء عند الحسين عليه السلام.

ومما اغاظ النظام البعثي المتسلط على رقاب الشعب العراقي المسلم ، الحضور الجماهيري الواسع لاهياء هذه المناسبة ، وعدم الاكتراث بالتهديد والوعيد اللذين اطلقتهما السلطة ، فالبرغم من التعليمات التي اصدرتها ، بمنع اجراء الشعائر الحسينية التي اعتاد اقامتها الشعب العراقي المسلم منذ مئات السنين ، تلك التعليمات التي كانت تذاع عبر مكبرات صوت منصوبة على سيارات تتجول في مدن العراق ، والتي جاء في قسم منها منع اطالة اللحية ، ونصب السواد ولبسه ، واطعام الطعام ، وتوزيع الماء ، والذهاب مشياً إلى كربلاء المقدسة ، والتجمع وقراءة التعازي ، بالرغم من كل هذا خرج من مدينة البصرة وحدها وهي من مدن جنوب العراق ، مئة وخمسون الف شخص من الرجال والنساء مشياً على الاقدام باتجاه مدينة كربلاء المقدسة ، إلا أن

قوات أمن النظام اعترضتهم واجبرت قسماً منهم على العودة إلى المدينة ، في حين اشتبك قسم آخر من المشاة مع قوات أمن النظام التي بادرت إلى اطلاق النار عليهم ، فأصابت العديد منهم ، وقتل آخرون بينهم عدد من النساء .

■ كردستان العراق

بؤرة نفوذ اميركية صهيونية

شهدت المنطقة الشمالية من العراق مؤخراً أكبر اجتياح من نوعه تقوم به القوات التركية للمنطقة الكردية ، بحجة استئصال مقاتلي حزب العمال الكردستاني ، والقضاء على حركتهم الميدانية والعسكرية . ولم تكن هذه العملية جديدة ، وليست الاولى ، لكنها تختلف بشكل جوهري وواضح عن العمليات السابقة من نواح عدة ، منها حجم القوات التركية الذي بلغ اكثر من ثلاثين الف جندي بمعدات ثقيلة ومتطورة ، وسعة المنطقة التي دخلتها القوات واشترك الحزب الديمقراطي الكردستاني في القتال

لتهجير اليهود الاكراد إلى فلسطين المحتلة ، فضلاً عن وجود شبكة من العلاقات الاستخبارية المشبوهة في المنطقة .

هذا في الوقت الذي أعلنت فيه أنقرة أن قواتها إنما غزت شمال العراق للقضاء على حزب العمال الكردستاني ، والحقيقة التي باتت معروفة على نطاق واسع أن قوات حزب العمال الكردستاني التركي توقفت منذ فترة طويلة عن النشاط المسلح انطلاقاً من الأراضي العراقية، ونقلت عملياتها إلى داخل الأراضي التركية ، وحوّلت مقراتها المسلحة إلى مقرات سياسية مجردة من المقاتلين والأسلحة .

ولو كانت القيادة العسكرية التركية صادقة في دعواها ، لعمدت إلى ضرب عناصر حزب العمال الكردستاني ومواقعهم داخل الأراضي التركية ، ولكن يبدو أن العسكر التركي يريد إبقاء هذه الورقة الكردية لتحقيق اهدافه البعيدة المرتبطة بالاهداف الاستخبارية في المنطقة .

إلى جانب القوات التركية ، التي زعمت أن تدخلها جاء بناءً على طلب هذا الحزب .

والواقع أن هذا الحزب بتحالفه الجديد هذا مع الاترك ، بعد تحالفه مع نظام بغداد من قبل ، يفصح عن واقع 'الازمة التي يعيشها هذا الحزب بشكل خاص والاكرد بشكل عام .

ومن ناحية أخرى خاض الجيش لتركلي عملياته العسكرية في شمال العراق بدعم اميركي علني ، وبخبرة عسكرية جديدة نتيجة للتعاون لاستراتيجي مع الكيان الصهيوني ، قد كشف عن وجود عسكريين سهيانية في موقع ميدان استطلاعي تقدم في مدينة «عقرة» في كردستان لعراق ، كما أن هناك نوايا خبيثة تحويل شمال العراق إلى بؤرة نفوذ سهيونية اميركية تركية ، ومن ثم تحول هذه المنطقة إلى فلسطين خسرئ ، ولكن وفق الاطماع المخططات التركية ، علماً بأن تغفل الصهيوني في هذه المنطقة بس جديداً ، فبعد حرب الخليج الثانية شف عن محاولات صهيونية جادة

ونحن نرى أن الاهداف الحقيقية للغزو التركي هي :

أولاً: هدف تاريخي يتمثل في القراءة التي يراها العسكر التركي ، وهي مازالت تسيطر على أحلام قادته وتطلع لضم الموصل وكركوك الغنية بالنفط إلى تركيا ، بعد أن كانت قد ضُمت إلى العراق في نهاية السلطنة العثمانية ، ومن ثم تحقيق هدف الخطة الاستعمارية الداعية لتقسيم العراق ، والتي يرفضها الشعب العراقي المسلم بكل قومياته من الجنوب إلى الشمال ، اضافة إلى أن لهذه التطلعات أهدافاً داخلية ترمي إلى ايقاظ العصبية القومية التركية ، في وجه الخطاب الاسلامي المتزايد الشعبية الذي سعى له رئيس الحكومة التركية نجم الدين اربكان . مما يشكل محور إلهاء للشعب التركي عن قضاياها الاساسية .

ثانياً: هدف استراتيجي أعلنت عنه الصحافة التركية ، حيث تحدثت عن اقامة طويلة للقوات التركية في كردستان العراق ، ومن شأن بقاء كردستان فترة طويلة تحت الوطأة

التركية أن يوجد ظرفاً جديداً ، من ابرز ما يتمخض عنه السيطرة على مناطق اقتصادية وجغرافية استراتيجية مهمة ، فضلاً عن إحكام السيطرة على الطريق الدولي الذي يربط العراق بالجمهورية الاسلامية الايرانية وتركيا ، وقطع الاتصال البري بين سوريا وايران عبر الاراضي العراقية ، وبذلك تتحقق الاهداف الاستكبارية التالية :

١ - إحكام السيطرة على سوريا وتقطيع أوصالها واتصالاتها الخارجية ، وبخاصة مع الجمهورية الاسلامية الايرانية .

٢ - تأكيد التحالف التركي الصهيوني ، وبخاصة فيما يتعلق بحصار سوريا ، ومحاربة الاكراد .

٣ - إسقاط رئيس الوزراء التركي نجم الدين اربكان ، وفي هذا الصدد توافرت تقارير من واشنطن تؤكد وضع هذا الهدف على رأس أولويات الادارة الاميركية والصهيونية ، وهذا ما حدث فعلاً .

٤ - صرف الانظار عن الأزمنة الراهنة لعملية التسوية ، بعد فشل

يلعب دوراً مهماً للتبشير باسلامية الثورة ، بعد أن كانت الاحزاب القومية والماركسية تصبغها بصبغتها المعادية للدين .

وفي السنوات التالية اصبح الاسلاميون جزءاً من الحالة السياسية الرسمية ، وإن ظل ذلك الجزء صغيراً ومحصوراً في مراكز قيادية في وزارة التربية والتعليم ، حيث بدأ الاسلاميون بتنفيذ خطة لجعل المناهج التربوية والتعليمية اسلامية ، التي كانت طوال الستينيات عبارة عن مجموعة مختارة من مناهج الدول العربية ، ولا سيما مصر.

وسهل تفاهم الاسلاميين مع النظام الجديد في صنعاء ، نجاحهم في الجانب الدستوري والقانوني ، حيث أسهموا بقوة في اصدار الدستور الدائم الذي مثل سياجاً وقائياً ضد أي اختراق قانوني من قبل الاحزاب العلمانية ، التي كانت تطمح إلى نظام يشبه أنظمة الدول العربية التقدمية القائمة آنذاك .

وقد نجح الاسلاميون في تحقيق

قمة «شرم الشيخ» بين مبارك وبتنياهو في تحريكها ، إلا على اساس تقديم المزيد من التنازلات العربية والفلسطينية .

■ اليمن

الحركة الاسلامية بين الاهداف المرحلية

والتحديات العلمانية

قدم الاسلاميون في اليمن نموذجاً جديداً للالتزام بقواعد الحياة الانتخابية ، وعادوا للمعارضة بعد أن اعلن حزب المؤتمر الشعبي بعدم مشاركة أي حزب لتشكيل الحكومة الجديدة ، في الوقت الذي كانت كل الانظار تتجه نحو الاسلاميين ، لترى ردة فعلهم أمام نتائج الانتخابات الاخيرة بالمقارنة مع موقف الاشتراكيين ، الذين ادخلوا اليمن في أزمة تطورت فيما بعد إلى حرب أهلية.

إن مشاركة الاسلاميين في السلطة تعود إلى بداية الستينيات ، بعد نجاح الثورة على النظام الإمامي ، وكانت الحركة الاسلامية في طور التأسيس ، إلا أن شبابها استطاع أن

فكرة المعاهد الدينية ، بالإضافة إلى تأسيس مكتب التوجيه والارشاد ، الذي كان له دور مهم في نشر الوعي الاسلامي الصحيح بين الاوساط الشعبية والمتعلمة .

وقد تصدى الاسلاميون لمقاومة الزحف الشيوعي المتعاضم ، وأوجد انتصار الاسلاميين في هذه المواجهة وضعاً جيداً واستقراراً كبيراً في نفوس اليمنيين ، مما ساعد على توسيع القاعدة الشعبية للحركة الاسلامية حتى صارت أكبر قوة شعبية .

وفي اعقاب تحقيق الوحدة اليمنية تحالفا حزبا المؤتمر الشعبي والحزب الاشتراكي ، وكان الهدف من هذا التحالف هو تحجيم دور التيار الاسلامي ، لكن الاسلاميين نجحوا في إفشال هذا المسعى بتحالفهم مع قوى مؤثرة في المجتمع اليمني ، ضمن اطار التجمع اليمني للإصلاح ، وهو ما أتاح لهم تشكيل قوة سياسية ثالثة ، أصبحت فيما بعد القوة المعارضة الرئيسية في البلاد ، مما أكسبهم نفوذاً شعبياً نجحوا بسببه

في تحقيق المركز الثاني في انتخابات عام (١٩٩٣م) ، متقدمين على الحزب الاشتراكي نفسه .

وكان هدف الاسلاميين من المشاركة هو تغيير النمط الاحتكاري في السلطة بين الحزبين أولاً ، وتعديل بعض مواد الدستور التي رأوا أنها لا تتفق مع الشريعة الاسلامية ثانياً ، وعلى هذا الاساس بدأت اول مشاركة علنية للاسلاميين في السلطة في عام (١٩٩٣م) ، بعد أن ظلوا طوال ثلاثين عاماً بعيدين عن صنع القرار السياسي .

وقد مثلت سنوات المشاركة (١٩٩٣م - ١٩٩٧م) ، أهم تجربة سياسية للحركة الاسلامية في اليمن .

ويرى الاسلاميون أن مشاركتهم في السلطة قد حققت انجازات مهمة منها :

١ - نجاحهم في تقديم نموذج راقٍ لمشاركتهم في السلطة ، من منطلق يحترم ارادة الناخبين في فترة سياسية قاسية ، شنت فيها القوى المعادية للاسلاميين في العالم حملة

لا يُستهان بها في تقدير الامور ،
ومعرفة الحقائق التي كانت خافية
عليهم .

وفي المقابل لم تخلُ التجربة من
سلبيات بعضها كان نتيجة للوضع
العام في البلاد ، ولعل من اهم
السلبيات التي رافقت التجربة ازدياد
حجم العداء للاسلاميين من قبل
القوى الاخرى ، التي خشيت من قوة
نفوذ التيار الاسلامي في اجهزة
الدولة ، وهذه القوى جعلت من افشال
التجربة هدفاً لها طوال السنوات
الماضية ، حيث لوحظ أنها ركزت
معظم حملاتها الاعلامية ضد
الاسلاميين .

والحقيقة أن طبيعة مشاركة
الاسلاميين في الائتلاف
كانت تمنعهم من تحقيق أهدافهم
كلها ، لكنهم مع ذلك قدموا
نماذج جيدة في الادارة ، وحققوا
منجزات في ظروف صعبة في تاريخ
اليمن .

وتعتبر هذه المشاركة من
التجارب المهمة في تاريخ الحركة
الاسلامية اليمنية .

لتنشويه موقفهم من الانتخابات ،
والتزام قوانين العمل الانتخابي
القائمة على التعددية ، والتداول
السلمي للسلطة ، وتعزز هذا النجاح
في قرار الاسلاميين بالعودة إلى
مقاعد المعارضة ، بعد حصولهم على
نسبة لا تسمح لهم بالمشاركة الفاعلة
في السلطة .

٢ - إتمام التعديلات الدستورية
بموافقة كل القوى السياسية الفاعلة ،
وهي التعديلات التي ناضل
لاسلاميون طوال سنوات (١٩٩٠ -
١٩٩٢م) لاقتناع الآخرين بها .

٣ - المشاركة الفاعلة في
حماية دولة الوحدة وهزيمة حركة
لانفصال الاشتراكية ، حيث كان
لاسلاميون التيار الوحيد الذي تطوع
لآلاف من شبابه للقتال إلى جانب
وات الجيش .

٤ - إصدار عدد من القوانين
مهمة من مجلس النواب ، مثل قانون
مصارف الاسلامية الذي كان احد
مبادى الحركة الاسلامية .

٥ - المشاركة في إدارة الدولة عدة
سنوات ، أكسبت الاسلاميين خبرات

■ تركيا

اميركا والكيان الصهيوني

هراء الازمة في تركيا

لقد كانت اساليب مواجهة الكفر العالمي الذي تتزعمه الولايات المتحدة الاميركية للاسلام والمسلمين تجري في الخفاء وبصورة غير علنية عبر وسائل واجهزة تكاد تكون سرية ، أو باساليب غير مباشرة تنطلي على الاغلبية ، وتمر دون أن تواجه ردود فعل في اكثر الاحيان .

أما اليوم فإن التصدي وحياسة المؤامرات والعداء لكل ظهور اسلامي اتخذت طابع المواجهة الصريحة والحرب المعلنة ، دون لبس وخفاء أو خجل وحياء من الشعوب ، وما حدث في البوسنة والجزائر مثلاً ، أو ما يجري في تركيا مؤخراً دليل لا يقبل الشك على هذه القضية ، فالولايات المتحدة الاميركية والكيان الصهيوني لعبا دوراً كبيراً في الازمة السياسية وتداعياتها في تركيا ، وكان الجيش هو الاداة التنفيذية التي نابت عنهما ، ومما هو واضح أن

الاميركيين والصهاينة رأوا في وجود حزب الرفاه الاسلامي على رأس السلطة ، وسعيه لتعزيز وتقوية روابط وعلاقات الحكومة التركية والشعب المسلم في تركيا مع المسلمين والقضايا الاسلامية في المنطقة خصوصاً الحساسة منها ، خطراً على المخطط الاميركي الصهيوني المرسوم للمنطقة ، وهو مخطط يقضي بإخضاع العالم العربي الاسلامي للصهاينة عبر ايجاد تحالف بينهم وبين الاتراك .

إن حزب الرفاه عارض هذا المخطط الاميركي الصهيوني ، وحرص على أن تبقى تركيا مستقلة تحدد سياستها حسب مصلحتها وليس حسب مصالح الصهاينة ، إلا أن هذا التوجه لم يرق لاعداء الاسلام والشعوب الاسلامية ، فجدّوا في ممارسة الضغوط على زعيم حزب الرفاه وحكومته ، من خلال قنواتهما الجيش والاساط الصحفية والاعلامية التركية التي تستमित في الدفاع عن العلمانية .

إن هذه الضغوط ليست خافية

في تركيا هو الجيش ، أو أن الحكومة راضية عن هذا التحالف وقام بموافقتها ، ومن ثم ستوجه ضربة إلى حزب الرفاه الاسلامي وإلى الاسلاميين .

ثم جاء التدخل العسكري التركي في شمال العراق ليزيد في أزمة العلاقات التركية العربية والاسلامية ، وليسوجه ضربة لمشاريع اربكان الاقتصادية والتجارية مع الدول العربية والاسلامية ، فضلاً عن المضايقات لمشاريعه الداخلية .

وأمام هذه الضغوط وجد السيد اربكان أنه إما أن تؤول معركته مع الجيش وسياساته إلى الصدام المحتوم ، أو أنه يصغي لما يملئ عليه ويصلح كأى زعيم تركي آخر يلتزم بالسياسات السابقة ، وحينها يفقد هو مصداقية زعامته الاسلامية ، ويفقد حزبه مصداقية صفته الاسلامية أيضاً ، لاسيما وأن الاعلامين الغربي والتركي يتربصان بالاسلاميين الدوائر ، ويخلقان من أي تنازل قد يبدية حدثاً ضخماً لضرب مصداقية اربكان وحزبه ، ولذلك فضل السيد

على احد ، وقد اتخذت اشكالاً والواناً مختلفة ، لذا فقد وجد حزب الرفاه أنه في مواجهة مع كل الاوساط السياسية التركية التي تضررت مصلحتها بسبب وصول الاسلاميين إلى الحكم ، وراحت تدعم الجيش باسم الدفاع عن علمانية اتاتورك ، فلم يسبق امام زعيم حزب الرفاه إلا خيارين: إما أن يواصل المعركة مع كل هذه الاوساط التي يقف الاميركان والصهاينة بكل ثقلهم خلفها ، وإما أن يتنحى عن السلطة ، وقد وجد اربكان أن البقاء - وإن كان يعتقد بأنه قادر على مواصلة خوض المعركة حتى شوطها الاخير - يكلفه الكثير ، ويفقده مصداقية حزبه ومشروعه الاسلامي، ففي الوقت الذي يحاول فيه تحسين واصلاح الاوضاع الاقتصادية التركية ، من خلال تعزيز روابط تركيا الاقتصادية والتجارية بايران والدول العربية والاسلامية ، قام الجيش بالتحالف مع الكيان الصهيوني ، وقطع شوطاً خطيراً في هذا المضممار ، مسبباً احراراً شديداً لاربكان ، وموحياً بأن الحاكم الفعلي

حزب الرفاه في الحكومة . إنها معركة بين توجه الشعب التركي المسلم وطلائعه الاسلامية ، والاتجاه المعادي لهذا التوجه الذي يقوده في تركيا الجيش ، لكن نتائج المعركة في هذه الحالة ستكون لصالح التوجه الاسلامي ؛ وذلك لأن الشعب سيدرك أن الجيش لا يطلب حزب الرفاه وقاعدته ، وإنما يطلب رأس الشعب التركي المسلم بأكمله . هذا من جهة ومن جهة أخرى تعني مواصلة الحرب لحزب الرفاه محاربة الديمقراطية ، وهذا مما تعارضها الاحزاب العلمانية ويعارضه الشعب التركي ، وهذا بدوره يكشف أن الجيش قوة تهدد الديمقراطية ، وتقف ضداً لمصلحة الشعب .

إن الجيش والقوى العلمانية التي تقف وراءه تدرك ما تريده القوى الاسلامية في تركيا ، ولذلك نفذوا انقلاباً داخل البيت الرئاسي علو الائتلاف الحكومي ، حيث ضغم الجيش على الرئيس التركي ، فكلد مسعود يلماز زعيم حزب الوطن الا. بتشكيل الحكومة الجديدة ، وقد فاج

اربكان التنحي عن السلطة ، ويكون بذلك قد حقق - في اعتقاده - مكاسب مهمة ، منها :

١ - نجاحه في سحب البساط من الجيش والاطواط الاعلامية والسياسية العلمانية ، التي ترى فيه وفي حزبه خطراً على العلمانية ، فلم يبق للاطواط المذكورة أية حجة يواصلون بها حربهم لحزب الرفاه ، وحينها ستتوفر الفرصة للحزب ورجالاته للعمل بفاعلية في تعزيز مواقعهم الجماهيرية والسياسية في الشارع التركي ، استعداداً لخوض الانتخابات القادمة التي سيخرج فيها حزب الرفاه منتصراً بشكل اقوى من السابق ، إذا لم تتدخل يد التزوير والتلاعب في تلك الانتخابات ، كما يحصل في الكثير من بلدان العالم الثالث التي تدعي الديمقراطية .

٢ - جعل الاطواط السياسية والاسلامية في المنطقة ، تدرك أن الجيش ومن ورائه اميركا والصهاينة لا يتوقفون عن معركتهم مع حزب الرفاه ؛ لأن المعركة هي أعمق مما يعلن من اعتراض الجيش على وجود

القديم والمعاصر في سجله الكبير ،
وحدثنا القرآن الكريم عن بعضها ،
الأمر الذي يؤكد مجدداً أن هؤلاء
الصهاينة هم امتداد لأولئك الذين
مسخ الباري عزوجل بعضهم قردة
وخنازير ، بسبب جرمهم وعبثهم
بالحياة الانسانية ، واستخفافهم
بالانبياء والمقدسات الدينية .

وإذا كانت هذه الاساءات تؤكد هذه
المعاني ، فإن الاصرار عليها بهذا
الشكل الذي ينطوي على تحد كبير
لمشاعر الأمة الاسلامية خاصة ،
يكشف لنا جملة امور يجب الانتباه
إليها بدقة واهتمام ، وهي أن
الممارسات الصهيونية إنما تعكس
التوجه الغربي والمشروع
الاستكباري في مواجهة العالم
الاسلامي ، فالغرب امام تعاظم الحس
الاسلامي لدى الأمة ، ويقظة الشعوب
المستضعفة ، وقوة الصحو
الاسلامية ، واقع في حيرة في مسألة
التعامل مع كل هذا التعاظم ، علماً أن
هناك تياراً غربياً يدعو مؤكداً إلى
ضرورة تغيير الاستراتيجية الغربية
في التعامل مع هذا الواقع ، فهذا التيار

ذلك اربكان وتشيلر ؛ لأن اربكان
عندما قدم استقالته دعا الرئيس
التركي إلى تكليف تشيلر بتشكيل
الحكومة ، باعتبار أن هناك اغلبية
برلمانية تؤيد الحكومة الائتلافية
بزعامه تانسو تشيلر .

إن هدف هذا الانقلاب ، كما يقول
مؤيدو الائتلاف الحكومي ، هو
استبعاد حزب الرفاه من السلطة
نهائياً ، ومن ثم ملاحقة اعضاءه ، وقد
يصدر امر بحله ومنعه من ممارسة
نشاطه السياسي والاسلامي .

■ فلسطين

الاصهار الصهيونية

على لسان المقدسات الاسلامية

إن الإساءات والاهانات
الصهيونية للمقدسات الاسلامية
المتلاحقة ، تؤكد بالدليل اليقيني
الحقد والكراهية الصهيونيين لنبي
الاسلام ﷺ وللمسلمين خصوصاً ،
وللانبياء والاديان والامم الاخرى
عموماً . وكذلك ارتكاب الجرائم
البشعة بحق البشرية والانسانية
جمعاء ، تلك التي يحتفظ بها التاريخ

يرى ضرورة التعايش مع الحالة الإسلامية ، والاعتراف بها واقعاً لا مجال للتفاوضي عنه أو تجاهله بأي حال من الأحوال ، وبدون شك فإن الصهاينة لا يروق لهم هذا التوجه ، ولذلك حاولوا تفجير الحرب الحضارية مع الاسلام ؛ للايعاز للغرب بأن المعادلة التي تحكم العلاقات الإسلامية الغربية ، هي معادلة الصراع ، ولا مجال للتفاهم أو التعايش . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية تعزيز موقف التيار الغربي الرافض للتعايش مع الحالة الإسلامية ، والذي يقف على رأسه بعض المفكرين والسياسيين الاميركيين ، ومن جهة ثالثة اشعار الغرب بأن العدو الصهيوني يقف في الخندق الأول في تلك المواجهة الحضارية مع العالم الاسلامي ، ومن جهة رابعة اراد الصهاينة إشعار الغربيين بأن المواجهة مع المسلمين ممكنة على هذا الصعيد ، فلا داعي للخوف أو التردد .

إن الصهاينة ارادوا التغطية على قضية تهويد القدس ، حيث لا يوجد

خلاف بين جميع احزاب إسرائيل ، سواء حزب العمل أو الليكود أو الاحزاب الدينية المتطرفة ، على اهمية تهويد القدس ، فالقدس لديهم العاصمة الأبدية ونواة المشروع الاستيطاني ، ومن ثم ظلت قضية القدس تعكس وجودها وتأثيرها على نمط السياسة الاسرائيلية ، بغض النظر عن الحكومة التي تتولى ادارة اسرائيل ، فبعد عام ١٩٦٧م - في اثناء تولي حكومة العمل الحكم في إسرائيل - أزيل حيّ عربي كبير يقطنه المسلمون هو حيّ المغاربة ، الذي يجاور احد ابواب المسجد الاقصى الغربية ، وقد تم ذلك لتحويل جزء واسع من المسجد الاقصى إلى ما يعرف تعسفاً باسم حائط المبكى .

وفي عام ١٩٦٩م - في عهد حكومة العمل - قام الصهيوني روهان بمحاولة حرق المسجد الاقصى ، وفعلاً تم حرق جزء من المسجد ، وعندما جاءت حكومة الليكود وطرحت في الكنيست قراراً باعتبار القدس عاصمة أبدية لاسرائيل ، وافقت جميع الاحزاب على

«مأمن الله» التي تضم رفات جمع غفير من الصحابة والتابعين ، وحُولت إلى متنزه ويقام حالياً بإزالة مقبرة «باب الرحمة» التي تقع بجوار الزاوية الشرقية للمسجد الأقصى ، وتضم رفات الصحابة عبادة بن الصامت ، وشداد بن اوس ، وذو الاصابع ، وتحويلها إلى ملهى للسواح. هذا في الوقت الذي تستمر فيه اسرائيل في حفرياتها اسفل المسجد الأقصى .

وقد اثارت قضية تهويد القدس جدلاً واسعاً في الساحتين الاقليمية والدولية ، ولا سيما بعد قرار الكونغرس الاميركي باعتبار القدس عاصمة أبدية لدولة اسرائيل ، وتخصيص مبلغ مئة مليون دولار لتغطية كلفة السفارة الاميركية من تل ابيب إلى القدس .

ومن اجل الهاء المسلمين بقضية هي أهم وأكثر قدسية ، اقدم الصهاينة بكل خبث ووقاحة على النيل من الشخصية المسقّدة لنبي الاسلام ﷺ ، وانتهاك حرمة أقدس المقدسات الاسلامية ، والذي يعتبر

هذا القرار ، وبذلك نجحت حكومة الليكود في أن تستبعد قضية القدس من مفاوضات الاستسلام التي بدأتها مصر مع اسرائيل في نهاية السبعينات ، وما حدث في كامب ديفيد من استبعاد لقضية القدس ، حدث ايضاً في مدريد في بداية التسعينات .

والملاحظ أن كل اليهود الموجودين في اسرائيل يؤمنون بأن القدس لهم ، وهم يسعون اليوم لتدنيس وإزالة معالمها الاسلامية ، فالمساجد تحوّل إلى اماكن للدعارة والانحلال الخلقي ، كما حوّل بعضها إلى معابد يهودية ، أو محلات بيع ، أو متحف ، كما حدث لمسجد حيّ عين كارم ، أو مسجد قلاوون ، أو مسجد النبي صموئيل ، بل وصل الامر باليهود إلى أن يندسوا مسجد حيّ المالحة الذي تحول كلياً إلى حيّ يهودي ، بعد أن حولوا مسجده إلى حظيرة لتربية الكلاب والخنازير .

أما المقابر والاقواف الاسلامية التاريخية فهي الاخرى تتعرض حالياً للاندثار ، فاليهود قاموا بإزالة مقبرة

استفزراً خطيراً لمشاعر المسلمين
وجميع المؤمنين في العالم ، وانتهاكاً
صارخاً لأعراف المجتمع الدولي .
وتعتبر هذه الاساءة اختباراً للأمة
الاسلامية ، فعلى ضوء رد فعل الأمة
الاسلامية سيتصرف الصهاينة
لاحقاً ، وعليه يتطلب الامر من
المسلمين تصعيد مواجعتهم
للمؤامرة الصهيونية التي تستهدف
مقدسات المسلمين ، كما يتطلب من
المسيحيين أيضاً الوقوف مع
المسلمين ؛ لأن المعركة مع الصهاينة
هي معركة وجود وهوية وحضارة
في مقابل الديانتين ، تنتهي بانتهاة
الباطل والقضاء عليه .

■ الجزائر

سيبقى الاسلام حاضراً بقوة

في نفوس الشعب المسلم

منذ اكثر من ست سنوات
والشعب الجزائري المسلم يعيش
حالة من عدم الاستقرار وفقدان
الامن، مهدداً بالانفجارات وعمليات
القتل الجماعي والمواجهات المسلحة،
وكذلك الانزال بانخفاض مستوى

المعيشة وتدهور الحالة الاقتصادية ،
مما خلف نزوح مئات العوائل من
القرى والارياف التي تشهد تصاعداً
مستمراً في موجات العنف المنظم ،
لتصبح في عداد المشردين بعد ما
أجبرت على بيع اراضيها بسبب
الوضع المتردي ، حتى بلغ عدد
السجناء منذ إلغاء الانتخابات
التشريعية عام (١٩٩١م) إلى ما يربو
عن (١٣٠) ألف سجين سياسي ، هذ
إلى جانب الآلاف من اليتامى والشكالى
والارامل ، وما يزيد على (٦٠) ألف
قتيل ، يضاف إليهم عشرات الآلاف
من اللاجئين والمشردين في دول
اوربا واميركا . ولم يتوقف الأمر على
المعاناة في الداخل فقط ، بل إن
أطرافاً اجنبية ما تزال تتآمر على هذا
الشعب المسلم في الخارج أيضاً ،
والاسباب غير خافية على المنصف
اللبيب ، ويمكن الاشارة هنا إلى الدور
الذي تقوم به دولتان اوربيتان هما
فرنسا والمانيا ، فقد ذكرت إحدى
التقارير الاخيرة لمنظمة العفو الدولية
أن مصنعا في فرنسا مجهزاً باحدث
الوسائل ، ومتخصصاً في انتاج

يسع المجال لذكرها هنا ، بل نكتفي بما اشرنا إليه ، ثم لنتساءل لماذا كان هذا قدر الشعب المسلم في الجزائر ؟ ولعل الاجابة على هذا السؤال لا تحتاج إلى كثير تأمل وانتظار ، فقد صوت الشعب منذ اكثر من ست سنوات لصالح الاسلام ، وأعطى رأيه إلى جانب الحركة الاسلامية المتصاعدة عندما انتخب بنسبة عالية جبهة الانقاذ الاسلامية آنذاك ، مبرهنًا على اختياره الاسلام والرموز الاسلامية بدل الوجودات السياسية والواجهات العلمانية التي كانت تحكم البلاد . ولا نظن أن هناك من يستغرب هذا الجواب ، لأنه في نقاط أخرى من العالم الاسلامي تتكرر هذه الحالة ، ولكن بأساليب مختلفة ، ولا ذنب للشعوب إلا لأنها اختارت الاسلام وارادته حكماً ومنقذاً لها من ايادي الكفر ومخططات الاستكبار العالمي ، وإن ما ألم بالشعب العراقي المسلم الذي يعاني الأمرين من تحكم سلطة كافرة غاشمة على مقدراته ، لدليل آخر على ما ذهبنا إليه ، وهكذا في مصر وتركيا وغيرهما .

ادوات القمع والتعذيب ، يصدر متوجه للجزائر بانتظام ، وإذا كان التورط الفرنسي في تمويل وتغذية وقود الارهاب والقمع والحرب والصراع لا يكاد يخفى على احد ، لما له من جذور تاريخية تعود إلى موقف الشعب الجزائري المسلم وجهاده ونضاله ضد المستعمرين ايام الاحتلال الفرنسي البغيض ، فإن الذي فاجأ المراقبين والمتابعين هو التورط الالمانى الأخير ، حيث اقدمت السلطات الالمانية مؤخراً على جمع ما يقارب (٦٥٠٠) لاجئ سياسي جزائري في مكان خاص ، وأبرمت صفقة مع السلطات الجزائرية لترحيلهم إلى الجزائر مقابل تسهيلات استثمارية في مجالي الغاز والنفط ، لتنجر المانيا بهذا السلوك العدواني إلى متاهات التورط مع النظام الحاكم ، في زيادة الاوضاع سوءاً لحساب مصالح استراتيجية واطماع استكبارية . يضاف إلى كل هذا وجود شواهد وارقام كثيرة اخرى تبين مدى الاضطهاد الذي يعيشه الشعب الجزائري ، ولكن لا

قراءة في الانتخابات والنتائج

فسي ظل هذه الاجواء الخائفة والظروف الاستثنائية الصعبة ، جرت الانتخابات التشريعية في الجزائر بمشاركة معظم التشكيلات الحزبية المعترف بها من قبل النظام الحاكم ، في أول انتخابات برلمانية بعد الانتخابات البرلمانية الملغاة التي جرت في أواخر العام ١٩٩١م ، نتيجة لانقلاب جنرالات الجيش على نتائج الانتخابات التي فاز بها حزب جبهة الانقاذ الاسلامية بالاغلبية الساحقة ، والتي تنافس فيها (٣٩) حزباً أو تحالفاً ، بالإضافة إلى المستقلين . وقد جرت الانتخابات وسط إجراءات أمن مشددة لم تشهد مثلها أي انتخابات في العالم ، حيث شارك في حمايتها أكثر من ٦٠٠ ألف جندي ورجل أمن . وعلى الرغم من أن السلطة سعت للتركيز على إبراز إجراءاتها من أجل الإيحاء بنزاهة الانتخابات ، مثل استدعاء مراقبين من الأمم المتحدة (٩٠) مراقباً ، والجامعة العربية (٦٠) مراقباً ، ومنظمة الوحدة الأفريقية (٦٠) مراقباً ، وتشكيل لجنة لمراقبة

الانتخابات ، لم تخل هذه الانتخابات من تجاوزات صارخة حتى قبل إجرائها ، بناءً على ما صرح به أكثر الأحزاب المشاركة فيها .

من أبرز الأحزاب الرئيسية المتنافسة حزب التجمع الوطني الديمقراطي ، المعروف بأنه حزب الرئيس ، والذي جرى تشكيله حديثاً خلال بضعة أشهر ليخوض الانتخابات ، ثم حزب حركة مجتمع السلم (حماس) الذي كان اسمه حزب حركة المجتمع الاسلامي ، حيث اضطر إلى تغيير اسمه ليتماشى مع قانون جديد اصدرته السلطة حضرت به الإشارة إلى الدين أو العرق أو الثقافة ، وهذا الحزب يمثل الاخوان المسلمين ، وحزب حركة النهضة الاسلامية ، وقد ألغيت كلمة الاسلامية من اسمه بناءً على القانون الاخير ، وحزب جبهة التحرير الوطني الحاكم سابقاً الذي انقلب ضد اطماع جنرالات الجيش ، وحزب التجديد الجزائري ، وجبهة القوى الاشتراكية ، غير أن المنافسة انحصرت بين حزب التجمع الوطني وحركة حماس . أما

وبصفة عامة لوحظ من خلال برامج الاحزاب المشاركة وتوجهاتها أنه يمكن تصنيفها إلى ثلاثة تيارات رئيسية :

١ - التيار الاسلامي، ويمثله حركة مجتمع السلم (حماس) وحركة النهضة . وكانت حماس قد رفعت شعار «الاسلام هو الحل»، ولكن حظر قانون الاحزاب الاشارة إلى الدين جعل الحزب يضع كلمة السلم مكان الاسلام ، فاصبح الشعار «السلم هو الحل»، ولأن حماس تدرك أنها مستهدفة (تم اغتيال بعض كبار اعضائها ومرشحيها مؤخراً) ، فقد سعت للتركيز على أهمية تحقيق السلم في البلاد مدخلاً للاستقرار ، معتبرة مشاركة في الحكومة أو البرلمان وتحركاتها السياسية كلها خطوات للوصول إلى الاستقرار المنشود . وقال رئيس حماس : إن السلم لا يتحقق بوسائل المكافحة والمواجهة الدموية التي تفرز عدواناً مستمراً ، ومشاحنات لا يمكن التحكم فيها في المستقبل ، وإنما عن طريق معالجة الجذور التي نبعت منها

جبهة الانقاذ التي فازت بالأغلبية في انتخابات (١٩٩١م) ، فلم تشارك بسبب حظر السلطة لها ، وسجن وتشريد اعضائها وانصارها ، وعلى راسهم عباس مدني وعلي بلحاج ، الامر الذي أثار شكوكاً كثيرة حول الانتخابات ؛ لعدم تمثيل كل القوى السياسية خلالها ، إضافة إلى الممارسات والمضايقات التي تفتعلها السلطة ضد حماس والنهضة الاسلامية ، حتى وصل الامر مؤخراً إلى حد تحذير أقطاب النظام للجماهير من اعطاء اصواتها لهذين الحزبين ، بزعم أنهما يستغلان الشعارات الاسلامية للوصول إلى السلطة ، بل حذرت السلطة من تكرار تجربة الانقاذ ، وفوز الاسلاميين بنسبة عالية من الاصوات ، وسيطرتهم على البرلمان القادم .

لقد بلغ عدد الشكاوى التي قدمتها الاحزاب للجنة مراقبة الانتخابات الحكومية أكثر من ستمئة شكوى ، حسب مصادر لجنة المراقبة ، مما يدل على تزايد التجاوزات الحكومية ضد الاحزاب المشاركة وانصارها .

الازمة . ولذلك دعا أولاً لاطلاق سراح زعماء جبهة الانقاذ ، وثانياً إلى توسيع قاعدة الحكم والخروج النهائي من اسلوب الفكر الواحد ، عن طريق الانتخابات العامة الحرة والنزيهة البعيدة عن أي تعسف من قبل الاطراف الحاكمة أو الاجهزة الأمنية .

٢ - التيار الوطني التقليدي ، ويمثله حزب التجمع الوطني الديمقراطي ، وحزب جبهة التحرير .

٣ - التيار العلماني الذي يدعو إلى مواجهة الاسلاميين ، وبناء دولة جزائرية إفرنجية حرة ، ويمثله حزب التجمع من اجل الثقافة والديمقراطية ، وجبهة القوى الاشتراكية ، إضافة لاحزاب اخرى صغيرة قريبة من السلطة .

من جانب آخر اظهرت نتائج الانتخابات البرلمانية التي اعلنها وزير الداخلية الجزائري ، والتي شارك فيها الشعب بنسبة ٦٥/٤٩٪ ، أنه جاء في المرتبة الاولى حزب التجمع الوطني الديمقراطي ، حيث حصل على (١٥٥) مقعداً من المقاعد النيابية البالغ عددها (٣٨٠) ، وجاء في

المرتبة الثانية حركة مجتمع السلم ، حيث نالت (١٩) مقعداً ، ثم حزب جبهة التحرير وحصل على (٦٤) مقعداً ، وجاء بعده حزب النهضة ، حيث حصل على (٣٤) ، وحصل ببقية الاحزاب والتجمعات على ما تبقى من المقاعد ، وبذلك يكون التيار الاسلامي (حماس والنهضة) قد حصل على (١٠٣) مقاعد على رغم الحصار الذي فرض على الاسلاميين خلال الحملة الانتخابية وعملية الاقتراع ، وحظر الجبهة الاسلامية واقصائها عن الانتخابات ، فضلاً عن انتشار العنف بشكل واسع ، وارتسام الشكوك حول نزاهة ونظافة الانتخابات . وعليه فإن التيار الاسلامي لا يزال يمثل ثقلًا انتخابياً في الجزائر ، ومن ثم استطاع هذا التيار أن يستحصل بشكل قانوني الشرعية لوجوده في ظل الدستور الجديد ، الذي أُريد منه استئصال الاسلاميين قانونياً ، ويخل المصير والمستقبل فوق التكهنات لشعب مسلم طالما رفض أن يحيا ويموت ذليلاً .

■ بريطانيا

المسلمون.. مشاركة سياسية وخروج من العزلة

التقت مجموعة من المسلمين البريطانيين في جامع «ريجنت بارك» بوزير الداخلية البريطاني ، وقد طرحت اثناء اللقاء بعض القضايا المهمة التي تهم المسلمين في بريطانيا ، حيث انتقد سكرتير لجنة عمل المسلمين في الشؤون العامة الحكومة البريطانية بسبب تغاضيها عن تشريع قوانين لحماية المسلمين من التمييز السلبي الواضح لهم في العديد من مجالات الحياة أسوة بغيرهم . وقد لخصت اللجنة آراءها ومطالبها في وثيقة مفصلة ضمت (١٢) فقرة ، دعت من خلالها المسلمين في بريطانيا إلى المشاركة في الانتخابات والاتصال بممثلي الأحزاب ، ومراجعة البرامج الانتخابية ، ونبهتهم إلى مواضيع حساسة ومهمة ، منها ضعف تمثيلهم السياسي في الأحزاب ، واستمرار التمييز المقصود بمنع مدارس المسلمين من الحصول على الدعم المادي ، كما تدعم المدارس

الدينية اليهودية والمسيحية ، وغياب التشريعات القانونية التي تحمي المسلمين من التمييز الديني والعنصري ، وغياب التشريعات القانونية التي تمنع اثاره العداء الديني لهم ، وخصوصاً من قبل اجهزة الاعلام ، والتخلف الاقتصادي والاجتماعي في العديد من مناطقهم ، ووجود نسب عالية من البطالة بين المسلمين ، ومراعاة وجهات نظر المسلمين في سياسة بريطانيا الخارجية ازاء الدول والحكومات التي تضطهد المسلمين ، ورفض المسلمين للتشريعات الإباحية التي تضعف من دور الاسرة والقيم الاخلاقية ، وإيقاف الحملة الموجهة ضد المنظمات الاسلامية العاملة في بريطانيا .

وبالرغم من عدم وجود احصاءات رسمية لعدد المسلمين في بريطانيا ، إلا أن يقدر عددهم بمليونين شخص ، ومن الجدير بالذكر أن الاحصاء القادم في عام (٢٠١١م) سيضم فقرة عن دين الفرد ، وسيعطي المسلمين فرصة لمعرفة

أنفسهم وانتشارهم الجغرافي في بريطانيا ، وسيزيد بذلك من تأثيرهم السياسي .

المشكلة الحقيقية هو أنه لا تزال نظرة المسلمين إلى الانتخابات البريطانية في مراحلها البدائية ، بالمقارنة مع اوضاع بقية الاقليات ، ويكتنفها الكثير من التشويش والغموض ، فعلى الرغم من عراقلة تاريخهم في بريطانيا ، وتداخله مع تاريخ العديد من بلدان المسلمين ، لا يتمتعون بدورهم الحقيقي بسبب عدم مراعاة حقوقهم ، وكذلك بسبب التعصب ضدهم ، إلا أن التزايد العددي للمسلمين البريطانيين ، ونمو مصالحهم السياسية والاقتصادية ، يدفعهم باتجاه المشاركة السياسية والخروج من العزلة ، ولذا فإن نسبة كبيرة من الجيل الجديد لاهباء المسلمين ، يرون أن دورهم يجب أن يكون كدور غيرهم من المواطنين ، وهم المادة الجديدة التي ستجدد دور المسلمين في الحياة السياسية ، كما سبق أن سعى المسلمون إلى العمل من خلال خارج السلطة ، ومن خلال

الاحزاب الرئيسية وخصوصاً حزبي العمال والمحافظين ، وحصلوا على مقاعد في مجالس البلديات المحلية ، وحاول بعضهم إقامة برلمان خاص بالمسلمين على اساس التناقض العميق بين المنهجين في الحياة ، وحاول البعض الآخر تأسيس احزاب اسلامية ، أو احزاب سياسية بريطانية تتبنى مناهج وقيم وفكر المسلمين ، مما يعزز مواقفهم السياسية داخلياً وخارجياً ازاء القضايا التي تهم المسلمين في العالم ، اضافة إلى ممارسة الضغط على النواب من اجل الحصول على مواقف سياسية متعاطفة مع مصالح المسلمين ، كما حصل مثلاً في موضوع البوسنة وكشمير وفلسطين.

وإذا ما سارت بريطانيا نحو الاتحاد الاوربي ، وانضم مسلمو اوربا بعضهم إلى البعض في كتلة تزيد نفوسها على العشرة ملايين ، أي بما يزيد على نفوس العديد من الدول الاسكندنافية مثلاً ، فإن عليهم أن يعوا اهمية هذه التحولات ، وأن

نشرته دائرة المعارف النصرانية ،
 وأجرته حركة التبشير العالمي ، أن
 المسلمين ينمو عددهم بمعدل (٢١/٥)
 مرة أكثر من النصارى في العالم ، فقد
 ازداد عدد المسلمين من (١٥/٣٪) من
 سكان العالم البالغ (٣/٧) بلايين
 نسمة في عام (١٩٧٠م) ، إلى (١٩/٦٪)
 من عددهم اليوم الذي يقدر بنحو
 (٥/٣٩) بلايين نسمة ، وبذلك تكون
 نسبة نمو عدد المسلمين (٤/٢٪) .
 وفي الفترة نفسها زاد عدد النصارى
 في العالم من نسبة (٣٣/٧٪) من
 سكان العالم عام (١٩٧٠م) ، إلى
 (٣٣/٩٪) فقط حالياً ، وبذلك تكون
 نسبة الزيادة (٠/٢٪) فقط . وذكر هذا
 البحث أن الاقبال على قراءة الانجيل
 تدهور إلى ادنى مستوى له بين
 النصارى في اوربا ، فهناك فقط
 (١٥٪) من الذين يرتادون الكنائس
 يقرأون الانجيل بانتظام في بريطانيا ،
 وقد اطلقت منظمات نصرانية
 بريطانية حملة لتشجيع نصارى
 بريطانيا من مرتادي الكنائس على
 قراءة الانجيل .

وذكر الكتاب الدولي للكنائس أن

يكونوا بمستوى التحديات الجديدة
 التي ستواجههم في المستقبل ،
 ويساهموا بجدية في تعميق الوجود
 الاسلامي في اوربا ، من خلال تكوين
 مجتمع مسلم ملتزم بالاسلام التزاماً
 حقيقياً .

زيادة الاقبال على الاسلام

قالت محطة تلفزيون فضائية
 اوربية : إن ثلثي الشباب في اوربا
 يقولون إن الدين المسيحي ليس له
 اهمية في حياتهم ، ومنهم (٥٨٪) من
 شباب بريطانيا ، وذكر أن (٤٪) من
 الشباب البريطانيين فقط يذهبون
 للكنائس ، وقد أجرت المحطة استفتاءً
 حول نظرة شباب اوربا للمسيحية في
 فرنسا والمانيا وهولندا وايطاليا
 والسويد وبريطانيا واسبانيا ،
 فاستجوبت لذلك (١٦٠٠) شخص ،
 وظهر أن (٤٦٪) فقط من الشباب
 الاوربي يؤمنون بالله . وقال
 المسؤولون في المنظمات النصرانية
 في اوربا إن هذا الاستفتاء يوضح
 الحاجة إلى توجيه اعمال التنصير
 لاعادة شباب اوربا إلى النصرانية .

من جانب آخر ورد في بحث

الاسلام سيسبق المسيحية في عدد اتباعه في العالم ، وسيصبح الدين الأول في الكون عام (٢٠٥٨م) ، وحسب الاحصاءات في هذا الكتاب يمثل النصارى حالياً ربع سكان الارض ، ويمثل المسلمون الخمس ، وعددهم اكثر من بليون نسمة ، ولكن عدد المسلمين يتزايد بمعدل (٨٢) الف مسلم يومياً نتيجة لدخول الكثير إلى الاسلام ، ونتيجة للولادة والانجاب ، مع العلم أن اوربا هي القارة التي يسكن فيها اكبر عدد من النصارى في العالم ، حيث يقطنها (٤٢٠) مليون نصراني .

ويقول الكتاب : يجب أن نعمل لنشر النصرانية سريعاً في إفريقيا وآسيا ، عن طريق التبشير بين صفوف الوثنيين والبوذيين والهندوس والمسلمين .

الاسلام اكثر حضوراً من المسيحية

جاء في دراسة نشرت في لندن حديثاً أن عدد المسلمين الملتزمين بتعاليم الاسلام في بريطانيا في حالة ازدياد مطرد ، وأنه سيفوق عدد المسيحيين من اتباع الكنيسة

الانجليكانية ، وهي المذهب المسيحي السائد هناك .
وجاء في هذه الدراسة التي نشرتها صحيفة صنداي تايمز البريطانية ، أن عدد المسلمين المتدينين سيشهد زيادة تقدر بنحو أربعة آلاف مسلم ، مقارنة بالمسيحيين الذين يترددون على الكنيسة حتى العام (٢٠٠٢م) ، وتوقعت الدراسة حدوث زيادة مستمرة في عدد المسلمين المتدينين وانخفاض في عدد المسيحيين الذين يترددون على الكنيسة لحضور القداس الكنائسي . ويذكر أن هناك خطة لدى المسلمين لبناء مئة مسجد خلال السنوات الثمانية القادمة . ودعا احد الاساقفة إلى دراسة الاسباب التي أدت إلى اقبال الناس على الاسلام ، والاستفادة من ذلك لنشر التعاليم المسيحية . ونقلت الصحيفة عن المدير التنفيذي لمؤسسة الابحاث المسيحية التي قامت باجراء الدراسة قوله : إن هذه الارقام تسلط الضوء على مدى قوة حضور الاسلام في بريطانيا ، الذي يعتبر اكثر واسرع

الاعلى أن المشاكل التي يعاني منها حوالي ثمانية ملايين مسلم يجب التطرق لحلّها ، وإلا فإنها قد تسبب نشوب مواجهات حامية بين المسلمين والحكومة .

وقد ذهب الحزب الاسلامي الكيني إلى ابعاد من ذلك حين هدد بإصدار فتوى تُبيح الجهاد ضد الحكومة ذات الاغلبية المسيحية ، إذا لم تستجب لمطالب المسلمين .

من جانب آخر شعر المسلمون بأن الحكومة الكينية لا تدخر وسعاً في إثارة المشاكل لهم كلما سنحت الفرصة لذلك ، فبعد قضية حرمان الحزب الاسلامي الكيني اثّرت قضية الارض التي اشتراها المسلمون لبناء جامع كبير عليها ، حيث تقع قطعة الارض هذه في وسط العاصمة ، فلم تسمح السلطات الكينية ببناء المسجد كما كان مقرراً ، وعندما تقدم المسلمون إلى مجلس العاصمة ، الذي سبق أن باعهم الارض ، بإبداء رغبتهم في بناء الجامع ، تعلل بأن الارض مشغولة من قبل بعض الباعة المتجولين ولا يستطيع اخلاء المكان

الاديان انتشاراً في العالم ، وأكد أن الرابطة الاسلامية التي تربط بين المسلمين تعتبر اكثر عمقاً واصالة ، مما يجعل المسلمين اكثر وعياً بامور دينهم ، وبالدور الذي يلعبه هذا الدين في اوساط المجتمعات المدنية .

■ كينيا

مواجهة بين المسلمين والحكومة

دأبت الحكومة الكينية على استفزاز المسلمين بين الفينة والاخرى امعاناً في استضعافهم وهدر حقوقهم ، إلا أن للصبر حدوداً فقد بدأ المسلمون تحركاً لمواجهة الاستفزازات الجديدة وهدر الحقوق ، منها اعتراضهم على حرمان الحزب لاسلامي الكيني من المشاركة في انتخابات الاولى بعد اقرار نظام تعدد الاحزاب ، وقد ذكر الامين العام لمجلس الاسلامي الاعلى في كينيا أنه لم يعد المسلمون يستطيعون لاستمرار في ولائهم للحكومة لكنية إذ طالما بقيت شكواهم دون حل .

وصرح رئيس المجلس الاسلامي

■ كشمير

مأساة الشعب الكشميري المسلم

إن المشكلات التي يزرع تحتها المسلمون كثيرة ، منها ماهو نابع عز عوامل داخلية ، ومنها ما حصل بسبب عوامل خارجية . ولا زال الحال الاسلامي ينوء بتبعات هذا المشكلات ، وبخاصة تلك التي تضافرت فيها العوامل الداخلية والخارجية ابان الحقبة الاستعمارية ، التي ارادت القضاء على مقومات الأمة الاسلامية ، وحاولت تدميرها بشكل مبرمج وفق خطط جهنمية .

ومن المناطق الاسلامية التي لا تزال تعيش تحت وطأة هذه المشكلات منطقة كشمير ، التي تعاني هموم مأساة واضحة ، مـ وجود محاولات دائبة لتذويب وطمس الحقيقة أو التغافل عنها .

بالرغم من أن كشمير قد ضمت في الماضي أجزاء من البنجاب والسند ، فإن حدودها الحالية قررت اعتباراً ، حيث قسمت إلى قطاعين : القطاع الحدودي والذي يضم منطقة جامو وولاية كشمير ، وهو واقع تحت

منهم ، وبعد تطور القضية وتصعيدها ، أصدرت السلطات أمراً بسحب ملكية الارض من المسلمين وإلغاء عقد البيع نهائياً ، وقد أثار هذا التصرف استياء المسلمين الذين ردوا قائلين بأنهم قد اشتروا هذه الارض ، ولا يمانعون في مساعدة الباعة على ايجاد موقع بديل لهم ، ومساعدتهم ايضاً بإيجاد الماء والمرافق الصحية في الموقع الجديد . وكان المسلمون يسعون إلى بناء هذا الجامع ليكون اكبر مسجد في شرق ووسط القارة الافريقية ، بحيث يتسع لعشرة آلاف شخص ، وتحيط به مباني استثمارية ومستشفى ومكاتب للايجار ، ويذهب ريع هذه المشاريع إلى المنظمات الاسلامية في كينيا ، مثل مدرسة الفتيات المسلمات ، وبعض المستشفيات ودور الرعاية الاسلامية .

ونتيجة للضغوط التي مارسها المسلمون لجأت الحكومة الكينية إلى تشكيل لجنة للبحث في الخروج من هذا المأزق ، بعد أن أدركت أنها بتصرفها هذا ستعادي ثمانية ملايين مسلم كيني .

المسلم بدأت حينما مكن
البريطانيون - الذين استعمروا
المنطقة حينذاك - طائفة هندية حاكمة
على المسلمين ، وهم السيخيون ،
لتغزو كشمير المسلمة ، وترتكب
ابشع الجرائم في الشعب الكشميري
المسلم ، فقد قاموا بقتلهم وتعذيبهم ،
واستخدموا شتى الوسائل
لاضطهادهم وهدم معالمهم
الحضارية ، مما جعل العديد من
المسلمين يغادرون كشمير نتيجة
لهذا الارهاب الموجه إليهم من قبل
الدولة ، واستقر الكثير منهم بشكل
نهائي في مناطق مختلفة من البنجاب.
ومن الاعمال الاخرى التي قام
بها السيخيون هو الاستيلاء على
موارد القوة لدى المسلمين خصوصاً
الاسلحة التي كانوا يملكونها ، وذلك
خوفاً من قيامهم بثورة مسلحة تضع
حداً لهذا الاضطهاد ، وقد أثر هذا
العمل على المعنويات وعلى
الاستعداد العسكري للمسلمين تأثيراً
بالغا ، كما منع الشباب المسلم من
تولي الوظائف الحكومية ، مما ادّى
إلى إلغاء دورهم ونشاطهم

هيمنة وسيطرة الحكومة الهندية ،
ويقع القطاع الثاني من كشمير في
الوقت الحاضر تحت السيطرة
الباكستانية (كشمير الحرة).

ويبلغ عدد سكان كشمير (١٢)
مليون نسمة ، في الهند ثمانية ملايين ،
وفي كشمير الحرة ثلاثة ملايين ،
ويوجد مليون نسمة موزعين في
مناطق مختلفة من العالم .

دخل الاسلام منطقة كشمير في
القرن الخامس الهجري ، عن طريق
العلماء والدعاة الاسلاميين من بلدان
اسيا القريبة . وقد تقبل الكشميريون
الاسلام بفضل جهاد هؤلاء الدعاة
المخلصين وحسن سيرتهم وتفانيهم
من اجل الاسلام طوال حياتهم ، ومما
ساعد أيضاً على انتشار الاسلام في
كشمير هو أن المجتمع الهندوسي
كان ممزقاً إلى اشلاء متفرقة ، نتيجة
لتفتت عرى النظام الاجتماعي من
جاء الافراط الفاحش الذي اتصفت به
الطبقة الهندوسية الحاكمة في
مستواها المعيشي مما ادّى إلى انبثاق
مجتمع مسلم في كشمير ؛ غير أن
بداية المتاعب والويلات لهذا الشعب

الاجتماعي والسياسي .

ورغم كل هذا الاضطهاد قامت
اول ثورة منظمة وناجحة للمسلمين
بوجه الحكام الهندوسيين عام
(١٩٣١م) ، وقد حظيت بتأييد كبير من
قبل المسلمين نتيجة لتزامن حدوثها
مع واقعة تضمنت تدنيس أقدس
المقدسات الاسلامية ، ألا وهو القرآن
الكريم ، وقد شارك المسلمون في هذه
الثورة بمشاعر دينية قوية .

ورغم وضوح أحقية المسلمين
الكشميريين ومشروعية مطالبهم في
تقرير مستقبلهم ومصيرهم ، ووضع
حد لتحكم هؤلاء المتعصبين من
الهندوس والسيخ ، يحاول أعداء
الاسلام التفرير لهم وخداعهم
واجبارهم على الخضوع للهندوس .

وازاء هذه المأساة التي يئن
الكشميريون تحت وطأتها لم يقفوا
مكتوفي الايدي ، بل قاموا بانتفاضة
اسلامية مسلحة قد سقط فيها المئات
من الضحايا .

والحركة الكشميرية المسلحة
اليوم تتمتع بتأييد عام بين ابناء وادي
كشمير ، رغم المظالم والقهر

والخسائر التي يمرون بها من جراء
تعسف السلطات ، حيث حظر التجول
المستمر ، واطلاق النار على
المخالفين لاوامر حظر التجول ،
ومداومة وتفتيش بيوت المسلمين ،
والاعتداء على الاعراض ، واقتياد
الشباب الرسالي المسلم إلى غياهب
السجون ، الامر الذي ساهم في
توسيع قاعدة التأييد الشعبي
للمجاهدين وللحركة الكشميرية
المسلحة .

واليوم هناك عدد كبير من
النشاطات الاسلامية التي تجري في
كشمير ، فقد نجح المجاهدون في
تجنيد الآلاف من الشباب المسلم ،
الذين آمنوا واختاروا الحل الحقيقي
لانهاء المأساة في كشمير ، وهو
الجهاد من اجل نيل استقلالهم
وتقرير مصيرهم على اساس من
هويتهم الاسلامية .

■ تركستان الشرقية

اصبحت الأمة الاسلامية في
السنوات الاخيرة مركزاً للاحداث
العالمية الكبرى ، كما في البوسنة

الشرقية عام (١٩٤٤م) ، واستمرت إلى عام (١٩٤٩م) إذ قضت عليها القوات الصينية المحتلة ، ف وقعت تحت السلطة الشيوعية ، وخضعت منذ ذلك الحين لعملية قاسية من التذويب والقسم ؛ سعياً لتحويل المسلمين إلى أقلية ، ثم القضاء على الهوية الإسلامية ، فقامت الحكومة الصينية بتوطين خمسة ملايين ونصف المليون من غير المسلمين الصينيين ، وهي مستمرة في هذه السياسة الاستيطانية ، ويحتل هؤلاء المستوطنون الصينيون أغلب المناصب الحكومية في الاقليم ، بينما المسلمون محرومون من أدنى المناصب حتى مهنة التعليم في المدارس .

ويبدو أن الحكومة الصينية قد نجحت في مساعيها إلى حد كبير ، فعدد المسلمين في هذا الاقليم تقلص بدلاً من أن يزداد بحسب النمو الطبيعي للمواليد ، ويبلغ العدد الاجمالي طبقاً للارقام الرسمية ما يقارب العشرين مليوناً ، وإن كانت المصادر غير الرسمية تقول إن عدد

والشيشان وغيرهما ، وتأتي أهمية وخطورة هذه الاحداث أنها تعبر عن صراع بين حضارتين ووجودين ، بين الحضارة والوجود الاسلاميين الاصليين الناميين المتصاعدين في أغلب بقاع العالم ، وبين الحضارة والوجود الغربيين الخاويين الذين يشكوان من العجز يوماً بعد يوم . وفي هذه المواجهة تسطر الشعوب الاسلامية بدمائها وتضحياتها ملاحم البطولة والثبات ، في سبيل مسباتها وانتمائها للإسلام امام الاستكبار بكل ألوانه وأنواعه . وما حصل في تركستان الشرقية ليس عنا ببعيد ، فمن المؤكد أن الاحداث التي تفجرت في اقليم شينغيانغ (تركستان الشرقية سابقاً) ليست وقائع فردية قصيرة الأمد ، بل هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمسلسل من الاحداث السابقة ، ولها جذور عميقة ضاربة في التاريخ ، فبعد أن سقطت هذه المنطقة بيد الامبراطورية الصينية عام (١٨٨١م) ، استطاعت بعد جهاد طويل أن تستقل عن قبضة الصين ، وقامت جمهورية تركستان

المسلمين في تركستان الشرقية يبلغ أكثر من ثمانين مليون مسلم .

ومن المثير للدهشة أن قضية هذا الاقليم تشابه في كثير من النواحي قضية الشيشان ، فهذا الاقليم غني بالنفط والمعادن الثمينة ، وفيما تنضب حقول النفط في شمال شرق البلاد ، تتوجه الاطماع إلى هذه المنطقة بالذات نظراً لما تحويه من المواد الخام ، في حين يعاني المسلمون من حصار اقتصادي وحرمان من أبسط الحقوق المدنية .

ومما يلاحظ أن الاسلام في تلك المنطقة هو ليس الدين فقط ، بل أيضاً الهوية القومية ، وهو نظير للواقع في البوسنة والهرسك تقريباً ، ولهذا السبب بالتحديد يحارب النظام الشيوعي المسلمين التركستانيين بضراوة لا مثيل لها .

حرب علنية ضد الاسلام

برصد الاحداث المتتالية منذ سنوات قليلة حتى الآن ، نكتشف أن الاسباب لا تتعدى اعتراض المسلمين على التدخل الصيني في الشؤون الدينية ، أو بسبب حضر السلطات

لبناء مسجد ، أو محاولة السلطات ازاحة أو اعتقال امام مسجد أو شخصية اسلامية مؤثرة بعد ان تكاثرت الناس حوله ، أو لأن بكين ترفض رفضاً قاطعاً أن تتلقى الفتيات المسلمات تعاليم الاسلام نظراً لخطه التدوير التي تمارسها الحكومة ، والتدوير يكون بمنع الاجيال الشابة من تلقي الاسلام ولا سيما الفتيات ، والنظام الشيوعي يشجع الفتيات المسلمات في تركستان على الزواج من الصينيين تطبيقاً للمخطط المشار إليه اضافة إلى المراقبة الشديدة لنظام تحديد النسل لمنع المسلمين من تخطي النظام الموضوع بهذا الخصوص . من جانب آخر فإن سياسة الاستبداد والاحاد التي يمارسها الحكم الشيوعي تتضح من خلال إبعاد المسلمين عن التعليم العام ، وبخاصة التعليم الاسلامي ، ومنع النساء المسلمات من دخول المساجد وحضور دروس الوعظ والارشاد ، أو المشاركة في النشاطات الاسلامية العامة ، وطبع المسلمين بالطابع الصيني ثقافياً

المسلمون التركستانيون من السلطات الصينية بعد عقود من اغلاقها ، لا تكفي لاستيعاب العدد المتزايد من المسلمين الذين يتوجهون لأداء الصلاة كباراً وصغاراً ، خصوصاً الناشئة والشباب ، فلم تجد السلطات أسلوباً للتعامل مع المسلمين إلا القمع والارهاب لخماد أي صوت قد يطالب بالحقوق المشروعة لهم ، فأقدمت على اعتقال عدد من زعماء المسلمين في مدن اورومجي وكاشغر وينينغ ، واتهمتهم ببث مشاعر العداة بين التركستانيين ، وهم السكان الاصليون ، وبين الصينيين الذين جلبتهم لتغيير التركيبة السكانية ، وقامت بحملة اعدامات شملت أكثر من مئة من المسلمين التركستانيين ، بعد محاكمات عسكرية أدانتهم فيها بالتآمر على وحدة الجمهورية الصينية ، وهذه هي التهمة التي توجهها الحكومة عادة لدعاة التحرر من الاحتلال الصيني لتركستان ، وقد ادت هذه الوقائع المؤلمة إلى إشعال فتيل الغضب الشعبي بين ملايين

واجتماعياً ، وتوطين البوذيين في مناطق المسلمين ، ليستولوا على أماكن سكنهم ، وينافسهم في مواردهم وثرواتهم وفرص العمل لديهم ، وهذا ما يزيد التوتر العرقي والديني ، ويؤدي عفوياً إلى حدوث اضطرابات واعمال عنف متبادلة .

هذا وقد بذلت السلطات الشيوعية الصينية جهوداً كبيرة خلال أكثر من سبعين عاماً من احتلالها لتركستان ، لاجتثاث جذور التربية الاسلامية من قلوب وسلوك المسلمين ، خصوصاً الاطفال والشباب منهم ، وابعادهم عن الاجواء الاسلامية ، وخلق ظروف مغايرة للحس الاسلامي الاصيل والبيئة الاجتماعية الدينية ، فحولت المئات من المساجد إلى اندية رياضية ، أو قاعات للرقص والغناء ، أو أغلقت بعلل واعدار واهية ، لكن هذه السلطات أصيبت بخيبة أمل وصدمة كبيرة عندما ظهرت على سطح الواقع مشاركة عشرات الالوف من شباب المسلمين في الصلوات والشعائر الاسلامية مؤخراً ، حيث ذُكر أن المساجد التي استعادها

والتعليمي ، وانتهاءً بالحرمان من الحقوق المدنية والانسانية ، والتعرض للسجن والتعذيب والقتل جراء محاكمات صورية . فمن للمسلمين يا مسلمون !

■ المسلمون في الغرب

فرنسا

صدر مؤخراً قانون أقرته الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان)، يسمح بطرد من لا يحمل الجنسية الفرنسية من المسلمين بسهولة أكثر من الماضي . ومن الجدير بالذكر أن عدد المسلمين في فرنسا يزيد على خمسة ملايين مسلم ، يحمل الجنسية الفرنسية منهم حوالي المليونين ، والباقي يتمتعون بوثائق اقامة رسمية . ويمنح القانون الجديد الشرطة سلطات واسعة لتعقب المهاجرين من المسلمين ، وفتح سجلات للمسافرين والزائرين ، وتتيح احدى النقاط الهامة في القانون للشرطة الاحتفاظ بجوازات السفر أو وثائق سفر المهاجرين ، وتسمح بتفتيش وسائل النقل العامة في

المسلمين هناك ، واعلان معارضتهم لهذه الحكومة التي تصادر حقوقهم السياسية ، وكان نتيجة المصادمات الجماهيرية مع السلطات أن اسفرت عن مقتل أكثر من (٣٠٠) شخص ، وجرح أكثر من (١٥٠٠) آخرين كلهم من المسلمين . والمؤسف أن المأساة مستمرة وتحيط بمسلمي تركستان المحتلة ، وأن صيحات الاستغاثة تستصرخ الضمير العالمي والمجتمع الدولي ومنظمات حقوق الانسان ولا من مجيب ، ففي الوقت الذي يتركز الاهتمام العالمي بحقوق الانسان في الصين حول قضية صغيرة نسبياً ، وهي حقوق سكان التبت البوذيين الذين لا يتجاوز عددهم الثلاثة ملايين شخص ، بزعامة الديلاري لاما الذي منحته الدوائر الغربية جائزة نوبل للسلام ، وتطالب الدول الغربية الصين بمنحهم حق تقرير المصير ، لا تعير هذه الدول ومنظماتها أي اهتمام لمأساة ثمانين مليون مسلم تركستاني تحت الاحتلال الصيني ، يعانون من شتى انواع التعسف ، ابتداءً من الحصار الاقتصادي

التشريعية التي جرت مؤخراً على
مقعد في مجلس العموم البريطاني ،
حيث يوازي تقريباً عدد مسلمي
بريطانيا من حاملي الجنسية
البريطانية عدد المسلمين من حاملي
الجنسية الفرنسية .

هذا وأعلن مؤخراً عن انفجار قنبلة
أمام مسجد في العاصمة الفرنسية
باريس ، مما أدى إلى إلحاق اضرار
بمدخل المسجد واصابة رجل
بجروح . وافادت الشرطة الفرنسية أن
القنبلة زرعت عند مدخل مسجد
الدعوة في ضاحية بشمال شرق
باريس يقطنها عدد من المهاجرين
المسلمين ، ووقع الانفجار قبيل صلاة
الفجر بقليل ، وحطم نوافذ المباني
المجاورة للمسجد . ويتزامن الحادث
مع حالة التوتر والتعصب التي
تشهدها فرنسا في الوقت الراهن ضد
المسلمين من المهاجرين .

من جانب آخر تقوم المنظمات
التبشيرية بجهود كبيرة لتنصير
المسلمين في فرنسا من المهاجرين
الجزائريين وغيرهم . يقول المبشر
داف براون الذي تدعم نشاطه البعثة

المناطق القريبة من الحدود ، كما
يجيز القانون للسلطات أخذ بصمات
الاصابع للاجانب غير الاوربيين ، من
الذين يتقدمون بطلبات الحصول على
حق الإقامة .

هذا وقد خرجت مسيرات
احتجاجية تضم الآلاف من
المتظاهرين طافت شوارع العاصمة
الفرنسية للمطالبة بإلغاء هذا القانون ،
بالاضافة إلى المسيرات الاحتجاجية
في عدة مدن فرنسية أخرى .

ويأتي هذا القانون للتضييق على
المسلمين وتحجيم نشاطاتهم ، حيث
يوجد المئات من الجمعيات
والمؤسسات الاسلامية والمساجد
في فرنسا ، منها اتحاد المنظمات
الاسلامية الفرنسية الذي يضم نحو
(٢٠٠) جمعية ومنظمة اسلامية ،
وكذلك الاتحاد الوطني لمسلمي
فرنسا ، ولا سيما بعد تعالي الأصوات
في فرنسا من قبل المسلمين
للوصول إلى الجمعية الوطنية
الفرنسية ، من أجل تمثيلهم بنائب
واحد على الأقل ، كما هو في بريطانيا
بعد حصول المسلمين في الانتخابات

التبشيرية الفرنسية ، إن الجالية الجزائرية تبدي اهتماماً بالأمور الروحية أكثر من المواطن الفرنسي ، لذا يمكن استغلال هذا الجانب لخدمة التبشير والتنصير عن طريق التغلغل بين صفوفهم ، ويحذر المبشرين من أنهم يجب أن يتذكروا ألا يتناولوا الكحول والخمر أو يأكلوا لحم الخنزير امام المسلمين ، وأن على المبشرات والمنصرات أن يلبسن ثياب الحشمة ذات الاكمام الطويلة ، عندما يعملن لتنصير المسلمات والتبشير بين صفوفهن .

المانيا

عقد المجلس الاعلى للمسلمين في المانيا مؤتمراً احتفل فيه بالسنة الاوربية لمكافحة العنصرية ، وحضر الاحتفال الذي اقيم في العاصمة الالمانية عدد كبير من المفكرين المسلمين واساتذة الجامعات ، وطالب رئيس المجلس الحكومة الالمانية بإظهار قدر أكبر من الاهتمام بمطالب المسلمين ، وفي مقدمتها الاعتراف بالاسلام والسماح بتدريسه لابناء المسلمين الدارسين

في المدارس الالمانية ، وقال إن المسلمين في المانيا الذين يقدر عددهم بأكثر من مليوني مسلم ونصف ، بينهم أكثر من مئة وخمسين الف الماني ، يشعرون أن العلاقة بينهم وبين غيرهم من المجتمع الالمانى ستظل غير طبيعية ، ما أصّر الاعلام الالمانى على معاملة الاسلام كظاهرة غريبة ، مشيراً إلى الصدمة التي أصابت مشاعر المسلمين عندما دعا أحد المسؤولين الألمانين الأسر المسلمة إلى نزع حجاب بناتهم عند زهابهن إلى المدرسة ، مؤكداً أن ذلك يهدد العوائل المسلمة ويسلبها حقاً مسلماً من حقوقها ، تلك الحقوق التي تتجبع بها الحضارة الغربية ، ومنها حرية المعتقد والتعبير عن الرأي .

هذا وتتصاعد في المانيا موجات العنف التي تتبناها بعض الاطراف التي تدعو إلى العنصرية ، وفضلية الجنس الألماني (النازية الحديثة) ، مما يسبب ازدياد مخاوف المسلمين في المانيا من أن يقعوا ضحايا هذا التطرف ، خصوصاً أن اغلبهم ذوو

على حساب المسيحية ، وهذه الحساسية تبرز بشكل اعمق في المناطق الواقعة جنوب المانيا ، ففي احدى هذه المناطق التي يقطنها المسلمون ، رفضت السلطات طلباً تقدموا به لبناء مسجد جديد يسعهم ، حيث إن المسجد الذي يؤمونه ضيق جداً ولا يكفي إلا لعدد قليل من المصلين ، وفي البداية لاقت هذه الفكرة قبولاً من قبل عمدة المدينة ، الذي وعد بالاجابة على هذا العرض بعد اتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة، إلا أن بعض السكان اتصلوا به وهددوه بالقتل إذا سمح ببناء المسجد ، وتدخلت الكنيسة أيضاً في المدينة ووضعت العراقيل امام هذا الطلب ، مما دفع بالمسلمين إلى الرد والدفاع عن مطالبهم المشروعة عن طريق الصحف الالمانية ، التي اخذت تلك القصة التي لم تحسم بعد .

الولايات المتحدة الاميركية

اصدر مجلس العلاقات الاميركية الاسلامية ، الذي يهتم بأمور المسلمين ويسعى لحل مشاكلهم في الولايات المتحدة الاميركية ، أصدر

اصول تركية ، وهم النسبة الكبرى من الايدي العاملة الاجنبية ، اضافة إلى نسبة كبيرة من اللاجئين والمهاجرين المسلمين الجدد من اهل البوسنة واللبنانيين والعراقيين وغيرهم .

وعلى صعيد آخر شهد العديد من المدن الالمانية في الآونة الأخيرة نزاعات قوية ، بسبب مجاهرة المسلمين بالاذان عبر مكبرات الصوت في المساجد واماكن العبادة ، ولم تتوصل الفئات المتنازعة إلى حل وسط ، فتم رفع القضية إلى المحكمة . ويعود السبب في تخوف السكان الالمانيين من رفع الاذان ، وسوء مشاعرهم تجاه المسلمين الذين يجاورونهم في سكناتهم ، إلى الجو الديني والاجتماعي السائد في الوسط الالمانى المتدين الموسوم بالترزمت والانغلاق عن الغير ، لذلك يوصف هؤلاء بالاصوليين المسيحيين ، وهذا يجعلهم مائلين إلى التحفظ في موقفهم تجاه المسلمين . ويعتقد هؤلاء بأن رفع الاذان بمكبرات الصوت يؤدي إلى انتشار الاسلام

تقريره السنوي عن اوضاع المسلمين القانونية ، وعن الانتهاكات لحقوقهم المدنية والدينية في اميركا ، وكان اهم ما ورد فيه هو ملاحظة الزيادة الكبيرة في تسجيل الانتهاكات لحق المسلمين الاميركيين خلال العام الماضي ، حيث يشير إلى (٢٥٠) حالة تمييز أو اعتداء أو مضايقة في مجال العمل أو في المجال العام ثم توثيقها ومتابعتها ، وأشار التقرير إلى أن الانتهاكات التي سجلها في عام (١٩٩٦م) هي ثلاثة اضعاف ما تم تسجيله في عام (١٩٩٥م) .

وقد باشر المجلس بتسجيل حالات الانتهاكات والاعتداءات ، بعدما تعرض له المسلمون من مضايقات بسبب الاتهام الاعلامي المتسرع لهم في انفجار اوكلوها حينها ، وبالمقابل ادت زيادة المضايقات التي تمارسها السلطات ضد المسلمين إلى ارتفاع وعيهم الاسلامي ، واتصالهم المتزايد فيما بينهم لتدارس هذه الانتهاكات ، واتخاذ موقف موحد دفاعاً عن حقوقهم المشروعة ،

وتفاعلهم مع اعمال المجلس في هذا الصدد ، علماً أن الانتهاكات التي يشير إليها التقرير تدور حول مسائل التمييز ضد المسلمين في محل العمل بسبب اللباس ، أو اداء الشعائر الدينية ، والتعصب وتعميم التهم ، ومضايقتهم في المطارات والمدارس . وفي مقابل هذا تمكن المسلمون من اضافة اماكن لاداء الصلاة في العديد من المدارس والمرافق العامة ، واصبحوا اكثر وعياً لحقوقهم ، ولعل من اهم حالات التمييز التي يعاني منها المسلمون ، والتي تعكس ردود فعل شديدة ضدهم ، هي بسبب مواقفهم السياسية والفكرية ، وعلاقاتهم بالجماعات الاسلامية ، ونشاطاتهم المتكررة في المناسبات الاسلامية المختلفة .

المسلمون يؤسسون مكتبة نشر الاسلام

اسس المسلمون في جزر الهاواي الاميركية في قلب المحيط الهادي مكتباً لنشر الاسلام ، واعتبروه حلقة الوصل بين الشرق والغرب ، واختاروا جزيرة اوهاو التي تعتبر اهم مركز تجاري بين الجزر ، وتضم

طوعية تمول نفسها بنفسها من التبرعات ، وتدبر اعمالها يد المتطوعين المسلمين . وقد استطاع هذا المكتب تأسيس اذاعة لبث البرامج الدينية ، التي لاقت اقبال واهتمام المسلمين خصوصاً الطلبة منهم ، ويسعى المكتب إلى فتح قنوات الاتصال مع بقية المنظمات الاسلامية في اميركا ، وبقية بلدان العالم الاسلامي ، لتعميق الوعي الاسلامي بين صفوف المسلمين في الجزيرة .

اهم القواعد العسكرية الاميركية . وتأتي اهمية هذه الخطوة من كون سكان المنطقة خليطاً من مختلف القوميات والاعراق ، واهم الاتجاهات الدينية في الجزيرة هي البوذية والكاثوليكية واليهودية ، ولكل من هذه الاتجاهات مؤسسات دينية ترعى شؤونها ، ولم توجد فيها حتى الآن مؤسسات اسلامية ترعى امور المسلمين رغم وجودهم بالآلاف في هذه الجزيرة . ومكتب نشر الاسلام هو منظمة

قال الامام الصادق (ع)

سَلِّعْنَا مِنْ قَرَمِ الْمَالِ سَرَّحَسَنَ ، وَنَسَكِ الْمَالِ سَتَقَرَّ
وَلَمْ يَكُنْ مُجْبَنَ وَسَدَّ بِالْأَرْزَاقِ رَغْبَةَ الْغَرِيبِ
فَدَلَّكَ مِنَ الْإِسْنَاءِ ، وَمَعَيْنَا خَيْرٌ مِمَّا كُنَّا .



مع قرأ، الثقلين

باب ننفث منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثقلين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلتهم فكراً وثقافة ومعرفة. وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم للكرامة : «للتحرير»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لمجالتكم .

وفقمك الله تعالى لنشر كلمة الحق والعدل والايمان ، واسأله أن يمر علينا وعليكم بحسن عنايته ودوا. توفيقه لما يحب ويرضى . وأرجو يجزيكم خيراً لما تقدمونه في سبيل نصرة الاسلام والمسلمين . سدد الله خطاكم .

ابراهيم شريف كندي
غامبيا

● جزاكم الله خيراً لما تقدموه في

سبيل نصرة الاسلام والمسلمين

يقول عز من قائل : ﴿ وما



تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾

ويقول أيضاً ﴿ إن رحمة الله قريب من

المحسنين ﴾ . تحية وتقدير لكم

وأنتم تسخرون أنفسكم

وأموالكم في سبيل نشر الاسلام ،

ويسعدني للغاية أن اكتب اليكم

هذه الاسطر راجياً قبولي صديقاً

● اعجبت برسالة الثقلين أشد

الاعجاب وزادتني فهماً لمسيرة

آل بيت النبوة ﷺ

يسرني أن أحيي هيئة التحرير ورئيسها وكل العاملين في المجلة الإسلامية «رسالة الثقلين»، التي ما إن قرأتها أول مرة حتى اعجبت بها أشد إعجاب؛ لما فيها من المعلومات والارشادات والاحاديث التي زادتني فهماً لمسيرة آل بيت النبوة رضوان الله تعالى عليهم، لا سيما سيرة الامام علي كرم الله وجهه. لذلك فإني اعتبرها مجلتي الخاصة المفضلة من بين المجالات الأخرى، مما شجعني أن اطلب منكم أن تزودوني بجميع اعداد المجلة، كما آمل أن تساعدوني في الحصول على ما يصدر من المطبوعات والمجلات، وما ترونه مناسباً لاختيكم ليزداد تفقهاً ومعرفة للدين الاسلامي.

اخوكم

جبرئيل سعد ابراهيم دبالو

السفقال

* * *

● حرصكم على تبليغ الاسلام

ونصرته امر لا يخفى على كل مسلم

بسعد التحية الطيبة نكتب

لحضراتكم هذه الرسالة لنشكركم على ما تبذلونه في سبيل نصرة الدين الاسلامي واحياء تراثه، وحرصكم على تبليغ الاسلام وفق ارشادات وافكار ووصايا ائمتنا المعصومين ﷺ، وهو امر لا يخفى على كل مسلم، فجزاكم الله عن الاسلام والمسلمين خيراً.

نرجو منكم أن تسجلوا مؤسستنا

ضمن اسماء المشتركين في مطبوعاتكم.

موسسة العلويين - لشعبة اهل البيت ﷺ

السكرتير العام

السيد محمد العلوي الحسن

نيجيريا

* * *

● زدونا بما يروي عطشنا

من فكر وعقيدة اهل البيت ﷺ

تحية الاسلام والايمان أرفعها إليكم مقرونة بالدعاء لكم بطول البقاء وجزيل الأجر والثواب على جهودكم وعطائكم.

إنني من اخوتكم المهاجرين إلى

الثقلين وما يصدر عن المجمع

العالمي لاهل البيت عليهم السلام .

الشيخ أندور

للسنغال

* * *

● اصداراتكم القيمة

خير زاد لنا في الغرب

أنتم فخر لكل من يوالي اهل بيت النبوة بما تبذلونه من جهود قيمة لنشر فكر اهل البيت عليهم السلام ، في وقت تكالب فيه الاعداء من كل حذب وصوب لطمس تلك الآثار العظيمة لهم صلوات الله عليهم ، ولكن الله شاء أن يظهر تلك الآثار على يد رجال جعلوا أنفسهم وقفاً لخدمة الدين الحنيف .

ارجو تزويدنا باصداراتكم القيمة ، وذلك لما يرجى منها أن تكون خير زاد لنا في الغرب في هذا المكان البعيد ، ومساعدة للذين لم يتعرفوا على مذهب اهل البيت عليهم السلام بعد ، أن يطلعوا على أفكار مدرستهم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الحاج محمد علي الدوسري

كندا - كاليفارني

* * *

ايران الاسلام حديثاً ، أحمل بين جنبي عطشاً إلى ثقافتنا الاسلامية ، وعقيدتنا الدينية ، لذلك أبعث رسالتي هذه راجياً تزويدي بما يروي ظمأى إلى الفكر الاسلامي الاصيل من مصادره الاصلية ، ألا وهو فكر

اهل البيت عليهم السلام .

ابو جهاد الاسدي

دزفول

* * *

● رسالة الثقلين، وكتابها

احتلتنا مكاناً متميزاً

وبعد ، أتشرف بالكتابة إليكم لاهتمامكم بامور المسلمين ، متمنياً لكم التوفيق في هذا العمل المبارك الذي تبلغون من خلاله رسالة الأنبياء والائمة صلوات الله عليهم اجمعين ، ونشر الدراسات والبحوث الاسلامية الأصلية .

إنني طالب في قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، وقد اطلعت على مجلة رسالة الثقلين وكتاب الثقلين فاحتلاً مكاناً متميزاً عندي ، لذلك ارجو تزويدي بإصداراتكم وخصوصاً رسالة

● اكتشفت ان مذهب اهل

البيت ﷺ هو الاسلام الحقيقي

الحمد لله القائل في كتابه الحكيم : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وبعد ، اكتب لكم هذه الاسطر لأطلعكم على أهمية تعاونكم معنا في سبيل نشر فكر اهل البيت ﷺ في هذه البلاد ، فمنذ أن سافرت إلى بلاد الحجاز - وقد بقيت هناك مدة سنتين ثم رجعت إلى بلادي - اكتشفت أن مذهب اهل البيت هو الاسلام الحقيقي الذي بلغه وصدع به الرسول الامين محمد ﷺ ، لذلك فإني عازم على بذل جهودي لنشر وترويج هذا المذهب بكل ما أملك من امكانية ، خصوصاً في اوساط الشباب وطلاب المدارس ، وبناء على ذلك فإني آمل أن تساعدوني في تطوير المدرسة التي أسستها ، وهي مدرسة الامام علي عليه السلام ، في سبيل هذا الهدف السامي ، بإرسال ما ينفع الشباب المسلمين في بلادنا .

دوسو عبد الله فوفانا

مدير مدرسة الامام علي عليه السلام في جمعية
لشباب المسلمين في غراند بسام
ساحل العاج

● نامل تلبية طلب الكثير من

المسلمين في اميركا

نكتب لكم رسالتنا هذه آملين الحصول على مجلات وكتب اسلامية باللغتين الانجليزية والعربية ، وذلك لتلبية طلب الكثير من المسلمين ، وكذلك الذين يعتنقون الدين الاسلامي حديثاً من اميركيين وغيرهم ، فالجميع يود أن يحصل على المزيد من المصادر والمجلات والكتب التي تعنى بالفكر الاسلامي بكل فروعها ، علماً بأن مركزنا في الصدارة بين المراكز من حيث كثرة ارتياد الناس إليه من اميركيين وغيرهم من جنسيات مختلفة بحثاً عن المصادر الاسلامية ، ولهذا فنحن بصدد توفير كل ما يمكن توفيره لمن يود زيادة معرفته للفكر الاسلامي ، فنرجو أن تساعدونا من اجل أن نخدم هذه الرسالة النبيلة .

سلام ولي علي

مركز لكتاب العربي

اميركا

* * *

● ارسلوا لنا «رسالة الثقيلين» لتساهم بفعالية في تغذية المثقفين وتوعيتهم

سلام عليكم ، وبعد فإن الدار العلمية الواقعة في الولاية الشمالية في الهند ، تمثل مركزاً علمياً دعوياً يقوم بنشاط ملموس في مجال التربية والتعليم والنشر والتأليف بين طلبة المدارس الاسلامية والجامعات ، عن طريق تربية الشباب بالثقافة الدينية والعصرية للدعوة والارشاد ، باشراف اساتذة ودعاة بارزين ، وذلك بعقد دورات تدريبية للدعوة الاسلامية والتبليغ يساهم فيها طلاب المدارس والجامعات من الهند وخارجها . وللدار مكتبة هامة تضم مجموعة طيبة وقيمة من الكتب المفيدة والمراجع الهامة ، وتصل إليها اهم المجلات والاصدارات بمختلف اللغات من داخل الهند وخارجها ، وعليه فإذا تكرمتم بإرسال مجلتكم الغراء رسالة الثقيلين إلى هذا المركز ، فإنها تساهم مساهمة فعالة في تغذية الشباب المثقفين تغذية

فكرية ، وتوعيتهم بالقضايا الاسلامية .

لكم لائق التقدير واصدق التحية .
ذكر الله ذاك الوندوي
الهند
* * *

● «رسالة الثقيلين»

اسلامية صادقة هادفة

باسم الامانة العامة لاتحاد الشبيبة المسلمة السنغالية نشكركم على تكرمكم بإرسال مجلتنا الغراء (رسالة الثقيلين) ، وقد طالعناها وعرضناها على المركز الثقافي الاسلامي التابع للاتحاد ، فوجدناها مجلة اسلامية هادفة وصادقة ، واعتبرناها مرجعاً من المراجع الاسلامية الغالية التي نستعين بها في دراساتنا وابحاثنا ومطالعانا .

هذا ونأمل استمراركم في الارسال والاهتمام بهذه الساحة الاسلامية (السنغال) ؛ لمواجهة أعداء الاسلام من النصارى ، وحملات التنصير والتبشير التي تحاول ايقاف المد الاسلامي المتنامي ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ .

اتحاد الشبيبة المسلمة
الامانة العامة - لسنغال

رسالة الثقلين
مجلة إسلامية جامعة

قيمة الاشتراك

الاسم

العنوان

المدينة

البلد

المهنة

مدة الاشتراك

ابتداء من

عدد النسخ

بلد	الاشتراك
الارسال	السنوي / لمدة ٦ اشهر
<input type="checkbox"/> الجمهورية الاسلامية في ايران (بالريال)	٨٠٠٠ ٤٠٠٠
<input type="checkbox"/> باقي دول العالم بالدولار الأميركي	٣٠ ١٥ (أو ما يعادله)

يرافق اشتراكي: ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حوالة بريدية
أرسل هذه القسيمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي:
* الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص.ب ٣٨٩٩ - ١٤١٥٥

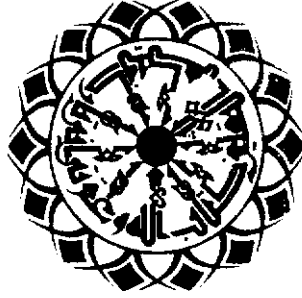
الاشتراكات

☐ في داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٨٠٠٠ ريال)
بحوالة مصرفية على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - بنك تجارت - شعبه دكتور فاطمي ٣١٧ - رقم
الحساب الجاري ٢٥٦٣١ - ٣١٧ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين.
☐ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً أميركياً أو ما يعادلها) تسدد بحوالة
مصرفية على العنوان التالي:

- 1 - Bank Saderat, Hamburg 6232-32-3016.
2 - Bank Mellat, Iran 11c/AC/120025.

ثمن النسخة:

☐ الجمهورية الاسلامية الايرانية ٢٠٠٠ ريال ☐ العراق ١٠ دنانير ☐ لبنان ٢٥٠٠ ليرة ☐ سوريا ٥٠ ليرة
☐ الاردن دينار واحد ☐ الكويت دينار واحد ☐ البحرين دينار واحد ☐ الامارات ١٥ درهما ☐ قطر ١٥ ريالا
☐ عمان ريال واحد ☐ السعودية ٢٥ ريالا ☐ اليمن ٣٥ ريالا ☐ مصر ٧٥ قرشاً ☐ ليبيا ١٠٠٠ درهم
☐ السودان ١٠٠ جنيه ☐ تونس دينار واحد ☐ المغرب ١٥ درهما ☐ الجزائر ١٢ ديناراً.
☐ وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأميركا وأستراليا وأوروبا ٧ دولارات أميركية أو ما يعادلها.



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol.6, No.22 - August - Oct 1997

الغلاف من الداخل

الصفحة الاولى: أحد ابواب المسجد الجامع في إصفهان (القرن العاشر
الهجري)، وتظهر في اعلاه الآية المباركة: ﴿المساجد لله فلا
تدعوا مع الله أحدا﴾ .

الصفحة الثانية: منظر عام لمرقد السيد أبي الفضل العباس عليه السلام في كربلاء
المقدسة من العراق (صورة حديثة) .